المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

صنعة التشبيه بين أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى

"دراسة وموازنة"

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد

يوسف بن طفيف بن مبارك الدعدي

٤٢٥٨٠٢٩١

إشراف سعادة

الأستاذ الدكتور / دخيل الله بن محمد الصحفي

العام الدراسي ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى من قدح حبّ العلم في قلبي، وأنار بشعاعِ الأمل طريقي إلى روح والدي - رحمه الله - الذي لم يمهله الأجل ليرى ثمرة دعائه ..إلى روح أختي - رحمها الله - التي اختارها الرحمن إلى جواره..إلى والدتي الغالية التي لم تزل لاهجةً لي بالدعاء ، إلى زوجتي العزيزة التي تحمّلت منّي العناءَ ، إلى شيخي العلامة محمد أبو موسى التي خالطت كلماته هشاشة نفسي وبعثتها من مرقدها ...إلى أختي الدكتورة سعاد التي وهبتني مكتبتها العامرة ..إلى إخوتي وأخواتي ،إلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث وكانت له يدٌ بيضاء ،إلى كل من رفع إلى أكفّ الدعاء ، أهدي لهم هذا البحث المتواضع ، وأسأل الله القبول .

يوسف بن طفيف الدعدي

ملخص البحث

عنوان البحث : صنعة التشبيه بين **أوس بن حجر وزهير بن سلمى .**

الهدف من البحث : الدراسة التحليلية البلاغية الموازنة بين منهاج الصنعة الفنية في أسلوب التشبيه بين أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى .

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول.

فقد مهّد البحث بذكر أبواب المعاني التي جاءت في تشبيهات الشاعرين، وأهم المعاني التي دارت في تشبيهاتهم. **وتناول** في **الفصل الأول** : أهم المعاني التي جاءت في الصور التشبيهية عند أوس ،وقـام بدراستها وتحليلها تحليلاً يسعى للكشف عن أصول صنعتة الشاعر الفنية في تلك الصور ،وموازنتـها بالتشبيهات التي جاءت في ذات المعنى عند غيره من الشعراء الجاهليين ومحاولة رصد الفـرق بينـه وبينهم في الصورة التشبيهية .

وتناول البحث في **الفصل الثاني**: أهم المعاني التي جاءت في الصور التشبيهية عند زهير ، وقام بماقام به في الفصل الأول مع أوس .

وتناول في **الفصل الثالث** : بقية التشبيهات التي جاءت في شعر أوس والتي لم تأت في تشبيهات زهير ، وقام بتحليلها وفقاً لقواعد التشبيه العامة ، ساعياً لايجاد علاقة بين صورة المشبه والمشبه به.

وتناول في **الفصل الرابع** : بقية التشبيهات التي جاءت في تشبيهات زهير ولم تـأت في تشـبيهات أوس ، وعمل فيها ذات العمل الذي عمله في الفصل الثالث .

أما الفصل الخامس : فقد وازن البحث بين المعاني والصور التشبيهية التي اشترك فيها أوس وزهـير ساعياً في الكشف عما استفاده زهير من أستاذه أوس ، والإمساك بالخيوط التي تربط بين الصـورتين والمعنى فيهما ، وملاحظة الفرق بين الصورتين ، وكيف عبر كل شاعر عن المعـنى الـذي صـوره والإشارة إلى التراكيب التي شكل بها الشاعر صورته ، وجعلت التفاضل بين الصورتين التشـبيهيتين من خلال ذلك .

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث :منها أن التشبيه وسيلة يمكن من خلالها التوصل إلى الكشف عـن أحوال الشاعر وميوله الفطرية ، فبالنظر إلى تشبيهات الحيوان عند الشاعرين تبين أن أوسا كان أقدر على تصوير مشاهد العراك والقتال ، والمشاهد التي تفيض بروح العنف والانتقام ، والزهو والعجب ؛ وهو مايمثل طبيعة الشاعر . بينما كان زهير أقدر على سرد الأحوال الإنسـانية والمعانـاة ، وهـو مايعكس طبيعة أخلاق الشاعر .

The Thesis Abstract

Thesis Title : The Analogy Skinless Between A'ous Bin Hajar And Zuhair Bin Sulma.

Thesis Target : the Analytical rhetorical study Balancing in between of the artistic skinless methodology in the analogy style between A'ous Bin Hajar and Zuhair Bin Sulma.
The thesis concluded an introduction, a preface and 5 chapters.
The thesis preface mentioned meanings articles that seen within the two poets' analogies , and the most important meanings concluded in their analogies.
The 1st chapter dealt with the most important meanings that came in the analogical figures of A'ous , which have been studied and analyzed perfectly to recognize his artistic skilful figures within these figures , and comparing them with the figures that may express the same meanings of the other illiterate poets and trying to distinguish among him and them in the use of the figurative analogies.
The 2nd chapter of the thesis handled with the most important meanings that came in the analogical figures of Zuhair , performing as the same as done in the first chapter with A'ous.
The 3rd chapter considered the rest of the figures that came in A'ous's poetry which have no similarities in Zuhair's poetry figures , which he analyzed according to the general rules of similarity aiming at finding a relation in between the original and the figurative similarity .
The 4th chapter interested in the rest of the figures that came in Zuhair's and have no match with A'ous's ones , and he perfectly has done the same as done in the previous chapter.
Whereas in the 5th chapter the research balanced between the meanings and the figures that were in common between A'ous and Zuhair aiming at recognizing what Zuhair benefited from his teacher A'ous , matching the link in between the two figures and the meaning within them , and discovering the difference between the two figures , and how the meaning expressed by both of the poets and demonstrating the structures with which the poet formed his figure , preferring one of the figures to the other one by using that methodology,
The conclusion in which mentioned the most findings of the thesis: of which known that figuration is just a means that enables to discover the poet's status and his instinct trends. Regarding the animal figures in the two poets' , it was known that A'ous had been more capable to figure the fighting scenes, the scenes that full of violence and avenge spirit and the pride , which is presenting the poet's natural . while Zuhair was more capable of telling the humanitarian status and suffering , which reflects the poet's natural.

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، خلق فسوى وقدر فهدى ، وأصلي وأسلم على خيرِ البرية المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فلا يخفى على دارسي الأدبِ ما للشعر الجاهلي من فضلٍ وعظيمِ مكانة ؛فهو اللبنـةُ الأساسيةُ والأصيلةُ التي مثّلت ذروةَ سنامِ العطاء البياني، والتكوينِ الفني لأدبِ العرب قديماً وحديثاً، وكان الغوصُ في أعماقه والاستزادةُ من زاده الزاخر ، ، وإزالةُالشوائبِ العائقةِ عن فهمه فهماً صحيحاً ، وتذوقُ ما فيه من روعة وجلال ؛من أهم الأسـبابِ الدافعة وراءَ هذا البحث ، خاصةً أن الحقبة التي مثّلها الشاعران كانـت في أواخـر مرحلة النضج البياني ، فكانت تمهيداً خصباً واستعداداً لنزول معجزة الله في أولئـك القوم ومقارعتهم بما برعوا فيه من بيانٍ وبلاغة ناصعة .

وعلمُ البلاغة من العلوم الشريفة التي نشأت في ظلِ الدراسات القرآنية وسائر علـوم العربية، فهو باقٍ ببقائها ،وقد أفاد هذا العلم الكثير من تلك الدراسات في تأصـيلِ أبوابه ،ومسائله ،فكان علمُ البيان – وهو أحدُ فروعِ هذا العلم - من أهم العلـوم الكاشفة عن مواطنِ أسرارِ الإعجازِ في كتاب الله ، وكان كتابا "أسرارُ البلاغة ودلائلُ الإعجازِ" للإمام عبد القاهر الجرجاني من أهم الكتبِ التي تناولـت هـذا الجانـب .ولاشك أن باب التشبيه عمدةُ علم البيان ، و الكشفُ عن صنعة التشبيهات ،وبيان خصائصه في تصويرِ المعاني وإظهارِ طرائقه عند فحلين من فحولِ الشعر الجاهلي ؛جدير بأن يظهر للباحث أسراراً لم تكن باديةً في الدراسات البلاغية السـابقة ؛ذلـك أن التشبيه من الأساليبِ البيانية التي تقومُ على الفطنة والبراعة والإبصار عـن خبيئـات العقل ، وبيان مراتبِ الشعراءِ وتفاوت منازلهم ؛ لذا جعله النقادُ واحداً من أبين الأدلة

على الشاعرية ، ومقياساً تعرف به بلاغة الشاعر ، فبالتشبيه يمكن قياسُ خيالَ الشاعر واتساع أفقه ومداركه ؛ من خلال رؤية مشاهد الكون الفسيح ، وتقاربِ الأشياءِ فيه وتباعدها ، وجمعه بين الأضداد .

من هنا جاءت هذه الدراسةُ (صنعةُ التشبيه بين أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى).

وقد ظهرت دراسات عديدة تناولت موضوع الصورة، أو كانت لها علاقةٌ بموضوع الوصف عند الشاعرين ، منها:

- دراسةُ الباحثة فتحية محمود العقدة (الفكرةُ والصورةُ في شعر زهير بن أبي سلمى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) وقد تناولت فيها التعريف بالشاعر ، وبيئته، وشاعريته، ومنزلته بين الشعراء الجاهليين ، ثم انتقلت إلى الشاعر في رأي النقد القديم ، وتحدثت عن الفكرة لدى الشاعر من خلال دراسة أهم المصادر التي ألهمت الشاعر أفكاره متمثلةً في البيئة ومافيها من قيم ، وتحدثت عن صور الأفكار التي حواها ديوانُ الشاعر من أفكار خُلقية واجتماعية ودينية .

- دراسةُ الدكتور محمود الجادر (شعرُ أوس بن حجر ورواته الجاهليين، ١٩٧٩م) وقد تناولَ فيها إشارات القدماءِ إلى الأواصر التي جمعت بين أوس ورواته ، وعلاقات النسبِ التي ربطت بينهم ، وتولت الدراسةُ بعد ذلك عرض إشارات العلماءِ إلى بعض السمات الفنية التي اشترك فيها أوس وروأته ، وماكان يلمسُه العلماءُ من التفاوت بينهم من خلال توزيعهم الطبقي ، وتناولَ الباحثُ دراسات المحدثين ونافشها وقوم نتائجها، ثم مهّد بعد ذلك بدراسة الحدود التاريخية للشعرِ الجاهلي الذي تحددت فيه ملامحُ القصيدة التراثية ، ثم تناول آراءَ أصحابِ النظرة المدرسية وركز فيها بوجه خاص على دراسة الدكتور طه حسين ، فبحث عواملها وأسُسها وناقشها .

- دراسةُ الدكتور محمد لطفي الصبّاغ (فنُ الوصف في مدرسة عبيد الشعر١٤٠٣هـ) وقد تناولَ فيها دراسةَ الوصف عند شعراءِ المدرسة ، والتعريف بهم وبأزمنتهم

وأمكنتهم وأنسابهم ، وشرع في دراسةِ بعض النصوص الوصفية عندهم متمثلةً في وصف مظاهر الطبيعةِ الحية ، فتحدث عن الناقة وأوصافها ، كماتحدث عن الحيوان الوحشي ، ودرس وصفَهم النعام والأسد والذئب وبعض حيوانات الصحراء ، إلا أن دراسته الوصفيةَ لم تتسم بالعمق التحليلي الفني .

ـ دراسةُ الدكتور عبد القادر الرّباعي (الصورةُ الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى١٤٠٠هـ) وقد تناولَ فيها الصورةَ الشعريةَ ومجالات الحياة والمصدر الذي شكل الصورةَ لدى الشاعر ، ثم درس الصورةَ والرؤيا عند زهير وبين فيه المعنى كما توحي به الصورةُ ، كما درس تشكيلَ الصورة عند زهير ، وقد عرض فيها العناصر الحسيةَ ، وقام بحصر الوسائل البيانية دون عرضٍ يعتمدُ على المنهج البلاغي في تحليل الأساليب ، وهذا محلُ عناية هذا البحث فهو يقومُ على منهج التحليل البلاغي ، والاستقصاءِ في النظر ، ومايجبُ النظرُ إليه في استخراج المزايا، والتعليل الموضوعي لتلك المزايا والخصائص .

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

فقد مهدتُ فيها بذكر (أبوابِ المعاني التي جاءت في تشبيهات الشاعرين)،وأهم الأفكار التي تضمنتها تشبيهاتهم ،وكانت تدورُ حولَ تشبيهات الطلل والديار والصحراءِ ، و الناقة وما يتفرعُ عنها من صور ومعان تمتد إلى تشبيهات حيوان الوحش ،و الظليم عند زهير ، ثم عرضتُ فيها لتشبيهات الإنسان ، و الفرس و السلاح وأدوات الحرب بأنواعها .

وفي الفصل الأول: (الصنعة في تشبيهات أوس).

تناولتُ أهم المعاني التي جاءت في الصور التشبيهية عند الشاعر ،فدرستُ تشبيهات السلاح وأدوات الحرب ، وتشبيهات الناقة ومايتفرعُ عنها من سرد لحكاية حيوان الوحش وقصته مع الصائد ، ودرستُ تشبيهاتِ ثور الوحش وحمار الوحش ،و الديار والطلل ، والإنسان ، والفرس دراسةً تسعى للكشف عن أصول صنعة أوس الفنية في

تلك الصور ،وموازنتها بالتشبيهات التي جاءت في هذا المعنى عند غيره من الشـعراء الجاهليين ومحاولة رصد الفرق بينه وبينهم في الصورة التشبيهية .

أما الفصلُ الثاني : (الصنعةُ في تشبيهات زهير) .

فقد تناولتُ فيه أهم المعاني التي جاءت في الصور التشبيهية عند الشاعر ، ودرسـتُ تشبيهات الديار والطلل ، و الناقة وتفريعاتها، وتناولتُ تشبيهات ثور الوحش ،وحمار الوحش ،وبقرالوحش ، و الظليم ، باحثاً عن أصول صنعة زهير الفنية في تلك الصور ، وقد وازنتها مع تشبيهات الشعراءِ الجاهليين التي جاءت في المعنى نفسِه ، محـاولاً رصد الفرقِ بين صورة زهير التشبيهية وصورة غيره من الشعراء الجاهليين .

والفصلُ الثالث : (التشبيهاتُ التي جاءت في شعر أوس ولم تأت في شعر زهير).

تناولتُ فيه بقيةَ التشبيهات التي جاءت في شعر أوسٍ والتي لم تأت في شعر زهير ، وقد قمتُ بتحليلها وفقاً لقواعد التشبيه العامة ، ساعياً لإيجاد علاقة بين صـورة المشـبه والمشبه به.

وكذلك فعلت في الفصل الرابع :(التشبيهات التي جاءت في شعر زهـير ولم تـأت في شعر أوس). فقد تناولتُ التشبيهات التي جاءت في شعر زهيرٍ ولم تأت في شعر أوس ، وقمت فيه بما قمت به في الفصل الثالث .

أما الفصلُ الخامس : (صنعةُ زهيرٍ في تجديد تشبيهات أوس).

فقد وازنتُ فيه بين المعاني والصور التشبيهية التي اشترك فيها أوس وزهير ؛ساعياً إلى الكشف عما استفاده زهير من أستاذه أوس ، ورصد الروابط بين الصورتين والمعـنى فيهما ، وملاحظةِ الفرق بينهما ، وكيف عبر كلُ شاعر عن المعـنى الـذي صـوره والإشارةُ إلى التراكيب التي شكل بها الشاعرُ صورته ، وجعلتُ التفاضل بين الصورتين من خلال ذلك.

ثم الخاتمة ، وقد توصل فيها البحث إلى عدة نتائج منها :

- أولاً : يُعد ذكرُ الناقة في تشبيهات أوسٍ وزهير مظهراً من المظاهر الشعرية التي تعكس بيئةَ الشاعر ، وحالته النفسية ، وموهبته الفنية ، فهي وسيلةٌ للوقوف على معالم تلك الصحراءِ الواسعة والموحشة ووصف أراضيها المقفرة ، ونباتاتها اليابسة ، فكان في وصفها وتشبيهاتها من خلال الرحلة مظهراً حقيقياً من مظاهر البيئـة الصحراوية التي عاشها الشاعرُ ، وكان مظهراً يمكنُ من خلاله قياس الجو النفسي الذي يعيشُه الشاعران عن طريق مايرميانه فيها من أوصاف تعكس الحالةَ النفسيةَ لديهما .

- ثانياً : يدلُ تعددُ المشبه به في التشبيه الواحد على ثراءٍ وعمق في المعنى ، فهـو دليلٌ على خصوبة الخيال والعبقرية عند أوسٍ وزهيرٍ وأسـلافهما؛ ذلـك أن المعاني التي أراد الشاعر أن يفصح عنها لها حيز كبير في وجدانِـه ومخيلتـه، إذ لاتستوعبُ الأساليبُ الكلاميةُالمعتادةُ الإبانةَ عنها بالشكل الذي يرضي ذاتـه، فيعمدُ إلى أسلوبِ التشبه القصصي واختيار أقرب الحيوانـات رمـزاً وتمـثلاً للمعاناة ، سواءٌ أكانت ناقةً أو حيوانَ وحشٍ أو ظليماً ، فهذه الحيواناتُ أقرب إلى طبيعة ذلك الإنسان الجاهلي فهي تتشارك معه في البيئة ، وهو يشترك معها في كثيرٍ من الظروف والمعاناة ؛لذلك جعلها مثالاً مصوراً ، يبرز مـن خلالهـا الحالةَ التي يعانيها الشاعرُ نفسُه ، ثم يعمدُ إلى صورة تشبية أخرى عبرحيـوان آخر ليظهر ماكان عالقاً من بقاياً المعاني في نفسِه وخياله ، وليبلغَ الإفصاح بهـا أعلى درجات البيان.

- ثالثاً: أظهر البحثُ ما يكشفُ عن طبائع كلٍ من أوسٍ وزهيرٍ وميلهما الفطري ؛ وذلك من خلال التحليل في صنعة تشبيهات الوحش ـ على وجه التحديد ـ وسائر تشبيهات الحيوان ـ بشكل عام ـ ، فقد كان أوس أقـدر علـى

تصوير مشاهد العراك والقتال، والمشاهد التي تفيضُ بروحِ الانتقام ، أو الزهو والعجبِ ، وهو مايمثل طبيعة الشاعر التي تميل إلى إظهار روح البداوة .

بينما كان زهير أقدر على سرد الأحوال الإنسانية والمعاناة من خلال تصـوير الثور في الليلة الشاتية الماطرة ، وهو مايعكسُ طبيعةَ زهيرِ الإنسـانيةَ ورقـةَ ودماثـةَ أخلاقة .

وأخير أ لايسعُني إلا أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من كانت لهم أياد بيضاءَ في هذا البحث، فأعانوني عليه ودلوني على مواطن الاسـتفادة ، ومهـدوا لي الطريق من أجل ذلك وصرفوا من وقتهم الثمين حباً وإكراماً وعلى رأسهم المشـرفُ على البحث أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / دخيل الله بن محمد الصحفي (الرئيس السابق لقسم البلاغة والنقد) ، والذي كان بجانبي في كل صغيرة وكبيرة،وكـان لـه فضلُ المتابعة والعناية والتوجيه النافع في سبيل الارتقاء بهذا البحـث ، كمـا يسـرُني ويشرُفني أن أتقدم بخالص الشكر وأتم العرفان للمناقشين الجليلين سـعادة الأسـتاذ الدكتور الفاضل / محمود توفيق سعد ،وسعادة الأستاذ الدكتور الفاضل / يوسف بن عبد الله الأنصاري (رئيس قسم البلاغة والنقد) لما سيقومان به من جهـود مباركـة وتصويبات قيمة .

كما أتوجهُ بالشكر إلى قسم الدراسات العليا في كلية اللغة العربية وآدابهـا ممثّلـةً في رئيسِها السابق الأستاذ الدكتور : صالح بن سعيد الزهراني ، ورئيسِها الحالي الأستاذ الدكتور : عبد الله الزهراني ؛ بما يقومان به من جهود طيبة لإعانة الطالب ومساعدته ، وتهيئة الجو العلمي المناسب .

ولايفوتُني أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى سماحة العلامة الأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو موسى الذي شجعني وأعانني على اختيار موضوع البحث ، وكـان يوفيني عمّا قصُر عنه رأيي ،وأن أتقدم بخالص الشكر وجزيل العرفـان إلى سماحـة

الأستاذ الدكتور / محمود توفيق **على اهتمامه المتواصل، ومبادرتـه بالسـؤال عـني وبتوجيهي وإنارة الدرب** لي **حتى** إتمام **البحث .**

والشكرُ موصولٌ إلى **كلٍ من الزميلين الفاضليين الأستاذ : سعود بن حامد الصاعدي و الأستاذ: عبدالرحمن بن صالح الخميس الذين كانت** لهما **جهود طيبةٌ لا تنكر** في **إعانتي على** جمع **مصادر ومراجع البحث .**

الطالـب : يوسـف بـن طفيـف بـن مبـارك الدعـدي .

التمهيد

التمهيد

يعد التشبيه واحداً من أبين الفنون البيانية الدالة على براعة العقل ،وخصوبة الخيال عنـد الشعراء كافة ، وشعراء العصر الجاهلي على وجه الخصوص ، فقد كان المرتكـز الـذي يدور عليه جلّ أوصافهم ، والوسيلة الطيعة التي تشمل لهم التعبير والبـوح عـن كـل مكنونات ضمائرهم ، ومخبوءات نفوسهم ؛ لذا نجده قد امتد لكل ما تقع عليه أبصارهم وحواسهم .يقول المبرد : " التشبيه جارٍ كثير في الكلام – أعني كلام العرب – حتى لـو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد " ، ويقول :"التشبيه باب كأنه لا آخر له " .[١]

لقد استطاع الشاعر الجاهلي أن يستخلص من التشبيه مادة خصبة يشكل بها جميع المعاني التي تجول في خاطره ،وينفذ من خلالها إلى الإفصاح عن كل معتركات حياتـه وهمومـه اليومية التي يعيشها .ويعد أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى من أبرز أولئك الشـعراء الذين كانت لهم ملامح فنية رائعة ، ولمسات بيانية ساحرة ، جسدا بها أفكارهما ومعانيهما النابعة من أعماق نفسيهما ،وما أحاطت به بيئتهما الصحراوية التي يعيشان فيها، ومـن أهم تلك المعاني التي طرقاها وحاولا تصويرها .الناقة وما تفرع عنـها مـن تشـبيهات كتشبيهها بالثور الوحشي أو حمار الوحش ، أو البقرة الوحشية ، و الظليم ، ومن تلـك المعاني المشابهة التي طرقاهاا تشبيهات الفرس وما تفرع عنها من صور كتشبيهها بالصـقر والعقاب والقطاة وما إلى ذلك من الحيوانات التي عرفت بالسرعة والطلاقة ، ومن المعاني التي عرضا لها - أيضاً - وصف السلاح وأدوات الحروب وهي من الأشياء الـتي يفخـر بذكرها الإنسان الجاهلي . لقد رصد الشاعر الجاهلي أهم المعاني التي يذكر بها الإنسان من وصف للشجاعة ومكارم الأخلاق ، ووصف المرأة وما يتعلق بها من صـفات الحسـن ، كل تلك المعاني تعد بمثابة الأبواب التي يفتتح بها الشاعر الجاهلي معاني التشبيه في مجمـل صوره ، فأهم تلك التشبيهات التي ابتدأ بها الشاعران معانيهما مايلي :

---

[١] الكامل للمبرد ، ج٢/ ص٩٩٦، ص١٠٥٧، تحقيق د. محمد أحمد الـدالي ، الطبعـة الثانيـة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م.

أولاً : تشبيهات الطلل والديار والصحراء

كان ذكر الطلل والديار والصحراء في القصيدة الجاهلية سنة نهـج الشـعراء سـبيلها ، وسلكوا طريقها ، واهتدوا بوحيها حتى لو لم يعانوا تجربتها ، لأنها سنة جاهلية متبعـة ، وكانت هذه الأطلال والأماكن تقوم بوظيفة الملهم ، والمبدع للشعراء الذين وقفوا عليها ، والذين لم يقفوا عليها ، فمنها يحاول الشاعر استدرار موهبته الشعرية ،واسـتثمار طاقـة إحساسه الفني .

لقد عاش كلٌ من أوس بن حجر ،وزهير بن أبي سلمى حياة البداوة ،وما فيها من شظف وشدة ، وجربا حياة التنقل والارتحال ؛ لذا حملت تجربتهما الشعرية ،وتصويرهما للأشياء صدق معاناتهما ،وانفعالاتهما الوجدانية .تجد ذلك الانفعال عند أوس وهو مـار بـديار محبوبته " **تماضر** " بـ"**الغمر**" ، و"**المرين**" ، و"**الشُعبا** "، وما يشاهده فيها مـن آثـار . حيث يقول [1]:

حلـــت تُماضـــرُ بعـــدنا ربـــا ... قَـ ـــالغمر قَـ ـــالمّرين فَالشُـ ـــعبا
حلـــت شـــآميةً وحـــل فَســـاً ... أهلـــي فَكـــانَ طلأبهـــا نصـــبا
لحقـــت بِـــأرض النُكـــرين ولـــم ... تُمكـــن لحاجـــة عاشـــقٍ طلبـــا
شـــبهتُ آيـــات بقـــين لهـــا ... في الأولـ ـين زخارفـ ـاً قُشُـ ـبا
تمشـــي بِهـــا رُبـــدُ النعـــام كمـــا ... تمشـــي إمـــاءٌ سُـــربِلت جُببـــا

وتجده ـ أيضاً ـ عند زهير وهو مار بديار محبوبتـه " **أم أوفى** " بـ ـ"**الـرقمتين** "، و"**المرين**" ، فيشاهد مابها من"أطلال بالية "، و"**أثافٍ** "قد غلت عليه قدور القـوم أزمنـة عديدة ، و"**نؤي**" لم يزل متماسكاً يصارع أيام الدهر المتغيرة والمتقلبة من حال إلى حال .

---

[1] ديوان أوس : ص١.شرح وتحقيق الدكتور / محمد يوسف نجم ، دار صادر ، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

حيث يقول [1]:

أمــن أم أوفى دمنــةٌ لــم تكلــم ... بحومانــة الــدُّرّاج فَــالمُتثلم
ديــار لهــا بِــالرقمتين كأنهــا ... مراجِعُ وشــمٍ في نواشــرِ معصــم
بِها العــينُ والآرآمُ يمشــين خلفَــةً ... وأطلاؤُها ينهضن من كُــل مجــثم
وقَفتُ بِها من بعد عشــرين حجــةً ... فَلأياً عرفــتُ الــدار بعــد التــوهم
أثــافي سُــفعاً في مُعــرسٍ مرجــلٍ ... ونُؤياً كَجِذمِ الحَــوضِ لــم يتــثلم

لقد كانت تلك المشاهد والآثار مسكونة بذكريات الأحبة ، ففيها قضوا أجمـل أيـام حياتهم ، وبقي في ذاكرتهم منها أعز اللحظات الخالدة ، لا يقون على كتمانهـا وهـم يتخطون أيامهم ولياليهم التي تحكي لهم أعز أيام العمر . لقد كانـت تلـك الأطـلال والأمكنة ملتقى يلتقي فيه الحاضر بالماضي ولايزال الماضي فيه ماثلاً بالحاضر ، فينقدح من ذلك اللقاء معان وصور وأخيلة تتفاعل معها النفس وتطرب لها .

"لقد كان الشاعر الجاهلي يقف في محطة الأطلال ليغسل نفسه ، فكانت هذه الأطـلال تقوم بنظرية التطهير لنفس الشاعر ،حيث تجعله قادراً على تحمل المواقف الصعبة فتتجدد طاقة نفسه ،وتتبدد ظلمة وحشتها ، وتلطف من ذهولها كلما تعكـر صـفوها وأظلـم ضوؤها "[2].

---

[1] ديوان زهير : ص١٨/١٦. شرح / ثعلب ، تحقيق / فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفـاق ، بيروت ، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٧٩م.

[2] المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي .ص٢٠٢، د. محمد صادق حسن عبد الله ، القاهرة ، مكتبـة النهضة المصرية ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

ثانياً: تشبيهات الناقة

كانت الناقة المحور الرئيسي للشاعر الجاهلي ،التي يعولُ عليها نقل أحاسيسـه ومواجعـه وتصوراته ورؤاه، فلم يقف عند حدودها الجسمية ، بل حاول أن يتعدى ذلك إلى جوهر طبائع الأشياء ، وخصائص سلوكها ، لتلتقي مظاهر تلك المادية مع نزعـات الإنسـان ووظائفه ، من هنا كان لنا أن نرى في تشبيهات الناقة عند ذلك الشاعر الجاهلي تبـادلاً للسلوك ،وتداخلاً واتحادا في الخصائص والأحاسيس ، واشتراكاً في العواطف والانفعالات . فقد حمل ذلك الشاعر ناقته جلّ انفعالاته النفسية و الحسية ، فهو المجد و هو المتعـب ، وهو الذي يلاقي في سفره المشقة ،والآلام ، فكان يسقط كل تلك المعاني على على ناقته ، فهو عندما يشبه ناقته ويستطرد في وصفها وسرد حكايتها إنما يحكي ذلك بالإنابـة عـن نفسه ، فهي وسيلة جيدة توصله إلى مقاصده ، وتبلغه إلى مواطن آماله ، وتختزن كـل آلامه ، بكل نبل وشرف، فهو لا يزال يشرف بها وبطباعها .

لقد فتن الشاعر الجاهلي بذكر الناقة ، وتملكت إعجابه في تتويج قصيدته بهـا ، وربـط موضوعاتها وأفكارها فكانت العقد الجامع ، والمحور الرئيسي ،والجسر الفني ، فكان يزهو بوصفها ويطيل ويفخر بتصويرها ، وتشـبيهها بسـائر أنـواع الحيوانـات الوحشـية والصحراوية ، ويتخير من كل حيوان الصفة الملائمة للإعجاب حتى يسقطها على ناقتـه، وتقصي أجزائها ،ووصف جوانبها ، فمجدها حتى غدت متحفاً وعمدةً شعرية ، بقيـت ماثلة على مر الزمن ، فكانت محوراً فنياً وموضوعاً بارزاً في قسمات القصيدة الجاهليـة ، شغلت مساحة كبيرة في كيانها وهيكلها . [1]

لقد ألبس الشاعر الجاهلي ناقته شتى المعاني التي كانت تجول في خاطره ، وكان يسـتمد من أوصافها تلك المعاني ففي الضخامة :جلالة وضخمة ، وفي الإقدام :جسرة وعسوف .وفي الحركة :خطّارة ،وخبوب، وخنوف،ودفاق، ومرقال، ورجوف، ورسلة، وزفوف، وزيّافة، ومروح، وشملة، وشملال، ومعناق. وفي حدة الطبع : عجرفية، وهوجاء، وذات

---

[1] انظر المرجع السابق :ص٣٤٠.

لوث ،وفي اللون : كميت، وأدماء .وفي الامتلاء والضمور : بادن وكناز ولكية ومضبرة وضامر وبغام . وفي التفاؤل : أمون وناجية .[١]

لقد حاول كلٌ من أوس وزهير إدراك جملة من تلك المعاني أثناء حـديثهم عـن الناقـة فوصفاها بالضخامة كما في قول أوس[٢] :

يُجُلالـــة ســـرح النجـــاءِ إذا آلُ الجَفـــاجِف حولهـــا اضـــطربا

ووصفاها بالإقدام كما جاء عند زهير [٣]:

إنّي لُتعـديني علـى الهَـم جسـرةٌ تخُـب بِوصّـالٍ صـروم وتُعنِـقُ
على لاحـبٍ مثـلِ المَجـرة خلتـهُ إذا ما علا نشزاً من الأرض مُهـرقُ

ووصفاها بحدة الطبع كما جاء ذلك عند أوس [٤]:

وأنحَت كمـا أنحـى المَحالـةَ مـاتح على البِئر أضحى حوضُهُ وهو ناشفُ
يُخـالطُ منـها لينهـا عجـرفيةٌ إذا لم يكُن في المُقرفـات عجـارفُ

وقد جاء ذكر لونها عند أوس ـ أيضا ـ حيث يقول [٥]:

وأدماءَ مثلَ الفَحلِ يومـاً عرضـتُها لرحلـي وفيهـا جُـرأةٌ وتقـاذُفُ

وجاء ذكر امتلائها وضمورها عند كلٍ منهما حيث يقول أوس[٦]:

علاة كناز اللحم مـا بـين خُفهـا وبين مقيلِ الرحـلِ هـولٌ نفـانِفُ

---

[١] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي .ص٧٨/٧٩، د.نصرت عبد الرحمن . الطبعة الثانية ،عمـان ، الأردن ، مكتبة الأقصى ،١٩٨٢م.

[٢] ديوان أوس :ص٢.

[٣] ديوان زهير :ص١٨٣.

[٤] ديوان أوس :ص٦٦.

[٥] المصدر السابق :ص٦٤.

[٦] دلمصدر السابق: ص٦٥.

وعند زهير [1]:

مُقــورةٌ تتبــارى لا شــوار لهــا إلّا القُطوعُ على الأنســاع والــوُرُكُ

وجاء ذكر التفاؤل عند كلٍ منهما فعند أوس[2]:

وعنسٍ أمــون قَــد تعللــتُ متنهــا على صفَة أو لم يصف لي واصــفُ

وعند زهير [3]:

تردُهُ ولّمّا يُخرج السـوطُ شـأوها مروحاً جنوح اللّيـلِ ناجِيـةَ الغـد

لقد كانت الناقة في تشبيهات أوس وزهير ميداناً من ميادين الشعر التي تعكـس بيئـة الشاعر ، وحالته النفسية ، وموهبته الفنية .

فكانت وسيلة للوقوف على معالم الصحراء الواسعة والموحشة ووصف أراضيها المقفرة ، ونبتاتها اليابسة ، فكان في وصفها وتشبيهاتها من خلال رحلتيهما مظهر حقيقـي مـن مظاهر البيئة التي عاشها الشاعر .

وكانت ميداناً يمكن من خلاله قياس الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر عن طريق ما ير ميه فيها من أوصاف تعكس المزاج والحالة النفسية لديه .

وكانت ـ أيضاً ـ مظهر فني يدل على اقتدار الشاعر من خلال توظيف كل المشـاهد المحسوسة التي تحيط به وصبها في إطار تلك الناقة التي يرتحل عليها .

فكانت " ناقة الشاعر الجاهلي تخلق من حولها جواً يستقطب كـل معـالم حيوانـات الصحراء ، وتلهمه بخلق مواقف ومشاعر إنسانية تستدعيه لسرد وتأليف قصص حولهـا ، لها مبناها ومعناها ، ولها عقدها ومغزاها ، كمالها عظاتها وعبرها ، كما كانـت تـرتبط بصلات نفسية وفنية ، وموضوعية ، يسقط ناقته عليها ، كما يسقط نفسه على ناقتـه ، فتتألف مواقف ومشاهد ومعان تخلف تراثاً من فلسفة الحياة وحقيقتها القائمة على الصراع

---

(1) ديوان زهير :ص١٢٩.

(2) ديوان أوس : ص٦٤.

(3) ديوان زهير : ص١٦١.

من أجل البقاء وذلك ما سنراه في المظاهر البيئية لحيوان الصحراء الذي أفرزته هذه الناقـة بكل مشاهده ، وفصوله ،وعقده "[1]

[1] المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي :ص ٣٤٤.

ثالثاً : تشبيهات ثور الوحش

جاءت صورة الثور الوحشي في تشبيهات أوس وزهير بشكل مفصل ودقيق ، وهي في جملتها قد بدأت مشاهدها مع ذكر الناقة ، وذكر أوصافها ، فجـاءت صـورته تبعـاً لاستكمال تصوير الشاعر لناقته التي يرى في حكاية ثور الوحش وسرد مشاهده ضرباً من ضروب الإثارة ، والمغامرة اللافتة ، والتي يمكن للشاعر أن يرى في قصة هذا الثور فرصـة تعبيرية سانحة يسقط عليها حاله بكل اقتدار واعتزاز .

لقد أوغل الشاعر الجاهلي إيغالاً عميقاً في نقل مشاهد وممارسات هذا الحيوان الوحشي، وهذا العمق لم يأت من قبيل الصدفة ، وإنما كان نتاج تجارب طويلة ،وتتبع دقيق لطبيعـة هذا الحيوان ، وهذا التتبع كان صادراً عن إعجاب وافتتان فيه من ناحية ، وأنه خير مـن يمكن أن يمثله من ناحية أخرى . فالثور الوحشي من الحيوانات التي لايملّ الشاعر الجاهلي من القول فيه وإعادة القول .

لقد رأى الشاعر الجاهلي في الناقة ذريعة يتذرع بها في سبيل الوصول إلى حيوان الوحش ، والانتقال إلى ساحة أكثر رحابة وسعة ؛ لبث أفكاره وخواطره النفسية عن طريق هـذا الحيوان ، فيجد الشاعر في قصة معاناة ثور الوحش تقارباً يمكن أن يحمل نفس الشـعور الذي يساور الشاعر ، فسيقط واقعه عليه . " فما إن يفرغ أحدهم من القول في ناقته حتى يهرع إلى تشبيهها بأحد هذه الحيوانات ثم ينسى هذه الناقة نسـياناً كـاملاً ويأخـذ في الحديث عن المشبه به ثم يطول به الحديث وينعطف ويستقيم وهو يتتبع ويدقق ويصـف ويحكي فإذا تهيأ له ما أراد واستقام ، لوى عنقه إلى الوراء قليلاً ثم زعم أن هذا الحيوان – ثور الوحش – شبيه ناقته . [1]

لقد حاول الشاعر الجاهلي أن يستثمر كل الصفات الموجودة في الثور الوحشي من خلال عرض قصته ، وأن يحدث بينه وبين تلك الصفات علاقة يمكن وصفها بالرمزية ، فغالبـاً مايرد هذا الثور في تشبيهات أوس وزهير أبيض اللون ، أو مشرقاً لامعاً فيسـتثمر كـلٌ منهما من ذلك اللون معنى من معاني الصفاء والنقاء الروحي والرفعة . كما بين ذلك كلٌ

---

[1] الرحلة في القصيدة الجاهلية : ص ٩٧، وهب روميـة ،الطبعـة الثالثـة ، مؤسسـة الرسـالة ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

من أوس وزهير ، إذ يقول أوس [1]:

لَهقــاً كَــأن ســراتهُ كُسِــيت خــرزاً نقــا لَــم يعــدُ أن قَشُــبا

ويشبهه بالكوكب الدري[2]:

وانقَــض كَالــدرّيءِ يتبعُــهُ نقــع يثــورُ تخالُــهُ طُنُبــا

ويقول زهير[3] :

أفَــذاك أم ذو جُــدتين مُولــع لَهــق تُراعيــه بِحومــلَ ربــربُ

وانساق كلٌ منهما لعرض تفاصيل الأحداث التي مر بها ذلك الثور بدءًا من المكان الذي عاش فيه ذلك الثور وقضى أحداث تلك اللحظات العصيبة في الليلة الشـاتية المـاطرة ، مروراً بتصويره وهو يحفر في باطن الترب ليصل بأظلافه إلى التراب الجاف ، فيجد كلٌ من أوس وزهير في هذه الحالة معنى من معاني البحث والتمحـيص والسـعي في سـبيل الوصول إلى مكامن الأمن.

يقول زهير [4]:

فأدركتــه ســماءٌ بينــها خلَــلٌ تُروي الثرى وتُسيلُ الصفْصف القَرِقا

فبات مُعتصـماً مـن قُرّهـا لَثقـاً رش السحابُ عليـه المـاء فاطرقـا

يمـري بأظلافـه حـتى إذا بلغـت يُبس الكَثيب تداعى التربُ فانخرقـا

ولقد وجد الشاعر الجاهلي – أوس وزهير - في صراع الثور الوحشي مع كلاب الصائد ، ومن ثم إرداء تلك الكلاب مضرجة بدمائها صورة واقعية من صـور الصـراع بـين المخلوقات ، والتي يمكن أن تستثمر لتكون رمزاً يدل على الصراع بين الخـير والشـر ، فيكون فخر الثور وزهوه وانتشاؤه حين ينتصر على تلك الكلاب سروراً من أجل سيادة الحق والحرية ، وقمع الظلم والباطل والبطش الذي ينفر منه كل كائن في هـذا الكـون الفسيح .

---

(1) ديوان أوس : ص٢.

(2) المصدر السابق :ص٣.

(3) ديوان زهير : ص٢٧٩.

(4) المصدر السابق : ص٤٤ .

رابعاً : تشبيهات حمار الوحش

لم تخرج صورة حمار الوحش كثيراً عن صور ة ثور الوحش في تشبيهات أوس وزهير فقد جاءت هي الأخرى استكمالاً لأوصاف الناقة التي بنى كل منهما عليها حكايته ، فبدأ كل منهما بعرض دقائق وتفاصيل حياة ذلك الحيوان الوحشي بدءاً من انقطاعه وهو يرعـى النبت مع قطيع الأتن وهو يتحكم بها تحكماً تاماً ، ، فهو الآمر الناهي على تلك الأتن التي لاتستطيع أن تخالف له أمراً ، فإن فعلت فإنه يزجرها ويعضها ، ولعل في ذلك معنى مـن معاني الزعامة والرياسة التي يرمز إليها الشاعر عن طريق هذا الحمار ، وهو عادة ما يكون مجتمعاً مع أتنه، فلم يرد الحمار منفرداً عن قطيعه حتى عند سائر الشعراء الجاهليين إلا عند زهير حينما جعل الحمار منفرداً عن الإناث في قوله [1]:

وكأنهـا صـحلُ الشـحيج مُطـرد ... أخلى لَهُ حُقـبُ السـوار ومـذنبُ
أكلَ الربيـع بهـا يُفَـزعُ سـمعُهُ ... بِمكانِـه هـزجُ العشـية أصـهبُ
وحـداً كمقـلاءِ الوليـد مُكَـدم ... جأب أطـاع لَـهُ الجَمـيمُ مُحنـبُ

ولعل هذه الخاصية التي تفرد بها زهير في صورة حمار الوحش إنما تعكس روحه الاستقلالية التي تكره بطبعها حب التسلط والتسيد .

لقد وصف كل من أوس وزهير العديد من جوانب ذلك الحمار الخلْقية والخُلقية، فهـو عادةً مايكون شديد الغيرة على أتنه . أما عن أوصافه الخلقية فقد جاءت جملة منها، فهو عادة ما يكون ضامر البطن ، غليظاً كبير الجسم ،كما صور ذلك زهير [2]:

أذَالـك أم أقـب الـبطن جـأب ... عليـه مـن عقيقتـه عفـاءُ
أقب كصـدرِ أسـمر ذي كُعُـوبٍ ... لـه مـن كـل مُلمعـة إبـاءُ

---

(1) ديوان زهير : ص٧٧.

(2) المصدر السابق : ص٥٩.

وهو – أيضاً - ضخم الرأس ، كماصور ذلك أوس [1]:

ورأساً كدن التجـر جأبـاً كأنمـا رمـى حاجِبيـه بالحجـارة قـاذفُ

وهو عادة ما يبدوا مكدماً معضضاً من أثر العراك والنزال مع الأتن التي يتحكم بها كمـا صور ذلك كلٌ من أوس وزهير إذ يقول أوس [2]:

يُصرفُ للأصـوات والـريح هاديـاً تمـيم النضـي كدحتـهُ المَناسـفُ

ويقول زهير في ذلك [3]:

وحـداً كمقـلاءِ الوليـد مُكـدم جأب أطـاع لـهُ الجَمـيمُ مُحنـبُ

أما عن لونه فهو أبيض موضع العجيزة كما بين ذلك أوس [4]:

كأني كسوتُ الرحلَ أحقَـب فاربـاً لـهُ بِجُنـوبِ الشـيطين مسـاوفُ

لقد "كان الشاعر الجاهلي -بما فيهم أوس وزهير- يرى حال هـذه الحمـر الوحشـية فيسقطها حال على ناقته ، كما يرمز بها لنظرته إلى جانب الصراع في هذه الحياة ، فكان يرى فيها صورة مطابقة للنواميس الكونية ، كما تدور في خلده ، وتحتدم بفكره ،وتتراءى لذهنه صورة من الجهاد المستمر ، وقوة على تحمل المشاق ، وعزيمة لمواجهة تحديات هذه الحياة ، إنها صورة من صور الصراع بين المخلوقات في كرها وفرها ، وفي حلها وترحالها ، لذلك كانت معانيه خالدة ومتجددة لأنها لم تعبر عن زمنها وظروف إنسانها ، وإنمـا لا تزال تعبر عن الصراعات المتجددة في بني الإنسانية شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ، كما كان الشاعر الجاهلي يهتم بسرعة هذه الحمر الوحشية وقوتها ليدل بها على ناقته من حيث النشاط والقوة والتغلب على كل ما يعترضها في المساء والصباح دون أن تستسلم لليأس .

---

[1] ديوان أوس : ص٧٢.

[2] المصدر السابق : ص٧٣.

[3] ديوان زهير : ص٢٧٧ .

[4] ديوان أوس : ص٦٧.

وبذلك كان يعكس كل إحساساته الطبيعية من خلال مشاكل حياته وتصوره ونظرتـه لهذه الحياة بكل افرازاتها وأحداثها ، لقد كان هذا الحمار الوحشي مظهراً من مظاهر الناقة التي لا تقل عنه مشقة وعناء في تحمل تبعات الحياة ومواجهة مخاطرها ،وهي تجد في السير وفي البحث عن حياض الماء واعشيشاب الرمال وحرية البقاء إن هذه المشاهد التي يخوضها هذا الحمار الوحشي والثورالوحشي ماهي إلا ترجمة مشابهة لصراع الإنسان مع بني جلدته كي يدرأ عنه شر الطمع ،ويحقق لنفسه أمن البقاء في دوامة الصراع وفلسفته ومغـزاه في مشاهد هذا الحمار الوحشي "[1]

---

[1] المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي : ص ٣٤٦.

خامساً : تشبيهات بقرة الوحش

انفرد زهيرعن أوس في تشبيهاته بتصوير بقرة الوحش ، وذكر حكايتها ، وتعرض لدقائق تفاصيلها ، ولم تخرج الطريقة التي عرض بها زهير حكايته عن حكاية ثور الوحش أو حمار الوحش ، فقد جاءت هي أيضاً امتداداً لعرض أوصاف ناقته واستكمالاً لهـا ، فيـذكر سرعتها ، وقوتها ،صلابتها ، ويتخذ من تشبيه الناقة بالبقرة الوحشية وسيلةً لسرد تلـك الحكاية ، ومافيها من معاناة وألم وفزع ، فيسلط عليها الضوء ، فلا يرجع إلى تلك الناقة إلا بعد أن يتم عرض حكايته . وهذه الحكاية في مجملها لا تخرج عن تصـوير حجـم الأخطار والمعاناة والألم الذي يتعرض له ثور الوحش ، إلا أن هناك شيئاً يميزها فيجعلـها أكثر فجيعة وحزناً وهو مقتل ابنها الصغير ، حين غفلت عنه أثناء الرعي .

وقد حاول زهير رصد مجمل أوصاف تلك البقرة في تشبيهاته ، فهي ذات أنـف قصـير متأخر، ويوجد في خديها سواد [1]:

كَخنسـاءَ سـفعاءَ المَلاطـم حُـرة مُسـ ـافرة مـ ـزؤودة أم فَرقَـ ـد

وذات عينين واسعتين [2]:

ونـ ـاظرتين تطحـ ـران قَـ ـذاهُما كأنهُمـ ـا مكحولتـ ـان بإثمـ ـد

وهي عادة ما تكون بيضاء اللون كالسحابة [3]:

وتيممـت عُـرض الفَـلاة كأنهـا عَرّاءُ من قطـع السـحابِ الأفهـد

، أو كالقميص الأبيض المخطط بالسواد [4]:

فَجالَـت علـى وحشـيها وكأنهـا مُسـ ـربلةٌ في رازقـ ـي مُعضـ ـد

---

[1] ديوان زهير : ص١٦٣.

[2] المصدر السابق : ص١٦٤.

[3] المصدر السابق : ص ١٩٨.

[4] المصدر السابق : ص١٦٥.

، أو كصحيفة من الجلد الأبيض [١] :

كـأن دمـاءَ المُؤسـدات بنحرهـا أطبـةُ صـرف في **فضـيمٍ مُسـرد**

ويكون على متنها خط أسود [٢]:

ورأيتهـا نكبـاءَ تحسِـبُ أنهـا طُليـت بقـارٍ أو كُحيـلٍ مُعقَـد

لقد صور زهير البقرة الوحشية في صورة تجسد الجزع والحزن واللوعة ، كما جسـدت أدق المعاني النفسية التي تصف غريزة الأمومة الحانية ،من خلال تصوير لحظات فقد ولدها عندما غفلت عنه برهةً من الزمن . وكان له في ذلك التصوير بعد رمزي عميق .

فالطمأنينة التي كانت تتمتع بها تلك البقرة الرؤوم وهي نشوانة ترعى مع ولدها ، وقـد انشرح خاطرها ، وهي لا تزال على تلك الحال ، فتستزيد من ذلك الخير وتبتعـد عـن ولدها لاهية عنه في طيب الرعي ، وهي في غفلة من أمرها وعما يحاك لها ، فإذا ما ألـبن ضرعها واستردت عافيتها ، تعود كي ترضع ولدها ، وما هي إلا خطوات حتى تصـاب بالصدمة والفجيعة والذهول ، ويتحول أمنها وطمأنينتها إلى خوف وفزع عارمين ، عنـد ما وجدت ابنها قد تحول إلى أشلاء ممزقة ملقاة على الأرض من فعل السـباع ، فتقـف مذهولة من هول ما ترى .

ولعل في تلك الحكاية فسحةً للشاعر ليصدر زفرات نفسه الدفينة ، التي يعجز اللسان عن التصريح بها لما فيها من معاني الغدر والخسة والنذالة ، وسوء الطوية التي يمنى بها بعض بني البشر ، فلا يتلاءم الحديث عنها إلا على مسرح الحيوانات ، وتكون البقرة الوحشية هي البطلة والضحية في آن .

---

[١] ديوان زهير : ص١٦٧.

[٢] ذات المصدر : ص١٩٧.

سادساً : تشبيهات الظليم والنعامة

تأتي صورة الظليم في تشبيهات الجاهليين امتدادا لتشبيه الناقة ، وعلى المسلك ذاته الـذي سلكه الشعراء في تشبيهات حيوان الوحش ، والتي رأى فيها الشاعر ما يؤهلها لأن تحمل بعض صفات ناقته التي يتقمصها . ولقد تفرد زهير عن أوس بهذا الحيوان ـ أيضاً ـ في تشبيهات ناقته بها . لقد جاءت قصة الظليم في تشبيهات زهيرحاملةً معها صورة من صور العاطفة الغريزية الحانية ، ومشهداً من مشاهد الحب والتضحية ، وهي لا تقلّ تأثيراً عـن صور ومشاهد حيوان الوحش التي صورها كل من أوس وزهير امتداداً من تشبيهات الناقة . لقد حاول زهير وصف هيئة هذا الحيوان وشكله الخارجي ، فذكر بأنه صغير الـرأس [1]:

كأن الرحـلَ منـها فَـوق صـعلٍ ... مــن الظلمــان جُؤجُــؤُهُ هــواءُ

كما ذكر بأن أذنيه مصلّمتان [2]:

أصــك مُصــلم الأذُنــين أجــنى ... لـــهُ بالسِـــي تنـــوم وآءُ

وقد وصف أرجل ذلك الظليم ،وذكر بأنه قليل الريش ، قد تخضبت من نبت الربيع فصار لونها أحمر[3] :

كــأني وردفي والفتــانَ وُنمرُقــي ... على خاضبِ الساقين أزعـر نِقنِـق

وذكر بأن مناقيره تشبه الخراطيم [4]:

تحطم عنها قَيضُـها عـن خـراطمٍ ... وعن حـدقٍ كـالنبخ لـم يتفَتـق

أما عن تفصيلات قصة ذلك الظليم ، فقد بدأ ذلك الظليم قصته وهو يرعى في مكـان مليء بشجر التنوم ،و الآء ، وقد بلغ غاية النضوج ، فيبقى الظليم في ذلك المرعى ينعم

---

(1) ديوان زهير : ص٥٨ .

(2) المصدر السابق : ص٥٨.

(3) المصدر السابق : ص١٧٧.

(4) المصدر السابق : ص١٨٥.

بالخصب ، ناسياً بيضه الذي أوشك على التفريخ ، وقد تأخر الوقت وأشرفت الشـمس على المغيب ، فتتذكر بيضها الذي غفلت عنه ، وتشعر بالخطر الذي سوف يلحق بـه ، فترجع مسرعةً إلى موقع البيض لتجده قد تكسر .

وهي لاشك صورة مؤثرة، ومشهد يدعو لإثارة الشفقة والرحمة ، ويبدو أن هذه المشاهد التي حاول زهير عرضها عن طريق تشبيه الناقة بالظليم جاءت لتضع تصوراً واقعياً لطبيعة الحياة القاسية التي كان يعانيها الإنسان الجاهلي في عامة شؤون حياته ، وتـبين شـعور الخوف والقلق الدائمين الذين تتجلى مظاهرهما كلما ابتعد المرء عن أفراد قبيلته الذين هم الحصن المانع له من كل تلك الدواعي النفسية ، ولا سبيل للفرد أن يعيش بأمان فيها من الأخطار .

سابعاً: تشبيهات الفرس

جاءت صور الفرس في تشبيهات الجاهليين لتحكي مظهراً من مظاهر الجمـال والفخـر والاعتزاز بالنفس ، والصور التي جاءت في تشبيهات أوس وزهير لم تخرج عن هذا الإطار في الغالب ، وقد أخذت الفرس سياقاً يشبه سياق الناقة في الوصف حيث كانـت هـي المشبه ، إلا أن الغرض الذي استدعيت له كان مختلفاً ، وقد اختلفت الحيوانات – أيضاً - التي وقعت مشبهاً به للفرس ، مثل الصقر والعقاب و القطاة ، والغرض المباشـر الـتي استدعيت من أجله هذه الحيوانات هو تمثيل عنصر السرعة في المقام الأول والذي هو أبرز صفة في الفرس ، وتمثل – أيضاً - مقاصد يرمي إليها الشاعر في المقام الثاني ، فقد لاحظ بعض الباحثين[1] : أن الشاعر حين كان يتحدث عن الناقة في تشبيهاته ، كان يشـبهها بحيوانات ليست مفترسة ،ولم تشتهر بالعدائية ، فلم تكن تهاجم الصائد والكلاب ، بـل كانت دائماً تدفعهما عن نفسها ، فتكون مجبرةً على القتال حفاظاً على حياتهـا ، أمـا الحيوانات التي جاءت في تشبيهات الفرس فهي على نقيض ذلك ، فقد جـاءت صـورة الصقر والعقاب وهي تشن هجوماً عنيفاً على الحيوانات الأخرى . وقد علـل بعضـهم لذلك تعليلاً مقبولاً : وذلك أن ذكر الناقة يأتي في حديث الشاعر عن الرحلة التي تنشـد الوصول بسلام وأمان إلى حيث يقصد الشاعر ، أما ذكر الخيل والفرس فموقعها ساحات القتال ، حيث الكر والفر، والدوران والطعان ؛ لذلك كان الشاعر الجاهلي يشبه فرسـه بالعقاب التي تفترس الثعالب أو الأرانب أو الحمائم .

ولقد جاء وصف الفرس في تشبيهات زهير في سياق تشبيه فرسه بالقطاة ، واسترسـل في وصف المشبه به (القطاة) ناسياً المشبه (الفرس) على طريقة وصف الناقة حين يشبهونها بحيوان الوحش ، حيث يقول [2]:

كأنها من قَطا الأجبـابِ حـان لهـا ورد وأفرد عنـها أختهـا الشـركُ

---

[1] التشبيه الملحمي في الشعر الجاهلي : ص١٩٢، ناصر المساعفة ، رسالة ماجستير غير مطبوعة من كلية اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠١م.

[2] ديوان زهير: ص١٣١.

جونيـةُ كحصـاة القَسـم مرتعُهـا بالسِي ما تُنبتُ القفعـاءُ والحَسـكُ
أهوى لها أسـقَعُ الخَـدين مُطـرق ريش القَوادم لم يُنصب لهُ الشـبكُ

وينطلق زهير بعدها في إكمال هذه القصة إلى نهايتها ، فهذه القطاة لم تستطع الورود على تلك الأبار ، لكثرة الوراد ففزعت منهم ، في حين أن أختها قد علقت في شبك الصائد ، وصفة هذه القطاة عند زهير - غالباً - سوداء البطن "**جونية**" ، معتدلة الخلقة " **كحصاة القسم** في استوائها " ، وفي أثناء ذلك المشهد ، انقض عليها صقر في خديه سواد تعلـوه حمرة ، قوادمه مجتمعة لم يسقط منها الريش ، لكن القطاة واثقة من نفسـها وفي قـدرتها على الطيران فهي تقتصد في بذل قصارى جهدها في الطيران . وهكذا تستمر المطـاردة بين الصقر والقطاة لتحكي عبر تلك المشاهد صورة أخرى من صور الفزع وقلة الأمن التي يصورها الشاعر في مطارداته ، " وفي كل هذه القصص مطاردات ،ففي الأرض مطاردة ، بين العير والقانص ، أو بين الثور وكلاب الصيد ، وفي الجو مطاردة بين القطا الكـدري ... وبين الصقر الأمغر في الأرض طراد وفزع ،في الجو طراد وفزع ، حتى الصعل غالبـا مايفزع على بيضه ، وهذا الفزع إنما هو من كلاب تفزع ثوراً آمنا ، وادعـا ، أو مـن قانص يفزع أتنا مسالمةً رافهةً ، تعيش في ظل عيش خصب ، ورعاية حمار كـريم ، !! أو قطاة ذاهبة لوردها فيفجؤها صقر شرس ...،كأن الحياة في هذا الضرب من التشبيه ليست إلا عدواناً ، وصراعاً بالغ الحدة ، لأن القوي فيه لا يستهدف إلا حياة الضعيف ".[1]

---

[1] مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني : ص١٥٨/١٥٩.د.محمد أبو موسـى ، الطبعـة الأولى ،مكتبة وهبة ،١٤١٨هـ،١٩٩٨م.

ثامناً : تشبيهات السلاح وأدوات الحرب

يعتبر وصف السلاح مظهراً من مظاهر الفخر والاعتزاز لدى الإنسان الجـاهلي بعامـة ، والشعراء على وجه الخصوص ، ذلك أن الشاعر هو اللسان الذاب عن أعـراض القبيلـة والحامي لحرماتها ، وهو القناة الإعلامية الموجهة لبث كل المناورات الحربية وإظهار العدة والعتاد التي تردع كل طامع ينوي المساس بمقدرات الفرد أو القبيلة . ولأن السلاح يـبرز القوة والشجاعة التي يتمتع بها الشاعر ؛لذى نرى الشعراء الجاهليين يحاولون الإطالـة في وصفها،والإبانة عن متانتها وجودتها ، فلا يبقون منها جزءاً إلا وقد عرضوا لـه ، ولقـد تعرض كل من أوس وزهير لعرض السلاح وأدوات الحرب بشكل عام، وتناولا أغلـب تفصيلاتها، إلا أن أوساً قد كانت له وقفة مع بعض أنواع تلك الأسلحة حـتى كـادت تنسب إليه ؛ من حسن وإجادة تصويره لها ،فقد عرض كل من أوس وزهـير لتصـوير السيف ، والدرع والرمح وقد أجادا في تصويرها ، - كعامة الشعراء الجـاهليين - ، إلا أن وصف القوس الذي جاء في قصيدته أوس اللامية جعلت له خصوصية يتفردبها عـن سواه حتى عرف عند كثير من النقاد القدامى بإجادته لوصفها ، فقد ذكر ابن قتيبة :" أن أوساً كان :[1]"أوصفهم – يعني الجاهليين – للحمر والسلاح ، ولاسيما القوس" حيـث يقول فيها[2]:

ومبضوعةً مـن رأس قَـرعٍ شـظية ... يطـود تـراهُ بالسـحابِ مُجلـلا
على ظهر صـفوان كـأن مُـتونهُ ... عُللـن بِدُهـن يـزلقُ المُتنـزلا
يُطـيفُ بهـا راعٍ يُجشـمُ نفسـهُ ... ليُكلئَ فيـها طـرفهُ مُتـأملا

فقد أطال أوس في وصف ذلك القوس وذكر مراحل تكوينه منذ كان فرعـاً علـى رأس شجرة حتى صار قوساً يكسى بالريش اليماني الفاخر ، وأثناء ذلك عرض لسقاية عودهـا

---

(1) الشعر والشعراء : ج١/ص٢٠٤.

(2) ديوانه :ص٨٥ ـــ ٩٠.وبهامشه : مبضوعة : أي مقطوهة . الفرع : أعلى الشجرة . الشـظية : الشقة والفلقة . مجللا: أي مغطى .

حتى تذبل شيئاً فشيئاً، ثم عرض للونها الأصفر الذي ظهر بعد أن براها ،والذي يمثل غاية الجودة والأتقان في المتانة ، إلى أن وصف صوتها حين ينطلق منها السهم ، وعرض لحركة وترها . وقد أبدع أوس في وصفها أيما إبداع حتى عرف به ذلك السلاح الخطير .

تاسعاً: تشبيهات الإنسان

جاءت صورة الإنسان في تشبيهات أوس وزهير بأشكال متنوعة بتنوع الغـرض الـذي جاءت فيه ، فقد عرض كل منهما صورة الأنسان الصائد، وصورة الإنسـان المقاتـل في الحرب ، وصورة الإنسان المصلح بين القبائل ،وقد تضمنت كل صورة صفات نابعة مـن ذات الموضوع الذي كان بصدده الشاعر . لقد جاءت صورة الرجل الصائد بأوصـاف تدل على غلظته وقسوة عيشه ، فقد وردت صورته عند أوس بأنه غائر العيـنين ، قليـل اللحم ، قد بانت عظام ساعديه ، وقد أحرقت جلده أشعة الشمس الملتهبة ، وشـققت لحمه السموم حتى أصبح جلده يابساً ناشفاً أسوداً ،وأنه ليس بـذي جسـم ضـخم ، وأصابعه قصيرة وغليظة وخشنة ، والصائد عند أوس يقتات من صيده فليس له طعـام إلا ماتصيده سهامه ، فيتغرب عن أهله طويلاً في سبيل ذلك ، كما بين ذلك في قصيدته التي سأذكر جزءاً منها حيث يقول [1]:

صد غـائرُ العيـنين شـقق لحمـهُ سمائمُ قَـيظ فَهـو أسـودُ شاسـفُ
أزب ظُهـور السـاعدين عظامُـهُ على قَـدر شـثنُ البنـان جُنـادفُ
أخـو قُنـرات قَـد تـيقن أنـهُ إذا لم يُصب لحماً من الوحش خاسفُ
مُعـاودُ قَتـل الهاديـات شـواؤُهُ من اللحم قُصـرى بـادن وطَفـاطفُ

ويقول زهير [2]:

وعلـى الشـريعة رابِـئٌ مُـتحلس رامٍ يعينيـ ـه الحَظـ ـيرةَ شـ ـيزبُ

أما بالنسبة لصورة الرجل العدو في هجاء الشاعرين ، فقد صور كل من أوس وزهير بعض المعاني التي جاءت في هجائهم كتشبيههم باليد التي ليست لها عضد ؛للدلالة على ضعفهم وعجزهم، وبعض الصور الدالة على البعد عن المكارم ، أو تصويرهم وهم ملقون في أرض القتال ، بأصلاب النخيل الملقاة على الأرض ، أما بالنسبة لصورة الرجل التي جـاءت في

---

[1] ديوان أوس : ص٧٠-٧١.
[2] ديوان زهير : ص٢٧٨.

تشبيهاتهم في حالة المدح فقد كانت مجمل الأصاف تدور حول معاني الـذكاء والفطنـة وصدق التنبؤ، والكرم والشجاعة كتشبيه يد الممدوح بالغمام في العطاء ،وتشبيه الرجـل بالأسد في الشجاعة .

أما بالنسبة لصورة المرأة التي جاءت في تشبيهاتهم ، فقد دارت حول المعاني المألوفة عنـد الشعراء الجاهليين ـ أيضاً ـ ، فمجل الصور التي جاءت في تشـبيهاتهم دارت حـول تشبيه المرأة بالظباء في حسن القوام ، وتشبيههن بالمها في جمال العيون، وتشبيههن بالدرة في صفاء اللون ونقائه ، أما عن ريق المحبوبة وهي مستيقظة من النوم فقد شبهت بـالخمر المعتقة وماشابهها .

الفصل الأول

الصنعة في تشبيهات أوس بن حجر

أولاً : صنعة أوس في تشبيهات الطلل والديار والصحراء :

تحتل الأطلال في نفوس الشعراء الجاهليين مكانة عظيمة ؛ فهي مقام الأحبة ، ومـرتعهم الخصب التي قضوا فيها حقبة من أروع أيام حياتهم ، لا يحسون فيها نصباً ، ولايخـالطهم فيها كدر ، لا هين في حياة هانئة ، سارحين بأغنامهم وإبلهم بين منابت الزرع ، ومنابع الماء . وكان فيها للشعراء مع الأحبة صبوات ومواقف ، خالطت أفئـدتهم ودمـاءهم ، ولامست شغاف قلوبهم ؛ فإذا ما اصفر الزرع ويبس ، وجف الماء ونضب ، اسـتحالت تلك البهجة والأنس إلى وجهة أخرى ، تاركين وراءهم ما بقي من آثار الأثافي والكانون ، وبقايا الحيوانات، والنباتات اليابسة ، فيقف الشعراء على تلك البقايا متـذكرين أيامـاً وليالِيَ خلت ، فيهيج ذلك نفوسهم فتجود قرائحهم بأبلغ ما ينطقون من الشوق والحنين ، وفي ذلك قال أوس بن حجر واصفاً ديار محبوبته وآثارها [1]:

حلت تُـماضرُ بعـدنا ربـبـا ... فَـالغمر فَـالسِّرين فَالشُعـبا
حلـت شـآميةً وحـل فَسـاً ... أهلـي فَكـانَ طلأبهـا نصـبا
لحقَـت بِـأرض المُنكـرين ولـم ... تُمكـن لحاجـة عاشـقٍ طلبـا
شبـهتُ آيـات بقـين لهـا ... في الأولـين زخارفـاً قُشُـبا
تمـشي بِهـا رُبـدُ النعـام كمـا ... تمشـي إمـاءٌ سُـربلت جُببـا

فأوس يفتتح قصيدته على عادة الشعراء الجاهليين بذكر محبوبته" تماضر "، وذكر الأماكن التي كانت تنزل فيها، ويبين أمر طلبها الذي بات صعباً عليه ؛ لبعد المسافة الـتي بينـه وبينها ، فقد حلت في ديار بعيدة عنه ، غير ديار أهله التي حلوا بها ؛ فلذلك كانت هنالك مشقة عليه في طلبها ، فقد نزلت في دار غربة، ولم تمكن نفسها له ،ولم تلبِ حاجةً مـن حاجاته التي كانت نفسه تتوق إليها .فبدأ الشاعر يصور تلك الأماكن التي كانت

---

[1] ديوانه:ص ١. وبهامشه :(ربا :واد بنجد. المران : ماءان . قساً :موضـع لتمـيم . الزخـارف القشب : أي الجديد ة التي لم تندثر . الربدة : لون مائل بين السواد والغبرة . الجبب : جمع جبـة ، وهو نوع من الثياب).

محبوبته تنزل فيها، وكان يلتقي معها بين جنباتها .فراح يشبه تلك الأماكن وما بقي منها من آثار ،بالزخارف القشب أي: الزخارف الجديدة التي لم تندثر ، وأن هاتيك المرابع قد سكنها ربد النعام بعد أن كانت عامرةً بالمحبوبة .

والذي يسترعي البحث، كيف شبه أوس الآثار التي بقيت من أرض المحبوبة بالزخـارف القشيبة ،وكلمة الزخارف لاتأتي إلا في مقام التزيين وكمال الحسن ،ومادتها (**زخـرف**) وقد يقصد بها السفن المزينة[1] ،والقشيبة:أي الجديدة ؛وكأنه جاء بهذا التشبيه ليحـتفظ بآثار هذا المكان في نفسه وذاكرته على أجمل هيئة وأحسن حال؛ إرضاءً لنفسه الـتي لم تظفر بحاجة مما طلبتها عندما كان يلتقي مع محبوبته في تلك الأماكن، فهذه الآثار جديدة على مر الزمان ، لا تبلى ،ولا تندثر، ومن المعلوم ـ بداهةً ـ أن الآثار لا تطلق إلا على الأشياء التي تقادم عليها العهد فأصبحت علامات يستدل بها على تلك الأشياء القديمة ، فكأن الباعث من وراء هذا التشبيه تأنيس النفس ،و أبقاء تلك الأماكن وما فيها من معالمَ وآثارٍ خالدة في النفس متجددة في عين ناظرها على مدى الأزمان والعصور ، راسماً لهـا أبهى تصوير ، وأجمل طراز .

فالشاعر يحاول قدر الإمكان أن لا ينفك عن تلك الأيام التي كان يستمتع بلحظاتها مـع حبيبته "**ماضر**" ، وأصبح حبيساً لها ،فكل شيء يذكره بها حتى الحيوانات التي صـارت تنزل تلك الأماكن ، فالنعام التي نزلت تلك الديار ، تشبه النساء اللاتي كن ينزلن تلـك الديار ، فهي ربد ،والربد: لون مائل بين السواد والغبرة ؛وهو لون قريب من لون العباءة التي تلبسها النساء ، وهذه النعام ـ أيضاً ـ تشبه مشيتها مشي إماء تلبس الجبة .

وقد جاء الشاعر بلفظ التشبيه مصرحاً بالفعل الماضي المضاف إلى تاء الفاعل، ومجيء الفعل الماضي (**شبهت**) مضافاً إلى ضمير الرفع المتحرك يوحي بمخاطبة النفس وتسليتها أكثر من كونه يصف ذلك المشهد ، وقد جاءت الأداة بلفظ التشبيه صريحة (**شبهت**) ، والجـامع

---

(١) اللسان: (زخرف) ج٩/ ص١٣٣.

بينهما هو الهيئة الحاصلة في المكان ،بعد رحيل أهلها عنها ومابقي فيها من الأغراض غير المنتفع بها . وتظهر صنعة أوس في تشبيه الآيات بالزخارف القشيبة فجعل أوس آثار الأماكن التي كانت محبوبته تنزل بها جميلة المنظر ، دائمة التجدد والبهاء، وقد ألقى عليها صفة الاستمرارية في الحياة ، والتفاعل حينما جعل (**ريد النعام**) تمشي بتلك الأماكن ، وشبهها ، بالإماء اللاتي يلبسن الجبة ، وكان للتعبير بالفعل المضارع (**تمشي**) أثر في تشكيل هذه الصورة المتجددة ، والباعثة للحياة في نفس قائلها ، فاستطاع أوس أن يلقي على هذه الصورة مسحة من نفسه الباعثة على الأمل ، لتظل هذه الديار ماثلة على عهدها الأول في كيان النفس ، وإن بدت مختلفة للعيان والحس .

وهذا المعنى قد تناوله غيره من الشعراء الجاهليين وكان لهم وصف غير وصف أوس ، فهذا طرفة بن العبد يشبه الآيات المتبقية من ديار محبوبته "هند"بالبرود اليمانية الموشاة قد وشتهما قبيلتا "**ريدة وسحول** " ،إذ يقول [1]:

لهند بحزّان الشريف طُلولُ تلوحُ وأدنى عهدهن مُحيلُ
وبالسفح آياتٌ كأن رُسومها يمانٌ وشتْهُ ريدةٌ وسحولُ

أما النابغة الذبياني فقد اختلف قليلاً في مسلك تصويره لذات المعنى عن مسلك أوس وطرفة ، فقد شبه الآيات المتبقية من ديار المحبوبة بكحل العين الذي لايرى إلا بعد لأي وجهد ، حيث يقول [2]:

توهمتُ آياتٍ لها فَعرفتُها لِستة أعوامٍ وذا العامُ سابِعُ
رماد ككُحلِ العينِ لأياً أبينُهُ ونُؤي كجذمِ الحَوضِ أثلَمُ خاشعُ

ويبدو أن سبب تقارب الصورة عند كل من أوس وطرفة والنابغة عائد إلى تشابه الظروف التي عاشوها في تلك الأماكن ، فأوس وطرفة كانت لهم ذكريات لا تنسى ، وصبوات ومواقف عامرةٌ بما يتمناه المرء من حبيبه ، الأمر الذي جعل أوساً تتداعى له

---

[1] أشعار الستة الجاهليين ، شعر طرفة بن العبد ، ج٢/ص٦٢. للأعلم الشنتمري ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ . وبهامشه (ريدة وسحول : قريتان وقيل قبيلتان في اليمن)

[2] أشعار الستة الجاهليين ، شعر النابغة الذبياني ، ج١/ ص١٦٣.

من صورة النعام التي تعمر تلك الأماكن وشبهها بالنساء اللاتي كن ينزلن تلك الديار ،في حين أن النابغة ـ على مايبدو ـ لم تكن له تلك الظروف ، فكانـت تجربتـه قاسـية، وتثاقلت به ذاكرته ، فاختلفت الصورة عنده ، الأمر الذي جعله يتوهم تلـك الأمـاكن توهماً فلم يكد يراها إلا بعد جهد جهيد ، ولما تمكن من التعرف على ملامح تلك الديار ، لم ير فيها إلا الرماد الذي يشبه كحل العين .

أما التشبيه الثاني عند أوس فهو تشبيه مركب ؛لأن المشبه به عبارة عن صورة مكونة عدة عناصر : أماءٌ سربلت جببا ، ووجه الشبه القائم بين ربد النعام والأماء ـ كما يظهـر للباحث ـ سواد اللون المشترك بين ريش النعام والعباءة التي تلبسها الإمـاء ، وذلـك بيانالهيئة المشبه في إظهار مشيته .

ويلاحظ أن أوساً جاء بتشبيهات أخرى للطلل والمنازل والديار ولم يختلف كثيراً عـن وصفه السابق لها ، فعوضاً عن آثار تلك الديار التي كالزخارف القشب ، هي هنا جديدة كأن لم يطأها أحد ، وعوضاً عن الديار التي كانت تمشي بها ربد النعام ،فهي هنا عـامرة ببقر الوحش ، والظباء المتنوعة بسخالها مابين فطيم ودان للفطام وناصف ، حيث يقـول[1]:

كأن جديـد الـدار يُبليـك عنـهُمُ ... تقي الـيمين بعـد عهـدك حـالفُ

بِها العـينُ والآرامُ ترعـى سـخالُها ... فَطـيم ودان للفطـام وناصـفُ

وَقَد سألت عنّـي الوُشـاةُ فَخُبـرت ... وقَد نُشرت منـها لـدي صـحائفُ

كعهدك لا عهـدُ الشـبابِ يُضـلني ... ولا هرم ممـن توجّـَه دالـفُ

وجاء ت هذه الصورة بعد أن بدأ الشاعر قصيدته بالوقوف على أطلال صاحبته أميمة ، وذكر لها من أسماء الأماكن والديار ما يربو على عشرة مواضع ، وهو أمر وثيق الصـلة

---

[1] ديوانه :ص٦٣. وبهامشه : (: توجه : ولى وكبر وتهيأ للهلاك . دالف : يمشـي كمـا يمشـي المقيّ).

بحياة البادية حيث تعتمد حياتهم على الإحاطة بالأماكن حتى أصبح في ذكرهـا تعريـف بالموصوفات لا يدانيه تعريف [٢].

فالشاعر يشبه حال الأرض عند انعدام الأثر الدال على نزول قوم محبوبته بها ، بالأرض التي تحلف يميناً بأن لم يطأها أحد من قبل ، والشاعر شبه الدار بإنسان يحلف اليمين ، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ويظهرمن استخدام الشاعر للأداة "**كأنّ**" في هذا التشبيه مايوحي بمطابقة ما يقوله للواقع [١]،وكلمة " **تبليك**

---

[٢] شاعرية المكان :ص١٤.د. جريدي سليم المنصوري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م.

[١]وقد اختلف في بلاغة التشبيه بكأنّ هل هي مركبة. أم بسيطة ؟ وأنقل هنا كلام الدكتور أحمـد هنداوي هلال في بحث له عن أدوات التشبيه انظر :(أدوات التشبيه في لسان العـرب ، ص٢٥-٢٦) حيث يقول مفصلاً القول فيها :" .. على الرغم من وجاهة القول بتركيب (كأنّ) وأبلغية التشبيه بها ـ كما بينه صاحب لسان العرب ، وعلى الرغم من إفاضة الشيخ عبد القاهر في بيان محاسن التشبيه بها على القول بالتركيب ـ إلا أن بهاء الدين السبكي ـ رحمه الله ـ وجه نقدا تحليليا دقيقا للقـول بأفضلية التشبيه ، وأبلغيته إذا اعتبرت " كأن " مركبة وقال إنما يأتي هذا إذا كانت بسيطة ، فبعد أن بين أن المتبادر إلى الذهن أن "كأن " أبلغ من الكاف ، وحكى أن التشبيه بها يستعمل حين يقـوى الشبه بين المشبه والمشبه به ـ قال: " وعندي في ذلك تحقيق ، وهو بناء هذا على أن كأن بسـيطة ، أو مركبة ، فإن قلنا إنها بسيطة ، استقام هذا ، فإن كثرة الحروف غالبا دليل على المبالغة في المعنى ... وإن قلنا إنها مركبة ، فلا ؛ لأنك إن فرغت على رأي ابن جني ، فأداة التشبيه بالحقيقـة إنمـا هـي الكاف ، وأنّ تأكيد للجملة ، وتأكيد الجملة المخبر فيها بالتشبيه لا يدل على المبالغـة في التشـبيه ، والاعتناء بالتشبيه في تقديم الكاف المشعرة بالتشبيه من أول وهلة ليس فيه ما يدل على أن المشابه أبلغ ، بل فيه تأكيد الدلالة على مطلق التشبيه ، والاعتناء به سواء أكان هو أبلغ ، أولم يكن .. وزيـادة كأن زيداً أسد على زيد كالأسد لا باعتبار مقدار الشبه بل باعتبار تأكيد مضمون الجملة .. وفـرق بين تأكيد الحكم بالتشبيه ، وبين الإخبار بتشبيه مؤكد " انظر : (عروس الأفراح شـرح تلخـيص المفتاح ، ج٣/ ص٣٩٤). ويظهر للباحث: أن تأكيد مضمون جملة الشبه راجع لقوة وتحقق مقـدار الشبه، فناسبت أداة التوكيد أداة التشبيه ، فلا تعارض بين الرأيين .

عنهم " توحي بحالة البلى الذي أصاب ذلك المكان ، ويبدو أن ذكر الحيوانات من بقـر وحش وظباء ، ونزولها بتلك الأماكن التي كان ينزلها مع محبوبته توحي باحتفاء الشـاعر بتلك الأمكنة وتذكر اللحظات الخالدة فيها ، وفي البيت الذي يلي توكيد لهذا المعنى حيث يقول إن الوشاة خبروها بخبر تقدمه في السن ، وأنه عرف عن محبوبته ذات الأمر ، وأكّد أنه مازال باقياً على عهده معها ، فبقاء العهد دليل على متانة العلاقة التي بينهما ، فلـم يتغير بعد كبره ، وهرمه، ومقاربته للهلاك ، كما كان لم يغيره عهد الشباب مـن قبـل .فالشاعر يشبه حاله مع محبوبته بحاله معها في السابق ، لمابينهما من الثبات علـى المحبـة ،وعدم التغير بتغير الأزمان . وهو من التشبيهات المعنوية ، التي لاتدرك إلا مـن خـلال العقل .ويبدو أن ذكر الحيونات وآثارها في أماكن وديار المحبوبة أمر وثيق الصـلة بحالـة الشاعر الجاهلي الشعورية ، وكأنها توحي بجو الشاعر النفسي ، فقد وردت عنـد غـير شاعر فهذا امرؤ القيس في معلقته المشهورة ، يذكر ديار محبوبته ومنزلها وقـد امـتلأت ساحته ببعر الظباء البيض ، وشبهها بحبات الفلفل فيقول [1] :

قفا نبك من ذكرى حبيـبٍ ومـنزلِ ... بِسقط اللوى بين **الـدخولِ فَحومـلِ**
فَتوضح فَالمقراة لَـم يعـفُ رسُمهـا ... لما نسجتها مـن جنـوبٍ وشـمألِ
تـرى بعـر الآرامِ في **عرصاتـهـا ... وقيـعانِها كَـأنَّهُ حـب فُلـفُلِ**

وهذا النابغة الذبياني يذكر في شعره مثل ذلك حيث يقول [2]:

أهاجك من سُعداك مغـنى المَعاهـد ... بِروضـة نُعمـي فَـذات الأسـاود
تعاورهـا الأرواحُ ينسِـفن تُربهـا ... وكُـلُ مُلـث ذي أهاضـيب راعـد
بِها كُل ذيّـالٍ وخنسـاءَ ترعـوي ... إلى كُل رجّـاف مـن الرمـلِ فـارد

---

[1] أشعار الستة الجاهليين : ج١/ص٣٠، للأعلم الشنتمري ، تحقيق إبراهيم شمـس الـدين ، ط١ ، دار الكتـب العلمية ، ١٤٢٢هـ .

[2] المصدر ذاته :ج١/ ص٢٠٤. وبهامشه : (الذيال :الثور الطويل الذنب . الخنسـاء : البقـرة القصيرة الأنف).

وقد تشابه أوس مع امريء القيس في تعدد ذكر الأماكن والديار ، وبقاء تلك الـديار والمنازل على عهدها دون أن تتغيير أو تتبدل ، وإن كان أوس أكثر احتفاءً بتذكر العهد السالف في تلك الديار ، وظهر ذلك من خلال تصويره تلك الديار بالزخارف القشـيبة والدار الجديدة ، ومن خلال تعدد الحيوانات النازلة لتلك الديار ، ولم يكتف بوصفها بعد العفاء ، أو ذكر آثار الحيونات فقط كالبعر ، أماالنابغة فقد اختلف عن أوس وامر القيس قليلاً من ناحية قلة عدد الأماكن التي ذكرها ، وخالفهما من ناحية تغير تلك الأمـاكن والديار بفعل الأرواح التي نسفت تربها . ويبدو ـ كما بـين البحـث سـالفاً ـ أن اختلاف مسلك كل منهم قد اختلف باختلاف الحالة التي خلفتـها تلـك الأمـاكن في نفوسهم ،وإن كان المعنى العام يظهر من تلك الصور أن الدار خلت من الأنيس وصارت مألفاً للوحوش.

ثانياً:صنعة أوس في تشبيهات الناقة وتفريعاتها :

أ- تشبيهات الناقة بثور الوحش :

يقول أوس واصفًا ناقته ، ويشبهها بثور الوحش [1] :

وكأن أقتادي رميتُ بها ... بعد الكلال مُلمعاً شبا
من وحش أنبط بات مُنكرساً ... حرجاً يُعالجُ مُظلماً صخبا
لهقاً كأن سرانهُ كُسِيت ... خرزاً نقا لم يعدُ أن قَشُبا
حتّى أتيح لهُ أخو قَنصٍ ... شهم يُطر ضواريا كُثُبا
يُنحي الدماءَ على ترائبها ... والقد معقوداً ومُنقَضِبا
قَذَأونهُ شرفاً وكُن لهُ ... حتّى تُفاضلَ بينها جلبا
حتّى إذا الكلّابُ قالَ لها ... كاليوم مطلوباً ولا طلبا
ذَكَر القتالَ لها فَراجعها ... عن نفسه ونُفوسها ندبا
قَنحا يشيرته لسابقها ... حتّى إذا ما روقُهُ اختضَبا
كرهت ضواريها اللحاق به ... مُتبعاداً معهاومُقتربا
وانقَض كالدّريءِ يتبعُهُ ... نقع يثورُ تخالهُ طُنبا
يخفى وأحياناً يلوحُ كما ... رفَع المُنيرُ بكفه لهَبا

يبدأ أوس في رسم صورة مفصلة عن ناقته التي ارتحل عليها ، وذلك عن طريق الحكاية القائمة على التشبيه فالمشبه هو حال الناقة ، والمشبه به حال ثورالوحش الملمع الشبب الذي تم تمامه وذكاؤه .ثم يستغرق الشاعر في التشبيه عن طريق الاستطراد في وصف المشبه به فيذكر قصته فيقول : إن هذا الثور الوحشي من وحش أنبط : وهو مكان يكثر فيه ثور الوحش ، يتميز بلون أبيض ليس بذي بريق ولاموهة ، قد بات ليله منقبضاً

---

[1] ديوانه :ص٢.وبهامشه (الرحل : مايوضع على ظهر البعير للركوب. والملمع :هو الثور الذي في جسمه بقعة تخالف سائر لونه .و الشبب: هو الثور الذي تم تمامه وذكاؤه .منكرساً : أي متجمعاً منقبضاً. وحش أنبط : وهو مكان يكثر فيه ثور الوحش لهق : أي ابيض اللون ليس بذي بريق ولا موهة . لم يعد أن قشباً ؛أي : أنه حديث عهد بالجلاء . فذأونه : فطردنه).

صاخباً ، يشبه ظهره حبات الخرز ، أي: منتقى من خيار ثور الوحش ،.ثم يدخل في ذكر قصة هذا الثور وما صادفه من أحوال مروعة مع الصائد وكلابه ،فقد صادف الثور صياداً شهماً يسوق كلابه ويدفعها أمامه وهي مجتمعة متقاربة ،وقد قد له سوطًا من جلد ،هذه الكلاب تسيل دماؤها على ترائبها من جراء فعل السوط الذي يضربها به الصياد ، فطردته نحو مكان مشرف مرتفع ،مكشرة عن أنيابها الشر ، وتتحين الفرصة لتندفع إليه دفعةً واحدةً، تشبه في اجتماعها الأنعام من الأبل والأغنام التي تجلب لتجتمع في مكان محدد من أجل البيع ، وهذا الصياد عندما رأى الثور والكلاب تطردنه قال : لم أر كاليوم مطلوبا، ولم أر كاليوم طلبا ، وذلك من شدة تعجبه واندهاشه لما يرى،ثم إن هذا الثور ذكر القتال لهذه الكلاب ليصدها ويراجعها عن نفسه ، فلم يثنها عن عزمها ذلك ، فنحا بقوة عارمة ونشاط شديد نحو السابق من هذه الكلاب و المقترب منه ، ليضربه بقرنه ضربة أردته ملقى مضرجاً بدمائه، وأصبح القرن على إثرها أحمر اللون كالمخضوب بالحناء فلما رأت ضواري هذه الكلاب : أي المعتادة على الصيد ذلك الموقف المرعب بالنسبة لها كرهت اللحاق بالثور خوفاً منه بعد أن رأت ذلك المشهد المفزع للسابق منها ، فأصبحت في توجس وخوف شديد مابين ابتعاد من الثور واقتراب منه ، فأنقض هذا الثور كالكوكب الدريء ، يتبعه غبار ساطع يشبه الفسطاط المضروب ،والفسطاط: هوبناء معروف من خيم دون السرادق، وهذا الثور يظهر تارة ويخفى خلف الغبار تارة أخرى فلا يرى؛ كالذي يرفع فوق رأسه جذوة من لهب فينبعث ضؤوها عليه فيرى بوضوح ، ويذهب انبعاث ضوئها عنه فلايرى .

ويبدو أن الشاعر وهو يذكر قصة هذا الثور ومعاناته من الصائد وكلابه ، واصفا بها ناقته ، لم يأت بها من قبيل المصادفة أو التسلية ،بل كان هناك باعثٌ ومقصد يرمز إليه ، خاصة إذا عرفنا أن آخر أبيات هذه القصيدة تحمل هجاءً لبني لُبينى وهم من بني أسد بن وائلة قد

هجاهم أوس في مواطن عدة حيث يقول :[1]

أبـني لُبيـ ـنى لمْ أجِـد أحـدا ... في النـاس ألأم مـنكم حـ ـسبا
وأحـ ـق أنْ يُرمـ ـى بداهيـ ـة ... إن الـ ـدواهي تطلـ ـع الحـ ـدبا
وإذا تسـ ـوئل عـ ـن مجـادتكم ... لم تُوجـ ـدوا رأسـ ـاً ولاذنـ ـبا

والذي يهم البحث أن القصة تحمل في طياتها صورا من صور الصراع العنيف الدامي بـين الثور الممتليء قوة ،ونشاطا ،وذكاءً ،وحيويةً،وبين كلاب الصيد .

ولعلّ اختيار الشاعر للثور الملمع الذي في جسمه بقعة تخالف سائر لونه إشـارة ترمـز لمخالفة الشاعر لقومه، أو مخالفة سائر قومه له ،وهو ربما يشير إلى التميز والتفرد .وكلاب الصياد لاتتفرد بالمواجهة مع هذا الثور القوي إلا بعد جهد مضنٍ من هذا الصياد بفعـل السوط الذي أنهكها، حتى أسال على ترائبها الدماء ،ومع هذا فهي لا تلاقيـه إلا وهـي مجتمعة وهذا الثور يحاول أن يستفرد بهذه الكلاب فلا يستطيع إلا أن يحتال عليها ويجرها نحو مكان مشرف مرتفع ، وذلك يظهر حب السمو والرفعة في نفس الشـاعر ؛ ولعـل اختيار المكان المشرف المرتفع يزيد من صلابة هذا الثور، ويحفز من شجاعته ويجعله أمـام الأمر الواقع ، ـ ولعل فيه إشارة رمزية إلى إظهار عداوة القوم للشاعر علـى المـلأ ـ فيلتفت هذا الثور نحو أشد هذه الكلاب سرعة و أقربها منه وأكثرها التصاقاً به ، وأشدها طلبا له ؛حرصاً على الانقضاض عليه والقضاء عليه، بعد أن احتشد له وتحشد ،ولملم كل قواه وعافيته ؛ ليصوب إليه قرنه الحاد وسلاحه الأمضى الذي لايملك سـواه ، فيلقيـه مضرجا بدمائه ، ليكون عبرة لبقية الكلاب التي لم تنقض عليه بعد وتحاول اللحاق بـه؛ فيدب في قلبها الخوف، وتبقى متوجسة مابين تقديم وتأخير؛ طمعا في طلبه والقضاء عليه في التقدم ، أو أن يكون مصيرها مثل مصير صاحبها الصريع فتتأخر ،ثم ينقض هذا الثـور في سرعة وخفة مبتعدا عن هذه الكلاب وهو يشبه الكوكب الدريء . ونلاحظ هنا وجه اتفاق واجتماع في المعنى مابين المشبه الثور الذي انقض على الكلاب ليصيب الأقـرب

---

[1] ديوانه :ص٤. وبهامشه (والقد : السوط الذي قد من جلد . فذأونه : فطردنه ، شرفا: مكـان مشرف مرتفع. الشرة : النشاط الشديد ، الروق : القرن. طنبا : الفسطاط المضروب . والفسطاط: هوبناء معرف من خيم دون السرادق. الدريء : اللامع المتلألىء).

منها له فيرديه صريعاً بدمائه ، وبين المشبه به الكوكب الدريء ، فبينهما وجه جامع وهو الانقضاض على شيء محدد من بين عدة أشياء مجتمعة بهدف القضاء عليها ، فالثور بعد الانقضاض يخفى وأحيانا يلوح ،تشبه حالته حال المنير الذي يرفع بيديه جذوة من نارلها لهب يتموج ، فتارة تضيء عليه وتبديه، وتارة تخفيه ، ولعلنا نستشف من هذا التشبيه معنى من معاني النصر والغلبة على الأعداء،والتي تظهر لنا من خلال رفع المنير بكفه اللهب، ففيه معنى من معاني الفوز والانتشاء ،وهي لا تزال طريقة يعبر بها الفائزون عن فوزهم خاصة في المنازلات، والمباريات الرياضية .

وإذا تتبعنا نظائر هذه الصور عند الشعراء الجاهليين وجدنا النابغة الذبياني وعبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي خازم وغيرهم قد جاؤوا بصور تشبه الصور التي جاءت في شعر أوس ، ونحن نقتصر على صور هؤلاء الثلاثة فوصف كلٌ منهم الناقة وشبهوها بثور الوحش، ونحن نحاول أن نعرض لجزء من الصور التشبيهية ونتلمس الفرق بين صور أولئك الشعراء لتتميز صنعة أوس في تشبيهاته . حيث يقول النابغة الذبياني [1] :

كأنما الرحلُ منها فَوق ذي جُدد ... ذَب الريــاد إلى الأشــباح نظّــار
مُطــرد أفــردت عنــهُ حلائلُــهُ ... من وحش وجرةَ أو من وحش ذي قار
مُجرس وحــد جــأب أطــاع لَــهُ ... نباتُ غَيــث مــن الــوسمي مبكــار
ســرأتُهُ مــا خــلا لبانــهُ لهــق ... وفي القَــوائم مثــلُ الوشــم بالقــار
باتــت لَــهُ ليلَــةٌ شــهباءُ تســفُعُهُ ... بحاصــبٍ ذات إشــعان وأمطــار
حتّى إذا ما انجَلَــت ظلمــاءُ ليلتــه ... وأســفَر الصُــبحُ عنــهُ أي إســفار

---

[1] ديوان النابغة : ص٢٠٢-٢٠٤.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٧م وبهامشه: (ذي جدد: الثور الوحشي تعلو ظهره خطوط بيض وحمر . ذب الرياد : دفع الارتياد . مطرد : مشرد . مجرس : الخائف من سماع جرس الإنسان . سراته : ظهره . لبانه : صدره . لهق : أبيض . القار : الزفت . بحاصب : الريح تقذف بالحصباء . ذات إشعان : من الشعن وهو ما تناثر منة ورق العشب بعد يبسه . الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر اليد . أنمار : قبيلة مشهورة بالصيد . بغضف : الناعم اللين . أشلى : دعا كلابه للصيد . ضاري : معتاد الصيد .لبانته : حاجته . تقريباً بإحضار : ضربان من السير .).

أهوى لـهُ فـانِص يسـعى بِأكلُبِـه ... عاري الأشـاجِعِ مـن قُنّـاص أنمـار
مُحالفُ الصـيد هبّـاش لـهُ لحـم ... مـا إن عليـه ثيـاب غَـيرُ أطمـار
يسعى بِغُضف براهـا قَهـي طاويـةٌ ... طولُ ارتحـالٍ بهـا منـهُ وتسـيار
حتّى إذا النَورُ بعـد النفـر أمكنـهُ ... أشلى وأرسـلَ عُضـفاً كُلهـا ضـار
فَكر محميـةً مـن أن يفـر كمـا ... كر الحُـامي حفاظـاً خشـيةَ العـار
فَشك بِـالروق منـهُ صـدر أولهـا ... شـك المُشـاعبِ أعشـاراً بِأعشـار
ثُـم انـثنى بعـدُ للثـاني فَأقصـدهُ ... بِـذات ثَغـر بعيـد القَعـر نعّـار
حتّى إذا مـا قَضـى منـها لُبانتـهُ ... وعـاد فيهـا بِإقبـالٍ وإدبـار
انقَض كالكَوكَبِ الـدُري مُنصـلتاً ... يهـوي ويخلـطُ تقريبـاً بِإحضـار

فالثور عند أوس قد تم تمامه وذكاؤه ، وفي جسمه بقع تخالف سائر لونه ،فهوأبيض لـيس بذي بريق ولاموهة ، وظهره نقي كأنه خرزة .

أما صورة الثور عند النابغة فتعلو ظهره خطوط بيض وحمر ، وظهره وسائر جسده أبيض ما خلا صدره ، وفي قوائمه آثار تشبه أثار الوشم من أثر الطلي بالزفت . وبقية قصة الثور مع الصياد وكلابه تتفق إلى حد كبير بين أوس والنابغة ، ونجدهم يتفقان حتى في نهايـة القصة فقد شبه أوس الثور بعدما قضى على السابق من الكلاب ، بالكوكـب الـدريء المتلألىء الذي يتبعه غبار النقع كأنه الفسطاط المبني .وذلك إبرازاً لسرعة الثور ، أما النابغة فقد شبهه ـ أيضاً ـ با لكوكب الدري المنصلت فهو يخلط في سيره السريع التقريـب بالإحضار ، وذلك ـ أيضا ـ إبرازا لسرعة الثور، وكانت الإضافة التي جاء بهـا أوس في تشبيه النقع والغبار الناتج عن سير الثور بالفسطاط المضروب أدل على سرعة هذا الثـور ،وأبلغ في إيصال الصورة من تشبيه النابغة .

ونجد عند عبيد بن الأبرص صورة للناقة يشبهها بالثور لكن هذا الثور مهزول ضامر يهبط من مكان إلى مكان ، وعبيد لم يستوف قصة مواجهة هذا الثور مع الكلاب والصائد ، إلا أنه أتفق مع أوس والنابغة في تشبيه هذا الثور بالكوكب الدري ؛ولكن ليس لبيان سرعة هذا الثور بل لبيان لونه ونصاعته وإشراقه

حيث يقول [1]:

وكـأن أقتـادي تضـمن نِسـعها ... مـن وحـش أورالٍ هبـيطٌ مُفـردُ
كالكوكبِ الـدرّيءِ يشـرقُ متْـنُهُ ... خرصـاً خميصـاً صُـلْبُهُ يتـأودُ

وفي كل هذه الصور وهذه الصراعات الدامية معان رمزية يتمثلها الشاعر ليعـبر عمـا في نفسه من الخطرات الروحية "وهذا باب جليل جدا، وهو من كنوز الأدب ، وفيـه مـن الصور ما يمتع النفس بأطهر ماتستمتع به النفوس . ومن مسالك الشعراء أنهـم يشـبهون الشيء بالشيء ثم يأخذون في ذكر أوصاف أحوالٍ تحدد المشبه به تحديدا دقيقاً ، وكـل حال وتصوير يذكر في هذه الصورة إنما يصف المشبه به ، وينعكس عليه ، ويكشف حالاً من أحواله ، وهذا واضح ، وترى كثيراً من هذا في أكثر قصائد الشعر الجاهلي ، حـين يذكر الشاعر رحلته على ناقته ، ثم يشبه الناقة بالثور أو غيره من حيوانات الصـحراء ، ويبدأ قصة هذا الثور ، أو هذا الحيوان ، فيذكر مرعاه الخصيب ويصف ليلته الشهباء ، ثم يذكر كلاب الصيد التي فاجأته وهو في ضيافة الأرطى أو غيرها ويصور الصراع بين الثور وبين الكلاب وما إلى ذلك مما هو معروف ومشهور "[2] " إن هنالك لطيفـة في هـذا النوع من التشبيهات المركبة ، تتمثل فيما نشعر به إزاء تلك الصور البيانية الحية التي تبعثها هذه التشبيهات من مقدرة على إبراز قيم وإرادات ومشاعر تلامس ما في نفوسـنا مـن خلال شخوص تلك الحكايات " [3].

---

[1] ديوان عبيد بن الأبرص : ص٤٤،تحقيق حسين نصار ، ط١،مكتبة مصـطفى البـابي الحلـبي ، القاهرة ،١٩٥٧م.وبهامشه (هبيط : المهزول الضامر . الخرص : الجائع المقرور . الخميص : الضامر).

[2] التصوير البياني ص ٨٦،د.محمد أبوموسى ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٥هـ ، مكتبة وهبة .

[3] الحكاية في تشبيهات الجاهليين ص٤. رسالة مخطوطة ، محمد البدري ، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى .

"إن تصور إرادة شبيهة بإراداتنا وراء الأشياء أدنى إلى الجمال الشعري ، إنه ليحلو لنـا أن نرى في الأشياء صورة عقلنا وأن نلمح فيها آثار هذا الفكر الذي هو أسمى مافينا "[1].وقد فطن بعض الدراسين لصور الحيوان في الشعر الجاهلي إلى وجود علاقات اقتران بين المشبه والمشبه به فقد نبه شيخنا الدكتور محمد أبو موسى إلى هذه المعاني التي تدور على ألسـنة الشعراء الجاهليين في تشبيهاتهم ، حيث يقول :"إنهم إذا ذكروا الرحل والكور والقتـود شبهوا الناقة بالصعل أي : الظليم أو الجأب (حمار الوحش) أو الثور ، وإذا ركبوا الخيـل للصبوة أو الميعة أو الغارة ذكروا القطاة ، والصقر وفي كل هذه القصص مطاردات ، ففي الأرض مطاردات ، بين العير والقانص ، أو بين الثور وكلاب الصيد ، وفي الجو مطـاردة بين القطا الكدري ..وبين الصقر ، في الأرض طراد وفزع وفي الجو طراد وفزع ، حـتى الصعل الذي هو الظليم ، غالبا ما يفزع على بيضه ، وهذا الفزع إنما هو من كلاب تفزع ثوراً آمنا ، أو من قانصٍ يفزع أتنا ، مسالمة رافهة ، تعيش في ظل عيش خصب ، ورعاية حمار كريم ، أو قطاة ذاهبة لوردها فيفجؤها صقر شرس فيصكها بجناحه أو ينفـذ فيهـا منسره ، وكأن الحياة في هذا الضرب من التشبيه ليست إلا عدوانا ، وصراعا بالغ الحدة ، لأن القوي فيه لايستهدف إلا حياة الضعيف "[2].

ويبدو أن أوس بن حجر وغيره من الشعراء الجاهلين الذين برعوا في إجادة هذا النـوع من التشبيهات ،كانوا يصورون خلجات أنفسهم من خلال هذه القصص ، وما يعانونـه من الفزع الدائم من أعدائهم ، تجاه ما يلاقونه من استهداف، دون سبب أو مبرر، ممـا يقحمهم في عملية الصراع الذي يجبرون عليه ليخلصوا أنفسهم من هذا العدو الذي دوما ما يتربص بهم .

ويقول شيخنا أبوموسى ـ وهو في صدد تحليل بعض عناصر الصورة في مثل هذا النـوع من التشبيهات ـ :" إنما هو كلام مسوق لوصف وذكر هذه الأحداث ، كما ترى في

---

[1] " مسائل في فلسفة الفن :ص١٢٩" جان ماري جو ، ترجمة الدروبي، بنقلاً عن كتاب " التصوير البياني د.محمد أبو موسى ص٢٨٨"

[2] مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ص ١٥٨ص/١٥٩.د. محمد أبوموسى ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٨هـ ، مكتبة وهبة .

حكاية العير مع الأتن ، والصائد ، أو حكايات الثور مع كلاب الصيد ، أو القطاة مـع الصقر ، وهي صور من أنبل ،و أرفع ما وصفه لسان الشعر ، وأثرى ما أودع فيه حكمته وفنه ، ولقانته ، ووحيه ، ورمزه "[1].

(١) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني : ص١٥٨ .

ب ـ تشبيهات الناقة وصلتها بقصة حمار الوحش:

ويقول أوس ـ مستطرداً ـ في وصف ناقته، و مشبهاً إياها بحمار الوحش [1]:

وأدماءَ مثلَ الفَحل يومـاً عرضـتُها لرحلـي وفيهـا جُـرأةٌ وتقـاذُفُ
يزل قُتـودُ الرحـلِ عـن دأياتهـا كما زل عن رأس الشجيجِ المَحـارفُ
إذا ما ركابُ القَومِ زيـ ـلَ بينـ ـَها سُرى الليلِ منها مُسـتكين وصـارفُ
علا رأسها بعد الهبـابِ وسـامحت كمَـحلوجِ قُطنٍ ترتمـيه النـوادفُ

يصف أوس ناقته في قوتها ، وصلابة أعضائها وجرأتها وتقاذفها في الطريـق ويشـبهها بالفحل ، وهو البعير العظيم الخلقة ، وذلك لما بينهما من القوة والصلابة . بياناً لجلد هذه الناقة وتحملها أعباء السفر ، ولعل الشاعر جاء بهذه الأوصاف لناقته تمهيدا للبيت الـذي يليه ، والذي ذكر فيه أسباب وقايته من القوم الذين يتمنون ويريدون هلاكه ، فناسـب ذكر الناقة التي حملته ،وأوصافها الذكورية التي تدل على قوتها وشدتها ،ذكر وقاية الإله له من الردى الذي يتمناه القوم له ، فقال:

فَإن يهو أقـ ـوام ردايَ فَإنـ ـما يقيني الإلـهُ مـا وقـى وأصـادفُ

ثم يشبه حالة زلول رحلها عن كاهلها بحالة زلول الميل عن الجرح من رأس المشـجوج. وهي صورة دقيقة تصف سرعة هذه الناقة وتفانيها في المسير .فهي أذا سـرت ركـاب القوم في الليل ، وظهر عليها علامات الكلل ، والتعب ؛ بما تحدثه من الصمت، أو ظهر صوت صريفها ، تميز الأمر لك وعرفت الفرق ، وبرزت قوة هذه الناقة ،التي إذا اهمت للقيام كسا رأسها زبد لغامها . فالشاعر يصور زبد لغام الناقة الذي يعلو رأسها إذا اهمت للقيام ، ويشبهه بمحلوج القطن الذي تبعثره النوادف ، ووجه الشبه بينهما ، هـو هيئـة البياض . وهو دليل على علو همة الناقة وجدها في السير .. وقد وفق الشاعر في إصـابته للتشبيه ، ورسمه لصورة تكاد تكون مطابقة للواقع .فهناك جامع صحيح وإن كان هـذا

---

[1] الديوان : ص٦٤ ـ ٦٦.(دأياتها : الدأيات : فقار الكواهل في مجمع مابين الكتفين . الشجيج : المشجوج . المحارف : جمع محراف وهو الميل الذي تسير به الجراحات).

الجمع لا يخلو من الطرافة والغرابة ، " والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكـون الشـبه المقصود ممالا يتسع إليه
الخاطر ، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يشبه به ، بل بعـد تثبـت وتذكر ، وفكر للنفس في الصورة التي تعرفها ، وتحريك الـوهم في اسـتعراض ذلـك واستحضارها ما غاب عنه"[1] . " فبعض المعاني حين يقع عليها الحس ، أو تستحضر في النفس ،وينفعل بها المنشي يسرع خاطره وخياله إلى استحضار نظائرها ، تبعـا لقـانون التداعي ، والبعض الآخر لا يسرع الخاطر والخيال إلى استحضار أشباهه بمجرد الإحساس والانفعال "[2] .

فالأساس العام في التفاضل هو مقدار الحاجة إلى الروية ، والفكر ، والتأمل ، والتـذكر ، والتدبر في استحضار النظير الملائم ثم في طريقة إبرازه ،وصياغته في صورة مناسبة تعكس الدقائق الحسية والمعنوية والمعاني الروحية .[3] وأحسب أن أوساً قد وفق في كل هذا حين جاء بالفعل المضارع (ترتميه النوادف) فأعطت صورة توضحية أدق توحي لنا باستمرار ذلك المشهد ، ثم نلاحظ المعاني النفسيه والروحية التي تثيرها صورة (القطن المنـدوف) واللون الأبيض الناصع الذي يبعث على التفاؤل والارتياح ، من سلاسة مشاها، ونعومة ملمسها.

وأنحَت كمـا أنحـى المَحالـةَ مـاتح على البئر أضحى حوضُهُ وهو ناشـفُ
كأن ونىً خانت بِـه مـن نِظامهـا معـاقدُ فَارفَضت بِهـن الطَـوائفُ

(الونى : جمع ونية وهي الدرة) يصور أوس مشهد ناقته عندما أنحت : أي سارت على جهتها اليسرى فهي ، تشبه البكرة التي يجلب عليها رشأ الدلو ، وهذا التشبيه يدل علـى مدى وعي الشاعر بالبيئة المحيطة به ، ومعرفته بدقائق الأمور ، وحسـن ملاحظتـه لهـا .فالبكرة التي تستخدم في جلب الماء بواسطة رشأ الدلو، عادة ماتسير بشكل دائري على

---

[1] أسرار البلاغة :ص ١٥٧.

[2] بيان التشبيه دراسة تاريخية وفنية : ص ٣٤٩.د، عبـد الحميـد العيسـوي ، الطبعـة الأولى ١٤٠٨هـ ، .

[3] المرجع السابق : ص ٣٤٩.

جهة واحدة مما يجعل اعتمادها يقوى في السير على جنب دون جنب .ثم راح يرسم لنـا الشاعر الناقة في سرعتها ويشبه حالها ، بحال الدرر المنظومة في سلك ، فخانهـا النظـام فانفرطت ،والجامع بينهما السرعة ،

فالمشبه هنا صورة مركبة دلّ عليها لفظ مفرد ، والمشبه به صورة مركبة من عدة عناصر ، و صورة المشبه به هنا وإن كانت مألوفة إلا أنها لاتشاهد بالعين إلا بشكل نسبي ، فتشبيه الناقة في سرعتها بانفراط درر العقد أمر لايخلو من الغرابة ، والطرافة ، ففيه نـوع مـن الخروج عن المألوف في تركيب الصورة ، وهي تظهر الجو النفسي الذي يشعر به الشاعر ، والشعور بالغربة ، وأزعم أن هذا النوع من التشبيهات ممالا ينزع إليه الخاطر ، ولايقع فيه الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يشبه به كما قال الإمام عبد القاهر [1] . والـنفس مجبولة على أن تهش لمثل هذا العزيز النادر من التشبيه الذي ترى فيه اتساعا لمـداركها ، وامتدادا لصلتها بالكائنات . " أن مما يقتضي كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس ، أن يكثر دورانه على العيون ، ويدوم تردده في مواقع الـنفس والأبصـار ، وأن تدركه الحواس في كل وقت أو أغلب الأوقات وبالعكس وهو أن من سبب بعـد ذلـك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر ، وتعرض صورته في النفس ، قلـة رؤيتـه "[2]... وإذا كان هذا الامر لايشك فيه ، بان منه أن كل شبه رجع إلى وصف أو هيئة من شـأنها أن ترى وتبصر أبدا ،فالتشبيه عليه نازل مبتذل ، وماكان بالضد من هذا وفي الغاية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع ... فماكان منها إلى الطـرف الأول أقرب فهو أدنى وأنزل وماكان إلى الطرف الثاني اذهب ، فهو أعلى وأفضل ، وبوصـف الغريب أجدر ".

وقد أحسن الشاعر في هذا التشبيه حينما باعد مابين الطرفين في العين، وقارب ما بينهما في العقل، وهذا من بديع صنعة التشبيه . يقول عبد القاهر :" واعلم أني لست أقول لك أنك متى ألفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمـر شـبها

---

[1] أسرار البلاغة:ص ١٥٧.

[2] المصدر ذاته: ص١٦٥.

صحيحاً معقولاً ، وتجد للملائمة والتأليف السوي بينهما مذهبا وإليهما سبيلاً وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك ، من حيث العقل ،والحدس و في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس "[٣] .

كأن كُحيلاً مُعقَداً أو عنيقةً ... على رجع ذفراها من الليت واكفُ

يُنفرُ طيرَ الماءِ منها صريفُها ... صريف محالٍ أفلقَتهُ الخَطاطفُ

كأني كسوتُ الرحلَ أحقَبَ قارباً ... لهُ بِجُنوبِ الشيطين مساوفُ

يُقلّبُ قَيدوداً كأن سراتها ... صفا مُدهُنٍ قَد زحلقَتهُ الزحالفُ

هنا الشاعر يشبه حال ناقته وهي تتلفت ، بناقة صب على أعلى عنقها القطران أو العنية . وذلك لمابينهما من السرعة التلفت ، والقلق في الحركة ، وذلك إظهاراً لسرعة سيرها وقلقها . ثم شبه صوت صريف ناقته بصوت صريف بكرة أتعبتها الخطاطيف التي عقدت بها .، فالمشبه به هنا مركب من عنصرين هما: صوت البكرة ، والخطاطيف التي أنهكت هذه البكرة . والجامع بينهما هو ارتفاع الصوت .والملاحظ في هذا التشبيه اعتماد الشاعر على حاسة السمع في رسم صورته البيانية وهذا النوع من التشبيهات قليل في ديوانه، إذ الغالب الأعم عنده ، هو الاعتماد على حاسة البصر كما هو الحال في سائر تشبيهاته .ثم ينتقل أوس ليرسم صورة بيانية متكاملة الأطراف ، والمعالم ، ليظهر من خلالها صورةّ تحكي قصته ، وحجم معاناته التي يكابدها وذلك بالانطلاق من رحله الذي يحمله على ناقته ، فشبه ناقته – التي سبق أن وصفها فلم يدع صفة من صفات الحسن في الناقة ، إلا وقد نعتها بها – بالحمار الوحشي الأحقب ، واختيار الحمار الأحقب يدل على عناية الشاعر وتأنقه في اختيار ما يشبه به الناقة بأجمل الأوصاف في الهيئة واللون ، فضلا على الغرض الذي يريده وهو السرعة.وهو وصف شائع للون الحمار عند الجاهليين فهذا بشر بن أبي خازم يشبه ناقته بحمار وحش أحقبٍ [١]:

كأن فُتودي على أحقَبٍ ... يُريدُ نحوصاً تؤُم السِلاما

---

[٣] المصدرذاته :ص ١٥١.

[١] ديوان بشر بن أبي خازم : ص١٨٧،تحقيق عزة حسن ط٢،منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،١٩٧٢م.

ونجده عند الأعشى كذلك[٢] :

عرندسة لا ينفُضُ السـيرُ عَرضـها كأحقَـب يِـالوفراءِ جـأب مُكَـدم

وقد ورد ذلك عند الشماخ _ أيضاً ـ ، ويبدو لنا تشابها كبيراً بينه وبين أوس مما يشير إلى إمكانية تأثره به حين يقول [١]:

كأني كسوتُ الرحلَ أحقَب ناشـطاً من اللاءِ مـا بـين الجنـابِ ويـأجج

وفي موضع [٢]:

كأني كسوتُ الرحلَ أحقَب سـهوقاً أطـاع لـهُ في **رامـتين حـديقُ**

وفي موضع [٣]:

كأن قُتودي فَـوق أحقَـب قـاربٍ أطاع لـهُ مـن ذي نُجـار عَميرُهـا

ثم يلاحظ في تشبيه أوس نوع من التقد يم التأخير في بناء الجملة ، مع وضوح الدلالة في المعنى ؛، والقياس أن يقول : كأني كسوت الأحقب الرحلَ ؛. ثم يلاحظ دقة الشاعر في اختياره لأوصاف هذا الحمار ، فهو قارب : والقارب الذي يحمل الماء ليلاً ،وهويدل على عطش هذا الحمار؛ فهو أسرع مايكون وهو على هذا الحال [٤].

كما أن في ذكر الشاعر للمساوف :أي أبوال الحمير التي يشتمها ذلك الحمار سبباً آخـر يستدعي زيادة سرعته ، وذلك أنه قد عرف من طباع هذا ذلك الحيوان شدة غيرته مـن

---

[٢] ديوان الأعشى : ص١١٩. تحقيق محمد محمد حسين ،مكتبة الآداب ، مصر ،١٩٥٠م.

[١] ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني : ص٨٦، تحقيق صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصـر ، ١٩٨٢م.

[٢] المصدر ذاته :ص٢٤٥.

[٣] المصدر ذاته : ص١٦٦.

[٤] أنظر شرح أبيات مغي اللبيب ج١/ ١٦٦، صنعة عبد القادر بن عمر البغدادي ، ت/ عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف الدقاق ، الطبعة الثانية ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م.

ذكور جنسه على إناثه "والحمار يغار ويحمي عانته الدهر كله ، ويضرب فيهاكضربه لو أصاب أتانا من غيرها ".[1] ولذلك تراه يشتم كل أرض ينزل فيها مع إناثه
، فإذا وجد بها أبولاً لذكور الحمر نفر بأتنه منها خشية منافس أو غريم ، وهو في نفوره منها يكون أشد نفوراً وسرعة [2]، فباجتماع شدة الغيرة على أتنه ، وشدة العطش والاجتهاد في حمل الماء، يبلغ الحمار أقصى ما يمكن أن يبلغه في السرعة ، وهذا دالّ على على إجادة أوس لوصف الحمر ، ومعرفته بدقائق أحوالها ، فلاغرو إذاً أن يشهد له بذلك ناقد حصيف مثل ابن قتيبة حينما قال : "وكان أوس بن حجر عاقلاً في شعره ، كثير الوصف لمكارم الأخلاق ، وهو من أوصفهم للحمر والسلاح " [3]وهذا الحمار يتحكم بالأتن تحكماً تاماً فلا تستطيع الأتن مخالفته وإلا فإنه يزجرها ويعضها . وصورة هذا الحمار المتحكم بالأتن متوافقة مع صورة الحمار عند غيره من الجاهليين ، وهم عادة ما يعنون بالصفات التي تظهر قوة الحمار وشدة بأسه ، مثل الأعشى حين يقول [4]:

أذَلك أم خميصُ البطن جأب ... أطاع لهُ النواصفُ والكَديدُ
يُقَلبُ سمحجاً فيها إباءٌ ... على أن سوف تأتي ما يكيدُ

وعند النابغة الذبياني[5] :

أقب كعقد الأندري مُسحجٍ ... حُزابيةٍ قد كدمتهُ المَساحلُ
أضر بِجَرداءِ النِسالة سمحجٍ ... يُقَلبها إذ أعوزته حَلائلُ

---

[1] الحيوان ج٤/ ٩٨.لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ت/ عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ .

[2] انظر الحكاية في تشبيهات الجاهليين :ص ١١٣.

[3] الشعرو الشعراء ج٢٠٢/١.

[4] ديوان الأعشى : ص٣٢٥.وبهامشه (النواصف : بطون الأودية المتسعة . الكديد : الوادي العظيم) .

[5] ديوان النابغة الذبياني : ص١١٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧٧م.وبهامشه : (الأندري : نسبة إلى قرية بالشام . المسحج : المعضض . حزابيه الغليظ :الشديد).

ويظهر الفرق بين كل من أوس ، والأعشى والنابغة ،أن أوساً بدأ بوصف معالم الجمـال في هذا الحمار قبل وصفه معالم القوة والبأس فبدأ بذكر لون الحمار فهو أحقـب : أي في بطنه بياض ، وكذلك أتانه فهي حقباء العجيزة مايدل على روح الشاعر المفعمة بحـب الجمال ومظاهر الحسن ، في حين أن كلاً من الأعشى والنابغة قد بدآ بوصف معالم الشدة وقوة التحمل فهو" **خميص البطن جأب**" عند الأعشى، أما عند النابغة فهـو " **مسـحج حزابية قد كدمته المساحل** " . ولايستطيع البحث أن يتجاوز الصورة دون الإشارة إلى الفعل " **يقلب**" وما تفيده من معنى السيطرة والتحكم في التصـريف ، وهـي تـذكرنا بالسياق القرآني في قوله تعالى [1]: ﴿ **يُقَلبُ اللهُ الليلَ والنهار إن في ذَلك لعبرةً لـأولي الأبصار** ﴾. وقوله تعالى في سورة الكهف [2]:﴿ **وَنُقَلبُهُم ذَات اليمين وذَات الشـمال وكَلبُهُم باسطٌ ذراعيه بالوصيد** ﴾.

يُقلبُ حقبـاءَ العجيـزة سـمحجاً ... بهـا نـدب مـن زره ومناسـفُ
وأخلفَهُ مـن كُـل وقـط ومُـدهُنٍ ... نِطـاف فَمشـروب يبـاب وناشـفُ
وحلأهـا حتّـى إذا هـي أحنقَـت ... وأشرف فَـوق الحـالبين الشراسـفُ
وخـب سـفا قُربانِـه وتوقـدت ... عليـه مـن الصـمّانتين الأصـالفُ

يصف أوس قوة هذا الحمار الوحشي ، وهو يحكي أدق تفاصيل ممارساته في الحيـاة مـع أتنه، فيشبه ظهر أتانه الطويل، بالنقرة التي في الجبل تحبس الماء ، وقد تملس مـن كثـرة المتزحلفين عليه . ثم يستطرد في وصف هذا الحمار، إظهاراً لقوته ، فهو لايزال يقلـب، ويصرف في أتانه الحقباء العجيزة : أي البيضاء موضع العجيزة ، حتى أدماها ، وظهرتعليها علامات وجروح من جراء تقليبه لها ، وزره، وعضه إياها. فالذي أخلفه في أن يستزيد في طلب حاجته من الماء هو النطاف ، والمشروب اليباب والناشف من كل وقط ومـدهن ،

---

[1] سورة النور : آية رقم (٢٤).
[2] سورة الكهف : أية رقم (١٨) .

ولفظة (**كل**) تفيد العموم ، وكأنه أراد أن يقول أنه قد استقصى كل أماكن وجود الماء التي يظنها فلم يجد فيها شيئاً ، فصار في حكم من وعد وأخلف .ومن المعلوم أن كلمة أخلفه أصل دلالتها واستعمالها خاص بالإنسان ، وجاءت في هذا السياق على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .ثم يتتابع المشهد والضمير في "**حلاها**" عائد على يباب الوقط والمدهن التي منعته من الورد عندما ظن أن الماء متبقٍ فيها حتى بلغت هذه الأتن من العطش مبلغاً ضمر فيه بطنها وصار لاصقاً بظهرها، وبرزت أضلاع صدرها من ناحية الحالبين من البطن . " لقد استطاع شعراء هذه المدرسة[1] أن يغيروا من مجرى النهر الذي كان يتدفق فيه الشعر الجاهلي إلى مجرى جديد ، يقف فيه الشاعر أمام عمله الفني كما يقف الصانع أمام صنعته يجودها ويهذبها ويعيد النظر فيها مرة بعد مرة حتى تستقيم له على الصورة التي يريدها "[2]. فكل هذه المعاني تتجلى حين يقف البحث على معاني هذه الأبيات، ونتأمل في حسن وصفه ، ودقة صنعته . ويستمر أوس في وصف مشهد الظمأ الذي حلّ بهذا الحمار الوحشي ، وانقطاع الماء عن كل مكان كان يظن فيه من الماء بقية ، حتى بلغ منه مبلغاً أشرف فيه على حد الهلاك . فيقول إن الماء قد جرى وغاض من المكان الذي كان يرجى فيه ، واتقاد حرارة الجو زادت من تبخر ما تبقى من أثر لهذا الماء . ولاشك أن كلمة (**توقدت**) توحي لنا بمناخ ذلك المشهد ، وارتفاع درجة حرارة جوه ، وانتقاء الشاعر لكلمة (**خب**) التي تتناسب مع نفس المدلول ، وتؤآزره في المعنى . كل ذلك ينقل الحالة التي وصلت فيها درجة انعدام قطرة الماء، ومدى مأسوية المشهد.

فَأضحى يُفارات السِتار كأنهُ ... ربيئةُ جيشٍ فَهو ظمآنُ خائفُ
يقولُ لهُ الراؤونَ هذاك راكب ... يُؤبنُ شخصاً فَوق علياءَ واقفُ
إذا استقبلتهُ الشمسُ صد بوجهه ... كما صد عن نار المُهول حالفُ

يصور لنا الشاعر هذا الحمار الوحشي وهو على ذلك الجبل المرتفع فيشبهه بالطليعة التي تتقدم الجيش لتعس الخبر، وتعرف أحوال العدو وأخباره، وتحدد مواقعه.

---

[1] يقصد بذلك شعراء مدرسة الصنعة التي تبدأ بأوس بن حجر ثم زهير بن أبي سلمى ....

[2] دراسات في الشعر الجاهلي .ص ٨٤،الدكتور يوسف خليف ، دار غريب .

وقد وفق الشاعر في إصابة الغرض ، والجمع الصحيح بين طرفي التشبيه ، حينما وصف الحمار وهو يقود أتنه بربيئة الجيش ، فبينهما تطابق إلى حد كبير . فالحمار الذي يتقـدم على أتنه لكشف الطريق ، والتأكد من خلوه من صائد متربص ، أو عدو غريم ، وهـو يعاني من الظمأ والخوف ، يقابل حال الرقيب الذي يتقدم الجيش لتأمين الطريق والتأكد من خلوه من كمين منصوب أو عدو متربص [1]، والغرض هو إظهار مقـدار الحـرص والتيقظ والحذر عند هذا الحمار الوحشي القائد وبينما هو على ذلـك الحـال إذ يـراه الراؤون فقالوا عنه بأنه رجل يؤبن ميتاً فوق ذلك الجبل . ثم انتقل ليصور لنا صدود هـذا الحمار عن ضوء الشمس الحارقة، المبهرة بضوئها للعين ، والتي تزيد من ظمأه في نفـس الوقت فيشبه حال هذا الحمار ، بحال الحالف الذي يصد عن نار المهول ، تهيباً منـها ، ويحاول أوس أن يظهر لنا من خلال خبر هذه النار ، هيئة هذا الحمار أثناء صدوده عـن استقبال أشعة الشمس الحارقة ، ونفوره منها التي تزيد من شدة عطشه ، وحاجته للمـاء .وقد انتزع الشاعر هذا التشبيه من الموروث الشعبي السائد في عصره [2] .وتشبيه صدود الحمار عن الشمس بصدود الحالف عن نار المهول يعدمن قبيل تشبيه المحسوس بأمر معقول ؛لأننا لا نعلم الكيفية التي صد بها ذلك الحالف عن تلك النار وإنما هو معنى نسـتطيع أن نتخيله في عقولنا ، فندرك منه الغرض الذي أراده الشاعر . وقـد اختلـف النقـاد في استحسانهم هذا النوع من التشبيه ، فذهب أبو هلال العسكري إلى عدم استحسـانه إذ يقول : وليس هذا التشبيه بالمختار ، ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج مـا يـرى

---

[1] الحكاية في تشبيهات الجاهليين:ص ١١٧.

[2] وقد عرف هذا عند المتأخرين كبشار بن برد حيث يقول :

أبا مخلدٍ مازلت ساحَ غمرة صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطي

كسِنور عبد الله بيع بدرهمٍ صغيراً فلما شب بيـع بقـيراطِ

ديوان بشار بن برد ، ج٤/ ٩٥، شرح محمد الطاهر بن عاشور ، مطبعة لجنه التـأليف والترجمـة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ /١٩٦٦م.

بالعيان إلى ما يعرف بالفكر [١]. وهذا الرأي هو رأي جمهور المتأخرين مثل السـكاكي ، والخطيب ، والرازي ، والحموي، فهم يرون أن تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز أصـلاً .[٢] والسر في ذلك هو أن " الأوصاف التي ترد السامع فيها بالتمثيل من العقل إلى العيان والحس وهي في نفسها معروفة مشهورة صحيحة لاتحتاج إلى الدلالة على أنها أهي ممكنة موجودة أم لا، فإنها وإن غنيت من هذه الجهة عن التمثيل بالمشهادات والمحسوسات ، فإنها تفتقر إليه من جهة المقدار لأن مقاديرها في العقل تختلف وتتفاوت فقد يقال في الفعل : أنه من حال الفائدة على حدود مختلفة في المبالغة والتوسط ، فإذا رجعت إلى ماتبصرُ وتحس عرفت ذلك بحقيقته كما يوزن بالقسطاس ".[٣]

وقد أجاز ابن رشيق هذا النوع من التشبيه إذا كان الذي حمل الشاعر عليه أنه قصـد أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو عليه في الحقيقة ، كأنه أراد المبالغة ، وعلل ذلك بقوله [٤]:" ولعله يقول أو يقول المحتج له : معرفة النفس والمعقول أعظم من إدراك الحاسة ، لاسيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح قال الله عز وجل[٥] : ﴿ **طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشياطين** ﴾ .

وذهب ابن الأثير إلى أن هذا النوع من التشبيه من ألطف الأقسام الأربعة ؛ لأنـه نقـل صورة إلى غير صورة .[٦]

---

[١] ديوان المعاني: ج١/ص٣١٠، لأبي هلال العسكري ، على نسخة الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي ، عالم الكتب .

[٢] فن التشبيه : ج٢/٩٦، علي الجندي ، ط١، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٢م.

[٣] أسرار البلاغة : ص١٢٥.

[٤] العمدة ج١/٢٨٨، لابن رشيق القيرواني ، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل .

[٥] سورة الصافات: أية(٦٥).

[٦] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الأثير ، ج١/ص٣٨١،ت/ محمـد محـي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، ١٤١١هـ /١٩٩٠م.

ويقول العلوي فيه : هو من لطيف التشبيهات وأرقها ، وأدخلها في البلاغـة وأدقهـا ، ووجه البلاغة فيه : هو إلحاق المعاني بالأمور الحسية المدركة في الظهور والجلاء ، فيصـير في الحقيقة كأنه تشبيه محسوس بمحسوس ، وهذا في نهاية المبالغة [1]. ولعلّ العلوي قد بلغ من الدقة في الحكم والتعليل ما لم يبلغه السابقون حينما قاربه بتشبيه المحسوس بالمحسوس .

تذكر عينـاً مـن غُمـازةَ ماؤُهـا ... لَـهُ حبـب تسـتن فيـه الزخـارفُ
لَـهُ ثَـأد يهتـز جعـد كأنَّـهُ ... مُخـالطُ أرجـاءِ العُيـون القَراطـفُ
فأوردها التقريـبُ والشـد منـهلاً ... قَطاهُ مُعيـد كـرةَ الـورد عـاطفُ
فَلافى عليهـا مـن صُـباح مُـدمراً ... لناموسـه مـن الصـفيح سـقائفُ

(ثأد : الثرى . القراطف: القطيفة المخملة . صباح : اسم قبيلة . لناموسـه : القتـرة . سقائف : أحجار أو أخشاب طوال يسقف بها) .

فهذا الحمار تذكر عين غمازة وماءها ، أثناء صده عن جهة الشمس الحارقة ، فتـذكر أجمل ما يمكن تذكره ، أثناء بلوغه أشد ما يكون من العطش والكرب، وذلك من بـاب التداعي العكسي. ولم يكتف هذا الحمار بذكر تلك العين ومائها بل بات يسـتطرد في وصفها، ويستعذب ذلك الوصف ، ويلذُ له ، وكأنه يحـاول تخفيـف حـدة عطشـه، والخروج من ذلك الجو القاسي الملتهب، بمحاولة الدخول في عالم الذاكرة والعـيش في تلك اللحظات الأجمل بالنسبة له ، وهو على تلك الحالة . وهذا دال على مدى التفاؤل عند هذا الحمار ، وإيمانه بأن الشيء قد يلد من رحم ضده .ويجدر بالبحث أن يشـير إلى أن كلمة (**تذكر**) توحي بإيذان قرب الفرج وزوال الكرب.وأن التنكير في كلمة(**عيناً**) تدل على جمال تلك العين وعظمة قيمتها في نفس ذلك الحمار.

وصورة تذكر الحمار للماء واستغراقه في التفكير، متكرر عند الجاهليين ،فهذا لبيد بـن ربيعة يصف الحمار وقد بلغ من العطش مبلغاً عظيماً [2]:

---

[1] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ج١/ ٣٠٦، يحيى بن حمزة العلـوي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

[2] ديوان لبيد بن ربيعة : ص٨٢،تحقيق إحسان عباس ، ط١،وزارة الإرشاد والأنبـاء ، الكويـت ١٩٦٢م.

وذكرهـ ـا مناهـ ـلَ آجِنـ ـات بِحاجـ ـةَ لا تُنـ ـزحُ بالـ ـدوالي

وهذا الأعشى ـ أيضاً ـ يصف المعنى ذاته [1]:

فَلمّا علتْهُ الشمسُ واستوقَد الحَصـى تـ ـذكر أدنى الشـ ـرب للمُتـ ـيمم
فأوردها عيـناً من السـ ـَيف ريـةً بِهـا بُـرأ مثـلُ القَسـيل المُكمـم

فكل من أوس ، ولبيد ، والأعشى قد صوروا الحمار وهو يتذكر صورة الماء وقد بلغ غاية العطش ،إلا انهم اختلفوا في توصيفهم لذلك الماء ، فهي عند لبيد مناهـل آجنـات:أي متغيرات الطعم لا تنزح بالدلاء . وعند الأعشى ماء قليل كأدنى الشرب للمتيمم، أما أوس فقد استطاع أن يتميز بوصف الماء لذلك الحمار وهو في تلك الحالة من العطش فعين الماء التي يتذكرها لها حبب تستن فيها الزخارف: أي الذباب الصغير يتطـاير فوقهـا ، أمـا أرضها فندية الثرى لينة تشبه قطعة القطيفة المخملة ؛ يريد أن يظهر نعومة تلك الأرض ،و يستطرد أوس في وصف تلك العين ،وكأنه في حلم لا يريد أن يستيقظ منـه . ويظهـر للباحث أن هروب الشاعر بالاتجاه المعاكس للحالة التي هو عليها في الحقيقة يعد من دقائق صنعته البيانية ، ومن لطائف حيله النفسية .فنراه يذكر لنا عين غمازة ومائها والحبـب التي تستن فيه ، في الوقت الذي بلغ فيه أحلك مايكون من الظمأ والخوف والكرب ، ثم يذكر لنا ثراها الندي الرطب ، في الوقت الذي يصف لنا فيه حرارة الشمس الملتهبة المحرقة ، ثم يشبه لين تلك الأرض بقطعة القطيفة المخملية الناعمة ، في الوقت الذي ذكـر فيـه أرض الصمانتين : وهي أرض غليظة، والأصالف ، وهي الأرض التي اشتدت وصلبت .

ومن لطيف ما ذكر الإمام عبد القاهر في هذا الباب قوله :" وما ينظر إلى هذا الفصـل ويداخله ويرجع إليه حين تحصيله الجنس الذي يراد فيه كون الشيء من الأفعـال سـبباً لضده ، كقولنا:" أحسن حين قصد الإساءة " و" نفع حين أراد الضر " ... وصـور في نفس الإساءة الإحسان ، وفي البخل الجود ، وفي المنع العطاء ، وفي موجب الذم موجـب

---

[1] ديوان الأعشى : ص١٢١..

الحمد ، وفي الحالة التي حقها أن تعد على الرجل حكم مايعتد له ، والفعل الذي هو بصفة مايعاب وينكر ، صفة مايقبل المنة ويشكر ، فيدلّ ذلك بمايكون فيه من الوفاق والحسن مع الخلاف البين ، على حذق شاعره ، وعلى جودة طبعه وحدة خاطره ،وعلو مصـعده وبعد غوصه "[1] . ثم يتابع الوصف ، فالتقريب والشد ؛أورد هذا الحمار منـهلاً دائـم النبع ، فهو مستمر لا ينقطع ، حتى أن قطاه لا تبرح عنه دائمة النزول فيه ، والتقريـب والشد ،يدلان على اجتهاد هذا الحمار ومثابرته، حتى إن الشاعر لم يسـند الفعـل إلى الحمار ، بل أسنده إلى فعلها "**فأوردها التقريب والشد**" ، فكأن الشاعر يريد أن يقول إن جد هذا الحمار واجتهاده ، ومثابرته هي التي أوصلتهإلى هذا المكان الرائع ، وتنكير كلمة "**منهلاً**"تدل على تعظيم هذا المكان ، وقد عبر الشاعر عن غزارة هذه العين ، واستمرار تدفق مائها بأسلوب الكناية عن صفة حين قال :"**قطاه معيد كره الورد عاطف**".وهـو أبلغ في الدلالة على غزارة الماء، وعدم انقطاعها .

ثم لاقى هذا الحمار على المنهل صائداً محترفاً يتربص له وهو مختبيء في كمين ، وذكر اسم قبيلة الصائد تدل على احترافهم ومهارتهم للصيد ، وكلمة " **مدمراً** " تدل على درجـة فتك هذا الصائد ، والذي يعزز هذا المعنى حرف الفاء في كلمة "**فلاقى** " التي يظهر منها صفة الفجائية في هذا التلاقي؛ مايدل على مهارة هذا الصائد في تكمنه ، واختفائه عـن ترقب هذا الحمار وتيقظه ، وتأمل استخدام أداة الظرفية (عليها) ولم يقل (فيها) ، مـا يدل على استحواذ هذا الصائد على هذا المنهل ، وانظر إلى جملة "**لناموسه من الصـفيح سقائف** "وما تحمل من معنى كنائي عن خبرة وتمرس هذا الصائد ،قـال البغـدادي :" ناموس الصياد : موضعه الذي يستتر فيه من الوحش ، وقوله من الصفيح سقائف ، يعني أن الصياد الذي كان فيه ، ابن صياد ، ورث الناموس من أبيه ، لأن سقف النـاموس إذا كان من خبث لم يلبث "[2].

---

[1] أسرار البلاغة :ص١٥٥.

[2] شرح أبيات المغني: ج١٦٨/١.

ج ـ تشبيهات الناقة وصلتها بقصة الصائد .

قال أوس [1]:

فَلاقى عليها مـن صُـباح مُـدمراً لناموسـه مـن الصـفيح سـقائفُ

صد غـائرُ العيـنين شـقق لحمـهُ سمائمُ قَـيظ فَهـو أسـودُ شاسـفُ

أزب ظُهـور السـاعدين عظامُـهُ علـى قَـدر شـثنُ البنـان جُنـادفُ

أخـو قُتـرات قَـد تـيقن أنـهُ إذا لم يُصب لحماً من الوحش خاسفُ

(قدر : ليس ضخماً . جنادف : قصير غليظ مجتمع. قترات : جمع قترة وهو بيت الصائد خاسف : مهزول جائع).

أي أن هذا الصائد بلغ غايةً في العطش برغم أن المنهل بين يده ؛ إلا أن لزومه في مكمنه حرصاً على عدم نفور الحمار لاصطياده، لزم منه عدم الشرب والصبر على عطشه حـتى يبلغ غايته . وغور عيني الصائد ، وتمزق لحمه من القيظ والحر ، وضموره ، وسواد لونه ، كل هذا يدل على شدة بأس هذا الصائد،وقسوته ، وقوة فتكه، وشظف عيشه ،وعـدم تنعمه ،ولعل مايميز أوساً عن غيره من الجاهليين الميل إلى النزعة التفصيلية في الوصف ، فقد ذكر جملة من أوصاف الصائد إن لم تكن كل أوصافه الظاهرية فهو " **صد ، غائر العينين ، شقق لحمه سمائم قيظ ، فهوأسود ناشف ، أخوقترات** " بينما يجمل بعضهم كل تلك الصفات في جملة كأن يشبهه بالذئب ـ مثلاً ـ كالأعشى [2]:

وصادف مثلَ الذئبِ في جوف قُتـرة فَلَمّا رآهـا قـالَ يـا خـير مطعـم

فاحتراف الصيد بالنسبةلصائد حمار الوحش عند أوس قُوته الذي يقتات منه ، وحرفتـه التي يتقنها، ويعتمد عليه اعتماداً مباشراً في طلب رزقه . وكل هذا الأوصاف عبرت عـن المعنى عن طريق الكناية ،وتعني انشغال هذا الصائد عن التـزيين والاهتمـام بنفسـه ، وانهماكه فيما يعود عليه بالنفع ، وانصرافه عن المظاهر الشكلية التي لا تتناسب مع كمال حرفة الصيد التي يقتات منها. فهو أخو قترات ، أي صاحب قترات ، وهي كنايـة عـن

---

[1] الديوان : ص٧٠.

[2] ديوان الأعشى : ص١٢١.

احتراف هذا الصائد ، ومهارته العالية في الصيد ، فهذا الصائد قد تيقن بما لايدع مجـالاً للشك أنه إذا لم يصب لحماً ، والتنكير في (**لحماً**) يدل على طلبه لحماً أي لحم كـان، دون شرط أو قيد مما يدل على أن طلبه للصيد ليس ترفها أو مجرد هواية ، بل حاجة ماسة ، وفاقة مدقعة ، ولو لم يكن كذلك لما بلغ حد الهلاك في قوله :(**خاسف**) الـتي تدل على أنه قد بلغ من الجوع مبلغاً صار فيه مهزولاً ضامراً .

مُعـاودٌ قَتـلَ الهاديـات شـواؤُهُ ... من اللحم قُصـرى بـادن وطَفـاطفُ
قَصي مبيت الليـل للصـيد مُطعـم ... لأسـهُمه غـار وبـار وراصـفُ
قَيسـر سـهماً راشـهُ بِمناكـبٍ ... ظُهار أُـؤامٍ قَهـو أعجـفُ شـارفُ
على ضـالة قَـرعٍ كـأن نـذيرها ... إذا لم تُخفضهُ عن الـوحش عـازفُ

(قصري: مايلي الكشح وهو أسفل الضلع . طفاطف : لحم رخص . قصي: لايبيت مـع أهله . غار : من غراه بالغراء . بار : من يرى السهم . راصف : مااشتد علـى صـدر السهم بمناكب : أربع رسشات على طرف المنكب . ضالة : شجرة السدر التي يعمـل منها السهم . نذيرها :صوتها . عازف : صوت ذو عزيف) .

أي أن هذا الصائد معتاد على الصيد لهذه الأتن والحمر الوحشية ، خبير بانتقاء أطيـب اللحم منها ، وطريقة شوائها ، وتأمل كلمة (**معاود**) والتعبير عن المعـاودة أو الاعتيـاد بالاسم وما تفيدة الجملة الاسمية من الثبوت والدوام على هذه الحالة .

أي أن هذا الصائد لا يبيت مع أهله إنما يبيت مع الوحش ، دائم الشغل بطـلاء سـهامه بالغراء ، وبريها وتثقيفها وشدها ، فهي شغله الشاغل ، وهمه الذي لا ينقطع عنه .

ويسترعي نظر البحث الجملة الأسمية " **قصي مبيت الليل للصيد مطعم**"وما أفادته مـن معنى المداومة على هذه الحالة ، ولم يقل قصي يبيت الليل يطعم أسهمه _ مثلاً_ ، ويجدر بالبحث تأمل أسماء الفاعل "**غار، وبار ،ورا صف** "وعمق الدلالة التي أفادتها مـن اسـم الفاعل، و صوت الراء في الجناس الناقص الذي ينساب كالراقرق على حاسة السـمع في جملة "**غار وبار**". ثم إن هذا الصائد أخرج سهمه في خفة ، وسرعة ،والذي يدل علـى ذلك كلمة (**فيسر**). وهذا السهم ليس سهماً عادياً كباقي السهام ،بل يحمل موصفات فريدة ، فهو مناكب الريش ، ملتئمه ، وهو أعجف، يمتاز بالطول والدقة، وبعد العهد في

صنعه .و الضالة هنا بمعنى القوس ، لأنه متخذ منه، وقد عبر الشاعر بهذا المعنى على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما كان ، والضال مما تصنع منه القسي عادة عند العرب ، وهو مـا نبت برياً لا يشرب الماء [1]. وفيه إشارة إلى أصل ذلك القوس ، وقوتها ، وحسـن تخـير صاحبها لفرعها الذي أخذت منه . فشبه الشاعر صوت هذا القوس بصوت العزيـف ، وأصل الجملة " كأن نذيرها عازف إذا لم تخفضه عن الوحش " هو من قولهم [1]: عزفت القوس عزفاً وعزيفاً: أي صوتت ، والعرب تجعل العزيف: أصوات الجن ومـن قـولهم : سلكت مفازة للجن فيها عزيف ، ومنها قول شاعرهم :

وإني لأجتـابُ الفـلاةَ ، وبينـها ءـوازفُ جنـان ، وهـام صـواخدُ

فهو يشبه صوتها بالنذير ، وشبه النذير بصوت العزيف ، وكلمة النذير تدل على مـايثيره صوت هذا القوس من فزع في النفوس ، قال ابن فارس :النون ، و الذال، والراء كلمـة تدل على تخويف أو تخوف منه [2]. وقد بلغ الشاعر غاية الإجادة والتوفيـق في إصـابة الغرض ، حينما جمع النذير مع صوت العزيف ، وواءم بينهما في إظهار المعنى الذي أراده ؛سواء كان مراده صوت الطبل بالليل الذي لايعلم فاعله ، أو صوت الجـن في فلـوات الصحراء المقفرة، فكلاهما يبثان حجم الفزع ، وإظهار الخوف من صوت هذا القـوس القاتل، ومايحدثه من رعب في نفس الإنسان، فضلاً عن تلك الحمر الوحشية . فكل هذه الأوصاف في القوس ، التي حملها الشاعر على لون من ألوان البيان وهو التشبيه المرسـل ، لم يسمع ، ولم يظهر لدى حمار الوحش ؛ لأن الشاعر قيد تشبيهه ذلك بشرطٍ وذلـك بقوله [3]: "**إذا** لم تخفضه **عن الوحش**" ولو لم يخفض صوتها لكان كما ذكر ، ولانكشف أمره عندها ، وحبط عمله كله .

---

[1] المنتخب من غريب كلام العرب ج٢/ ٤٣٦. لأبي الحسن الهنائي ، ت/ محمد بن أحمد العمري ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.

[1] اللسان والأساس مادة (عزف) ،والبيت المذكور في المعجم لايعلم الباحث قائله .

[2] معجم مقاييس اللغة (نذر) :ص٩٨٤.

[3] انظر معجم المصطلحات البلاغية . د. أحمد مطلوب:ص٣٤٣، الطبعة الثانيـة ، مكتبـة لبنـان ناشرون ، ١٩٩٦م.

فَأمهلـ ـهُ حتّـ ـى إذا أن كأنـ ـهُ ... مُعاطي يد مـن جمـة المـاءِ غـارفُ
فَأرسـلهُ مُسـتيقن الظـن أنـهُ ... مُخالطُ ما تحت الشراسـيف جـائفُ
فَمـر النضـي للـذراع ونحـره ... وللحين أحياناً عـن الـنفس صـارفُ
فَعـض بإبهـام اليـمين ندامـةً ... ولهـف سـرّاً أمـهُ وهـو لاهـفُ

أي أن هذا الصائد قد أمهل حمار الوحش حتى كاد أن يغترف من المـاء ، وقـد صـور الشاعر لنا الحد الذي اقترب منه ذلك الحمار من منهل الماء، ومشارفته على الورد منه ، ،حيث شبه حال الحمار وهو مشرف على الشرب من منهل الماء ، برجل على جرف ماء ، قد مد يده ليغترف له غرفة منه ، وهو ما يبين الحد الذي بلغه ذلك الصائد الكـامن في قترته ،من ذلك الحمار الحذر المتيقظ . والقرينة التي دلّت على أن أوساً شـبه اقتـراب الحمار من المنهل بالرجل ،هو استخدام كلمة "**يد**"، وكلمة" **غارف** "، حيث دلت علـى أن المشبه به هنا هو الرجل وليس الحمار وذلك عن طريق الاستعارة المكنية، حيث حذف المشبه به وأبقى شيئًا من لوازمه ، وهما اليد والغرف ، إذ ليست هي من أدوات الشـرب عند حمار الوحش .أي أن هذا الصائد أرسل سهمه نحو حمار الوحش ، وهو على يقين من أن سهمه سوف يصيب هذا الحمار في جوفه لا محالة ، بل ويخالط أضلاعه الرخصة من أطراف صدره المشرف ، ويصل إلى قلب جوفه .

ثم يبين أن هذا السهم لم يصب ذلك الحمار، وقد كنى الشاعر عن عدم إصابة سـهمه لذلك الحمار بقوله "**فمر النضي للذراع ونحره** " لأنه أرسله ليصير السهم إلى جوفه ، و ليخالط ما تحت الشراسيف ولم يرسله وهو مستيقن نحو الذراع والنحر ، ولعلّ في تعبير الشاعر عن عدم الإصابة بالكناية، بأن السهم قد مر نحو الذراع والنحر ، تخفيفاً عما وقع في النفس من تحسر وتندمٍ ، وتسللٍ من العار الذي سوف يلحق به ممن احترف حرفتـه ، التي برع فيها ، فتندم هذا الصائد،وتحسر .

وقد رسم أوس صورة الندم والتحسر ، وذلك عن طريق أسلوب الكناية عن صـفة في قوله :"**فعض بإبهام اليمين ندامةً**". وقال في سرٍ ، ـ لكي لايتنبه إليه الحمار ـ : "**يالهف أمتاه**" وهي عبارة تطلق عندما يبلغ المرء غاية الندم ، في الحسرة، وقد جاء هذا التعبير في

القرآن الكريم حكاية عن حال الظالمين يوم القيامة الذين فارقوا طريق رسول الله وماجـاء به من الحق من عند الله ، قال تعالى [1]:" ﴿ **ويوم يعض الظالمُ على يديه يقُولُ يا ليتنِي اتخذْتُ مع الرسُولِ سبِيلاً** ﴾[1] والظلم ، وضع الشـيء في غير موضعه [2]، ويسترعي النظر دقة التعبير القرآني في الوصف بالظلم لمـن لم يتبـع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووضع الاتباع في غير موضعه، وما أحـرى هـذا الصائد بالوصف بالظلم لنفسه حين لم يصب سهمه مرماه ،ووضعه في غـير موضـعه . وهذه الصورة التي رسمها الشاعر لنا ليعبر بها عن ندم الصائد الذي لم يحالفه التوفيـق في إصابة الهدف الذي سدد سهمه من أجله، تشبه الصورة التي رسمها الشـماخ في وصـف الصائد الفقير صاحب العيال حين خرج ليبحث عن طعام لأطفاله ، فوجد قطيعـاً مـن الحمر الوحشية على مورد الماء فسدد لهن سهمه ولكنه مر من بينهن ولم يصـب منـهن مقتلاً .حيث يقول واصفاً حاله[3] :

فَسـدد إذ شـرعن لَهُـن سـهماً ... يـؤُم بِـه مقاتـلَ باديـات
فَلهـف أمّـهُ لـمّا تولـت ... وعـض علـى أنامـلَ خائبـات

و تتابع الفاءات تصور لنا كيف تتابعت الأحداث المتسارعة ، وكيف بنى المشهد المـثير للدهشة والإعجاب ، والحسرة والندامة معاً في آنٍ؛ وذلك في بناء فني محكم رصين حين قال **(فأمهله ..، فأرسله.. ، فمرّ..، فعضّ بإبهام اليمين ندامةً)** ، وما أشبهها بأبيات أبي ذؤيب الهذليّ، حين قال [4] :

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم ج٤/ ٧٥، للإمام عماد الدين إسماعيل ابن كثير الدمشقي ، بإشراف/ محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط٢ ، دار صادر ، ٢٠٠٢م.

[1] سورة الفرقان (٢٧).

[2] معجم مقاييس اللغة (ظلم) ٦١٧.

[3] ديوان الشماخ :ص٧١.

[4] شرح أشعار الهذليين ،صنعة أبي سعيد السكري ، ج١/٢٢-٢٤ ، ت/عبد الستار فراج ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ،مكتبة دار التراث .

فَرمى فَأنفَـذَ مـن نحـوصٍ عـائط سهـ ـماً فَخـر وريشُـهُ مُتصـمعُ
فَبدا لَهُ أقـرابُ هـ ـذا رائغـ ـاً عجِلاً فَعيـ ـثَ في الكنانـة يُرجِـعُ
فَرمـى فَـألحَق صـاعدّياً مطحـراً ـِبالكَشحِ فَاشـتملت عليـه الأضـلُعُ
فَأبـدهُن حُتوفَهُـ ـن فَهـ ـارب بِذَمـائـ ـه أو بـارك مُتجعـ ـجِعُ

إلا أن صائد أبي ذويب قد أنفذ سهمه في تلك الحمر فصرعها ؛ لأن المقام عنـده مقـام رثاء، وتأبين لبنيه الخمسة الذين قضوا من البلاد وودعوا لما أصيبوا بالطاعون [1] والمقـام عند أوس غير هذا ،فهو مقام تنكّر، وتذكّر ، وانتظارٍ للأجل المحتوم الذي لامفر منه.

يقول ابن رشيق معلقاً على أبيات أبي ذؤيب في إحكام صنعته : " فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطّرد له ، ولم ينحلّ عقده ، ولا اختلّ بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاتـه إياه لما تمكّن هذا التمكن".[2]

وهذا الحكم ينطبق تماماً على شاعرنا أوس .

وجالَ ولَم يعكـم وشـيع إلقَـهُ بِمُنقَطـعِ الغضـراءِ شـد مُؤالـفُ
فَما زالَ يفري الشد حتّـى كأنمـا قَوائمُـ ـهُ في جانِبيـ ـه الزعـ ـانِفُ
كأنّ بجنبيه جنـابين مـن حصـى جِمارِ علاها النّقـع بحـر يقـاذف[3]

(يعكم : ينتظر . شيع : أعانه . الغضراء : الأرض الخضراء . يفري : يعمل . جنـابين : صفين)

---

[1] انظر تحليل أبيات أبي ذؤيب ، (قراءة في الأدب القديم ص٣١٠ -ص ٣١١.د. محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

[2] العمدة ج١/ ١٣٠.

[3] ورد هذا البيت بروايتين مختلفتين ، فقد ورد في نسخة الديوان :

كأن بجنبيه جنابين من حصى إذا عدوُهُ مرّا به مُتضايفُ

وورد في شرح المفضليات :ص٢٨٣ ، لأبي القاسم الأنباري ، مطبعة الأباء اليسـوعيين ،بـيروت ،١٩٢٠م. والرواية التي أثبتها في المتن، ، أرعى لسياق المعنى .

يقول إن هذا الحمار قد هرب ولم يكر ، ولم ينتظر ، وقد أعان أتانه على الجري والهرب من هذا الصائد ، وبات يجمع مابين أتنه ، ويؤلف ما بينها في أرض غضارة خضراء طيبة ؛ كي لاتفترق. مازال هذا الحمار مستمراً في هربه ، وقد بلغ في نفوره أشد ما يمكن تصوره من السرعة ، حتى أصبحت قوائمه تشبه زعانف الطير ، أي أن قوائمه باتت معلقـة ،لا تمس الأرض من سرعته ، وقد صور الشاعر هذا المشهد المعبر عن شدة نفور هذا الحمار ، وفزعه ، عن طريق صورة مركبة من عناصر معلومة أو مشاهدة بالحواس ، لكن ليس لهـا أصل على الهيئة نفسها في الواقع ، وهو ما يعرف بالتشبيه الخيالي. [1]

يصف الشاعر سرعة هذا الحمار النافر ، وما أحدثه من شدة نفوره . فشبه النقع وهو فوق هذين الجنابين ، ينعقد ويتطاير ، بالبحر الذي تتقاذف أمواجه بعضها فـوق بعـض . ويسترعي نظر البحث الجناس في قوله :(بجنبيه **جنابين**) ، وكيف صور تلاطم الأمـواج وتقاذفه في مشهد حي مشاهد ، بواسطة الفعل المضارع (**يقاذف**) ، وقد رسم الشـاعر شدة نفور هذا الحمار الفَزِع،وقد أعمل فيه ثقافته ، وسعة خياله ، حتى ألّف لنـا بـين المختلفين، وجمع بين المتناقضين حين جمع بين نقع البر وغباره ، وبين عباب البحر وأمواجه .وتأليف المختلف ، وتقريب المتباعد ، وتأنيس المتنافر ، والجمع بين التناقضات ، والبحث عن وشيجة رحم ، وعلة وسبب يجمع بين المشبه والمشبه به ؛هي فطرة النفس ، ومـبني طباعها ، وموضوع جبلتها التي عني بها ، الإمام عبد القاهر ، وفتن بها في قوله [2]:" ومبنى الطباع وموضوع الجبلة ، على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان بالشغف منها أجدر " . وقد عد الباقلاني التأليف بين المختلف ، والجمع بينهما وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني ،

---

(١) ومثاله في كتب البلاغة قول الصنوبري:

وكأنّ محمـرّ الشقيق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلامُ ياقـوت نشرنَ على رماحٍ من زبرجد

انظر أسرار البلاغة ١٥٩. ـ ـ ـ ـ ـ ـ المطول ٥١٩ ـ ـ ـ ٥٢٠ . الطراز ٢٧٥/١.

(٢) أسرار البلاغة ١٣١.

، " وما تصبو إليه النفس هو أن الله فطر النفس الإنسانية على حـب الائـتلاف ونبـذ الخلاف ، [٣]وحب التقارب ونبذ التباعد ، وحب الالتقاء ونبذ الافتراق ، وحب الحب وبغض البغض ، فهي تحلم دائماً بعالم موحد لا صراع فيه ؛ لهذا كان تأليف المختلف مما تصبو إليه النفس لأنه يصور لها جزءاً من حلمها وعالمها الذي تشتاق إليه " .

تُواهـقُ رجلاهـا يديـه ورأسـهُ لهـا قَتـب فَـوق الحَقيبـة رادفُ

تواهق : تجاري وتساير [١]. قتب : رحل صغير على قدر السـنام [٢]. الحقيبـة : هـي كالبرذعة ، تتخذ للقتب من الخلف [٣]. رادف : من ردفت الشيء إذا صرت خلفه .[٤]

يصف الشاعر حمار الوحش وهو يسوق أتاناً له، فهو يزعجها بملاصقة رأسه لموضع الحقيبة منها ، ومسايرة رجليها لقدميه ، وقد شبه رأس هذا الحمار ،وهو واضع رأسـه موضـع الحقيبة من هذه الأتان ، بالقتب الذي يوضع على الراحلة . وقد دلّ هذا التشبيه على شدة ملازمة هذا الحمار لأتانه ، ممايدل على شدة غيرته وشجاعته ـ أيضـاً ـ إذ لم يكـن متقدماً على أتانه فارا عنها ، بل كان متأخراً عنها ؛ فهو أقرب لسهام الصـائد الـذي يلحق به من الخلف .

يُصرفُ للأصـوات والـريح هاديـاً تميم النضـي كدحتـهُ المَناسـفُ [٥].

---

[٣] كان هذا التعليل الرائع لشيخنا الدكتور محمد أبو موسى من بعض محاضراته غير المطبوعة والـتي نقلناها عنه أثناء شرحه لكتاب أسرار البلاغة .بالدراسات العليـا لقسـم الأدب والبلاغـة لعـام ١٤٢٦هـ.

[١] تواهق : تجاري وتساير اللسان (وهق).

[٢] قتب : رحل صغير على قدر السنام اللسان (قتب).

[٣] الحقيبة : هي كالبرذعة ، تتخذ للقتب من الخلف . اللسان (حقب).

[٤] الديوان ٧٣.وبهامشه : رادف : من ردفت الشيء إذا صرت خلفه .

[٥] الديوان ٧٣. (رادف : من ردفت الشيء إذا صرت خلفه هادياً: الهادي ، العنق .تميم النضي:في عنقه طول وصلابة كدحته: أي عضضته. المناسف : فم الحمار).

أي إن هذا الحمار يصرف أي :يوجه عنقه ويتلّفت نحو مصدر الأصوات على وجه الحيطة والحذر ، ويتفقد الريح ، هل يجد رائحة إنسان ؟.

وقد وصف الشاعر عنق هذا الحمار بأنه تميم النضي : أي في عنقه طول وصلابة ، وهي كناية على كمال الخلقة وقوتها، إلا أن المناسف قد كدحته ، وهي كناية عن صفة الشجاعة عند هذا الحمار ،وكثرة منازلته ومقارعته لأنداده . وقد خص الشاعر العنق بالذكر ، ؛ لأنها الأداة التي تحمل كافة الحواس ، والتي هي بمثابة برج المراقبة التي يستكشف بها المخاطر قبل أن تحدق عليه .

ورأساً كدن التجر جأباً كأنما رمى حاجبيه بالحجارة قاذفُ
كلا منخريه سائفاً أو مُعشراً بما انفَض من ماءِ الخَياشيم راعفُ

(سائفا : أي يشم . معشرا: نهق عشراً . راعف : سائل)

يصف الشاعر كبر حجم رأس هذا الحمار، ويشبهه بالوعاء الضخم الذي يتخذ لبيع الخمر ، والتجارة فيه . ولم يكتف الشاعر عند هذا الحد بهذا الوصف عبر التشبيه المرسل ، للدلالة على قوة هذا الحمار وشدته ، بل أوغل في التشبيه؛ ليحقق الوصف الذي ارتآه لرأس هذا الحمار . فجاء بالأداة (**كأنما**) والتي هي أكثر مبالغة في تحقيق الشبه ؛ ليعبر عن غلظة هذا الحمار ، وجهامته ، عبر هذا التشبيه الذي يحمل في طياته كناية عن هذه الصفة ، صفة التجهم ، والعبوس ، والغلظة .فهذا الحمار بقي على حالين ، فتارة يشتم رائحة أبوال الحمير الأخرى ، وتارة يتابع النهيق ، وخياشيمه جارية السيلان .

وبعد هذه الرحلة الطويلة الماتعة ، التي روى لنا أوس حكايتها عبر فن من فنون علم البيان، امتدت لأكثرمن ثلاثين بيتاً، لتؤكد على براعة الشاعر ، وطول نفسه ،وعمقه في تقصي فكرته والإحاطة بها من جميع جوانبها. ابتدأ فيها الشاعر رحلته عبر حمار الوحشي الأحقب بقوله: (**كأني كسوت الرحل أحقب فارياً**) وكان هو بطلها ، في حكايته مع أتنه ، ومغامراته مع الصائد .

ولا نشك في أن أوساً كان يستوحي من خلال تلك الحكاية حقيقة أحسها في داخله ، وعكسها عبر صور التشبيه الذي قدمها لنا ، من خلال قصيدة تربو أبياتهاعلى الستين بيتاً

، كان الوصف عنوانها ، والتأمل غايتها . وكأن أحساساً يلازم صاحب القصيدة طـوال أبياتها بحتمية الموت الذي لامناص منه ، وأن يد المنون لن تخطئه وإن أمهله القـدر فسحة من العمر .وتعد صورة القوس من أجمل الصور التي أبدعها أوس في شعره إذ استوحى فيها فأودعها كل عاطفته ، "ولعلّ ظروف الحياة الصعبة ، التي تفجع الإنسان في أعز مايملـك ،وتجعله يقف حزيناً محتاراً فيما يفعل هي التي أوحت بصورة القوس تلك ، فليس كل من يخطط لشيء يناله ، فكثيراً ما تتعب في عمل ما ،وتبذل الجهد ،وتأتي النتيجة مخيبة للآمال "[1]. ولعل قصة حمار الوحش وأتنه مع الصائد ، تحكي موقفاً درامياً عجيباً فهي:"تعبث به الحياة وتفجره على نحو غريب ، لا الحمر تشرب ، ولا الصياد يظفر بـالرزق ، سـهم خاطيءواحد يملأ نفس الصياد ندامة وحسرة ، ويملأ نفوس الحمرخيبة وهلعاً فيلوذ الصياد بالحزن ، وتلوذ الحمر بالفرار ، وفي المدى الرحب تدوي قهقهة الحياة الساخرة ، ترددها الأودية والشعاب والنجود ، وبعد قليل تدور عجلة الحياةمن جديد ". [2]

---

[1] الصورة الفنية في شعر الشماخ :ص١٨٦،محمد علي ذياب ، وزارة الثقافة ، عمان ،٢٠٠٣م.

[2] الرحلة في القصيدة الجاهلية ،لوهب رومية : ص١٤٩.

ثالثاً: صنعة أوس في تشبيهات الإنسان :

أ- الرجل :

قال أوس يرثي فضالة بن كلدة [1] *:

ألم تُكسف الشمسُ والبـدرُ وال ... كواكـبُ للجبـل الواجِـبِ
لفَقد فَضـالةَ لا تسـتوي الـ ... ـفُقـودُ ولا خلـةُ الـذاهبِ
ألهفاً على حُسـن أخلاقـه ... على الجـابِر العظـم والحـاربِ
على الأروع السلْـبِ لـو أنـهُ ... يقـومُ علـى ذروة الصـاقبِ
لأصبـح رتـأ دُقـاق الحَـصى ... كمـتن النبـي مـن الكـاثـبِ
ورمْـبتـه حـتمَـات المـلوك ... بـيـن الـسـُرادق والحَـاجِـبِ
ويكْفـي المَقالـةَ أهـل الرجـلِ ... لـ غـير معيـبٍ ولاعائـبِ
ويحبو الخَليـلَ بخـَيرِ الحبـا ... ءِ غَيـر مُكـب ولا فاطـبِ
برأس النـجيبة والعـبد وال ... ولـدة كالجـؤذُر الكاعـبِ

---

[1] الديوان:ص١٠ ،وبهامشه : (حارب : أي المحارب الذي يسلب الناس أموالهم في الغزو ، وكـان العرب يمتدحون بذلك . متن النبي : اسم جبل .السرادق : كل ما أحاط بشـيء مـن حـائط أو مضرب. والمكب : كثير النظر إلى الأرض . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والكاعب : المرأة حين يبدو ثدييها للنهود).

* وله معه خبر .فقد كان أوس يسير في ليلة مظلمة إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذاه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غدا جوارى الحي يجتنين . فبينا هن كذلك إذ أبصرن بناقته تجول وقد علـق زمامها في شجرة وأبصرنه ملقى ، ففزعن فهربن . فدعا بجارية منهنّ فقال لها : من أنت ؟ فقالت : أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة ، فأعطاها حجرا وقال لها : إذهبي إلى أبيك فقولي ابن هذا يقرئـك السلام . فأخبرته فقال : لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهله حتى بـنى عليه بيته حيث صرع وقال : والله لا أتحول أبدا حتى تبرأ . ولأوس فيه وابنته حليمة مدائح عدة . (الأغاني ٧٦/١١).

يرثي أوس في هذه الأبيات فضالة بن كلدة [1]، ويتعجب من هذا الكون ماله لا يتـأثر بفقد هذا الرجل العظيم ، فما للشمس لا تنكسف ؟ وما للقمر لا ينخسف ؟ وكـذلك الكواكب . مستنكرا منها ذلك التجافي والتجاهل لفقد فضالة عن طريق جملة الاستفهام الاستنكارية . فالإيقاع في القصيدة يتخذ مجرى أليق بالتعبير عن الأسى الرقيـق الـذي يتحول فيه الرثاء إلى ضرب من النواح تنفتح له تفعيلات البسيط ذات الإيقاع المتـأرجح بين الرنين السريع والامتداد الهادي الحزين [2].

والشاعر يريد أن يقول : ليست الفقود سواء في الأثر، فكلما كان الذاهب عظيما كلمـا عظم الفقد ،وكبر المصاب، وجلّ الخطب ، ففقد فضالة ليس فقدا أي فقـد، لأن فقـده لايعوض .فيالهفي على أخلاق ذلك الرجل العظيم ؛ فاللهف فيه معنى التحسـر وإظهـار الألم في النفس ، فقد كان نفّاعاً للناس، يعين على نوائب الدهر ، ويقف إلى جنب مـن كبا وتعثر ، ويقيله من عثرته ." **وعلى الأروع السقب**" تتمة لمعنى البيت السـابق : أي يالهفي على الأروع السقب ، وقد أورد الدكتور محمد يوسف نجم في حاشية الديوان غير

---

[1] هو فضالة بن كلدة بن عبد مراة بن سوادة بن الحارث بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد .(شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي :ص٢٧٠، لأبي رياش أحمد بن إبـراهيم القيسـي تحقيق / د. داود سلوم ، ود. نوري حمود القيسي. * وكانت على عادة العرب في الجاهليـة أنهـم يظنون أن الشمس والقمر لاينكسفان إلا لفقد عظيم ، حتى جاء الإسلام وأبطل هذه الفكرة ،وبـين أن الشمس والقمر مخلوقان من مخلوقات الله ،لاتنكسف لفقد أحد ،كما بين الرسول صلى الله عليـه وسلم ذلك عندما كسفت الشمس زمن وفاة ابنه إبراهيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان لموت أحد ولالحياته فإذا رايتموهما فـادعو الله وصلّوا حتى تنجلي** " أخرجه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة ، في كتاب الصلاة في كسـوف الشمس ، برقم :(٨٢) ،عالم الكتب ، بيروت ، ط٥، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. صحيح مسلم (كتاب صـلاة الكسـوف) ، حـديث رقـم (٢٠٩٣)،ت/خليـل شـيحا، دار المعرفـة ، بـيروت ، ط٨,١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[2] شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين : ص ٥١٦، د. محمود عبدالله الجادر ،دار الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٩م.

رواية لهذا البيت ، ففي الجمهرة (على السيد الضخم) وفي معجم البكري (على السـيد القرم) والمعاني الكبير (على السيد السقب) والسقب:هو ولد الناقة الذكر ساعة ولادتـه [1]، ويأتي بمعنى الطويل من كل شيء ، وهو عمود الخباء [2]و يظهر للباحث أنه الأرعـى لسياق معنى البيت.فيقول: لو علا فضالة هذا الصاقب : وهو جبل معروف في بلاد بـني عامر ، لأصبح هذا الجبل مدقوقا مكسورا يشبه رمل ظهر النبي: وهو مكان رمل دقيـق معروف بعينه ، فشبه أوس جبل الصاقب إذا علاه فضالة بن كلدة ، واندق حصـاة، وتفتت رمله بمتن النبي:وهو مكان رمل معروف بعينه . وذلك لتعظيم أمر فضالة بن كلدة وبيان فضله ومكانته ، وهذا النوع من التشبيه يعد من التشبيهات المقيـدة أو المشـروطة فحرف" **لو** " في بيت أوس من حروف الشرط ،ويسميه النحويون حرف امتناع لامتناع ، وهذا يعني أن تشبيه أوس لجبل الصاقب (الجبل المعروف) إذا علاه فضالة ،لم يقع لأنه لم يعلوه أصلاً ، ولم يندق حصاه ، فلو علاه لكان هناك وجه شبه بـين حصـى جبـل الصاقب عندما يتفتت ،وبين متن النبي المكان المعروف . إذا امتنع حصول التشبيه حقيقة؛ لامتناع اعتلاء فضالة للجبل حقيقة ، والشاعر بنى هذا التشبيه على الخيال وذلك لأظهار عظم مقام هذا الرجل وفضله ، ويبدو أن أوسا احتال حيلة بديعة لما لم يجد شـيئاً مـن الواقع يليق بمقامه، عمد إلى الخيال لكي يصنع له هيئة تليق بمقامه ، وهذه لطيفـة مـن لطائف الصنعة عند الشاعر .ثم إن هذا التشبيه المشروط يعد من التشبيهات المركبة ؛ لأن المشبه هو الهيئة الحاصلة من الجبل حينما يعلوه فضالة ، فينـهارالجبل وتنـدق حصـاه، وتتهدم ، وهي صورة مكونة من عدة عناصر ، متكونة من الجبل وفضالة يعلوه ، فيتأثر هذا الجبل بمن هو فوقه، فينهار، وتتفتت حصاه ، والمشبه به ، هو المكان المشار إليه (**رمل النبي**) ويقصد به رمل هذا المكان ، ولأن الرمل أصغر أجزاء الأرض ، ووجه الشبه هـو دقة هذا الرمل وصغر حجمه.

وذكر الدكتور محمد نجم رواية أخرى في حاشية الديوان من كتاب التعازي تختلف قليلاً عن المعنى ،لكنها لاتخرج عن الغرض العام . وذلك بناءً على أن كلمـة يقـوم بمعـنى :

---

[1] اللسان (سقب) ٤٦٨/١.

[2] المعجم الوسيط (سقب):ص٤٣٥.

المقاومة. يقول : لودافع فضالة الجبل العظيم ؛لأصبح الجبل رتماً كظهر النبي (وهو رمـل بعينه) .فالمعنى متقارب وإن اختلفت الصورتان ،فكلا المعنيين لم يخرجا عن سياق مـدح فضالة .

فالصورة الاولى : فضالة وهو يعتلي الجبل فلا يملك الجبل إلا أن ينهار لعدم القدرة على أن يحتمل من هو بهذا العظم وهذا القدر .

والصورة في المعنى الآخر : فضالة وهو يقاوم هذا الجبل فلايملك هذا الجبل إلا أن ينهار ، وتتفت حصاه، ويصبح رتما كمثل رمل (متن النبي).

والفرق بين الصورتين أن الأولى وجه الشبه فيها يدل على عظم مقام هذا الرجل ، وثقله بين الناس .

والصورة الأخرى يدل وجه الشبه فيها على قوة هذا الرجل،وشجاعته ، وعدم الاقتـدار على مقاومته ، ولو كان الطرف المقاوم له غايةً في العظم .

، والمعنى: إذا حتم الملك أمراً ما فإن مكان فضالة من هذا الملك بـين سـرادق القصـر وحاجب الملك ؛ وجملة بين السرادق والحاجب ، جملة ظرفيه ، جاءت بالمعنى عن طريـق الكناية عن صفة؛ وهو مكانة هذا الرجل العالية ، المقربة من الملوك .

أي : إن فضالة يستغنى به عن غيره إذا حضر بين الرجال ؛ لبيانه وصوابه ، فقد كفى من وراءه غير معيب عندهم ولا عائب .

ويحبو الخليـلَ بخـيرِ الحـبا ءِ غـيرِ مُكـبٍ ولا فاطـبِ[1]،

بـرأسِ النجيبـة والعبـد والْ ـوليدِ كـالجُؤذُرِ الكاءـبِ

ومنها قوله تعالى : ﴿ **أفَمن يمشي مُكبّاً على وجهه أهدى أمن يمشـي سـوّياً علـى صراط مستقيم** ﴾[1]. وجملة غير مكب ولا قاطب ، فيها كناية عن صفة عدم الغضب .

---

[1] الحباء: العطاء (السان) ١٦٣/١٤ :تقول حبوته أحبوه حباءً ، ومنه اشتقت المحباه ، وحابيته في البيع محاباة .

[1] سورة الملك (٢٢).

والتشبيه هنا هو (الوليدة كالجؤذر الكاعب) حيث شبه الوليدة وهي الجارية من النساء بالجؤذر وهو ولد بقر الوحش ، ووجه الشبه الجامع بين الجارية والجؤذر ، يصح في أكثر من وجه ، قد يقصد الشاعر جمال العيون ، وقد يصح التشبيه إذا أراد الشاعر من قولـه (الكاعب) ويقصد بذلك جمال القد والبدن ، لوجود وجه شبه جامع بينهما؛ لأن الجؤذر اشتهر بحسن قوامه وتناسقه فيصح من ذلك تشبيه قوام المرأة الحسناء بقوام الجؤذر وذلك للإشادة بحسنها وجمالها ، ويلزم من ذلك كرم المعطي ، وعظيم قدر الهبة التي وهبها .

وقال أوس في **رثاء فضالة بن كلدة ـ أيضا ـ** [٢]:

الأَمَعي الـذي يظُـن لَـك ال ظُن كَـأن قَـد رأى وقَـد سـمعا
وشُبه الهَيـدبُ العبـأُ مـن ال أقـ ـوام سـقباً مُلبسـاً قَـ ـرعا

هذان البيتان من قصيدة يرثي فيها الشاعر فضـالة بـن كلـدة ،. وفي هـذا البيـت يصورالشاعر فراسة فضالة بن كلدة، ودهاءه، وظنه للأمور الغائبة ، وشبه حاله، بحال من يراها ، ويسمعها ، ووجه الشبه هو تطابق الواقع مع الظن ،وذلك إظهارا لصدق حدس فضالة، ودهائه ومقدرة على استشراف المستقبل والتنبؤ به قبل حدوثه . وهذا النوع مـن التشبيهات ، يعد من تشبيهات المعقول (المعنوي) بالمحسوس ، لأن المشـبه هـو ظنـه وفراسته في تحقق الأمور الظنية ، والمشبه به هو الذي يشاهد ، ويسمع تلك الأمور الظنية ، وهذا اللون ذوطعم خاص متميز في فن التشبيه ، يسميه عبد القاهر الجرجاني : التشـبيه التمثيلي وله عنده تأثير بالغ ؛له أسباب عدة، أول ذلك وأظهره: [٣]"أن أنـس النفـوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وأن تردهـا في الشيء تعلمه إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة أحكـم نحـو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الظرورة، يفضل

---

[٢] ديوانه :ص٥٣.

[٣] أسرار البلاغة : ص١٢١

المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام ، وبلوغ الثقة غاية التمام،كما قالوا :" ليس الخبر كالمعاينة "[١] " ولا الظن كاليقين ".

ويقول في موضع آخر [٢]:" ومما يدلك على أن التمثيل بالمشاهدة يزيدك إن لم يكن بك حاجة إلى تصحيح المعنى ، أو بيان لمقدار المبالغة فيه ، أنك قد تعبر عن المعنى بالعبارة التي تؤديه ، وتبالغ وتجهد حتى لاتدع في النفس منزعاً، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالطويل :" يوم كأطول مايتوهم "و " كأنه لاآخر له " ، وماشاكل ذلك من نحو قوله [٣]:

في **ليلٍ صولٍ تناهى العرضُ والطولُ كأنمـــا ليلـــهُ بالليـــلِ موصـــولُ**

فلاتجد من الأنس ماتجده لقوله :

***ويومٍ كظل الرمح قصّر طوله ***

الهيدب : هو الذي عليه أهدام أي خلقان تذبذب كأنه هيدب السحاب . العبام : الكليل اللسان ، وقيل العبام الغليظ الخلقة في حمق[٤]. الفرع : أول نتاج الأبل [٥]. السقب : ولد الناقة الذكرساعة يولد [٦].

ومعنى التشبيه له صلة بالبيت الذي قبله ، فلما ذكر الرياح التي عزتها الشمأل ، وظهـور علامات الجذب ، وذهاب الأمطار ، وقد تلفع القوم في أكسيتهم ، يلفونها علـيهم مـن شدة الصر ، والجهد وشدة الزمان الذي حلّ بهم ، شبه أوس الرجل العبام الذي يلـبس الأهدام ، والثياب ، بولد الناقة الذي يلبس جلد ولد ناقة أخرى مات ساعة الـولادة أو نحر ، وكانت العرب تحتال على الناقة التي يموت ولدها ساعة الـولادة ، فيخشـون أن

---

[١] هو من حديث ابن عباس ، رواه أحمد في المسند رقم : ١٨٤٢، ج١، دار الفكر ، ت/صدقي العطار ، الطبعة الثانية ،١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

[٢] أسرار البلاغة ص١٢٧.

[٣] البيت لحندج بـن حنـدج المـري (شـرح ديـوان الحماسـة للمرزوقـي ،شـاعررقم (٨٢٧)،١٨٢٨/٤)، ت/أحمد أحمين وعبد السلام هارون ،ط٢،لجنة التأليف والنشر ،القاهرة .

[٤] معجم مقاييس اللغة (عبم):ص٧٠٥ .

[٥] المصدر السابق (فرع):ص ٨١٣.

[٦] اللسان (سقب) :ص٤٦٨.

تمسك عن در اللبن من الضرع ، فيأتون بجلد ولدها الذي مات ، ويلبسونه ولـد ناقـة أخرى ؛ فتظنه ولدها فتحنّ ، فتدر اللبن لكي يرضع منها [1].

وقد بنى الشاعر التشبيه على الفعل المبني للمجهول (شبه) ، ويأتي بمعنى خيل ، يقـول المولى جلّ وعلى في حكاية قوم عيسى : ﴿ **وما قَتلُوه وما صلَبُوه ولكن شُبه لَهُم** ﴾ [2] ويرى الباحث أن الفعل (شبه) لايعطي معنى المشابهة والمماثلة في الصورة علـى وجـة الحقيقة ، بمقدار مايعطي المقاربة في التصور ، والتخيل ، والإحساس ، ويهيىء لـدخول عالم مملوء بالأحزان ، عالم تختلف طبيعة الأشياء التي فيه بساحة الفاقد عن الأشياء التي في طبيعتنا.فالفعل (شبه) ، فكأنّ الشاعر يريد من هذا التشبيه إضفاء مسحة الشعور بالفقد ، والثكل لعالمه المحيط به ؛ فيصبح الناس لايرون الأشياء كما يعرفونها، لايرونهـا إلا مـن منظور الكآبة والحزن ، والثكل، والفقد ، حتى أصبح يخيل لهم أن الرجل الـذي يلـبس الفروة على جسده، بالفرع الذي يلبس جلد السقب ، فترأمه أمه ، وتعطف عليه وتحن ، فتدر عليه اللبن من الضرع ، وهذه العلاقة القائمة بين الطرفين ، في تصوري إنها تحتاج إلى دراسة خاصة من وجهة نفسية أكثر من الدراسة اللغوية الجمالية ،لأن الشاعر يتحـدث فيها بلغة تشعر بتغير المفاهيم ، واختلاطها ، والتباسها على عقول وأعين الناس ، وهـي تذكر بقصيدةالمعري الذي رثى فيها الفقيه الحنفي[3] :

غَيرُ مُجـد في **ملّـتي واعتقـادي** نـوحُ بـاك ولا تـرنّمُ شـــاد
وشبيه صـوتُ النّعـيّ إذا قـي س بصـوت البشـير في **كـلّ نـاد**
أبكَت تلكُـمُ الحَمامـةُ أم غَـن نت علـى فَـرع غُصـنِها المَـيّاد

---

[1] بتصرف أنظر معجم مقاييس اللغة :٨١٣.(فرع).

[2] النساء : (١٥٧).

[3] ديوان إبي العلاء المعري (سقط الزند) : ص٢٣، ت/ صلاح الدين الهـواري ،الطبعـة الأولى ،المكتبة العصرية ،صيدا ،لبنان ،١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

فالشاعر اختلط عليه صوت النعي بصوت البشير فلم يعد يميز بينهما، وكذلك لم يعد يفرق بين صوت هديل الحمامة ، أبكاء هو أم غناء ؟ وذلك من هول الصدمة ، أو حالة الحزن والاكتئاب التي خيمت عليه . وهو ـ تقريباً ـ نفس الشعور الذي حل بأوس ، ومن كان بساحته من هول الفقد لفضالة بن كلدة .

ب ـ المرأة :

قال أوس في قصيدة قد بدأها بوداع حبيبته لميس [1] :

وقد لهوتُ بمثل الرئم آنسة ... تُصبي الحَليم عروبٍ غير مكلاح[2]
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت ... من ماءِ أصهب في الحانوت نضّاح
أو من مُعتقة وهاء نشوتها ... أو من أنابيبِ رُمّان وتفّاح

---

[1] ديوانه : ١٣. وقد اختلف في نسبة أبيات هذه القصيدة ، فبعضهم يعزوها إلى أوس ، وبعضها الآخر يعزوها لعبيد بن الأبرص . وبهامشه :(الرئم : الظبيةالخالصة البياض . آنسة : فتاة طيبة النفس ، عروب : الضحوك ، أو المتحببة إلى زوجها ، غير مكلاح : غير عابسة : الريقة : رضاب ماء الفم ، اغتبقت : أي الغبوق وهو شراب العشي ، وأصهب : الخمر الذي يخالط أو يعلو لونه حمرة ، الحانوت : دكان الخمر ، نضاح : راشح).

وقد ذكر صاحب الأغاني (٧١/١١) نقلا عن رواته أن هذا الشعر رواه الأصمعي لأوس ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرونها لعبيد بن الأبرص . ذكر ابن سلام في طبقات فحول الشعراء (٩٢/١) أن يونس بن حبيب جعلها لعبيد ، وعلى ذلك كان إجماعهم ، فلما قدم المفضل حرفها إلى أوس . والقصيدة ثابتة في ديوانيهما بخلاف يسير، في ذكر وحذف بعض الأبيات .ويرى الباحث من خلال تلمس الصنعة في هذه الأبيات أنها أقرب إلى شعر أوس ، ففيها انسجام إلى حد كبير مع سائر صوره الشعرية ، إضافة إلى قربها من مذهبه في الميل إلى التفصيل والتدقيق ، وهناك فرق بين مذهب أوس ومذهب عبيد في الصنعة التشبيهية في الشعر، لاسيما وأن ابن سلاّم قد عد أوساً في أول أصحاب الطبقة الثانية ، ورأى أنّ حقه الطبقة الأولى لولا التزامه بالعدد في كل طبقة ، بينما عد عبيد في ثالث الطبقة الرابعة .

[2] ديوانه ١٣ ـ ١٤.

يصور الشاعر محبوبته ويشبهها بالرئم ، وهي الظبية الخالصة البياض ، والجـامع بينـهما يصح أن يجري من عدة جهات ، فالرئم اشتهرت بجمال وطول عنقها ، وحسن عينيها ، كما عرفت برشاقتها، وحسن قوامها .فيمكن القول بأن الذي بين المرأة والظبية قائم من عدة جهات ، ويمكن أن نجمله ونقول هو تناسق الهيئة فيما بينهما ، وحسن المظهـر ، و جمال الملامح .

فالشاعر يشبه ريقة محبوبته(وهو رضاب ماء الفم) - بعدما استيقظت من نومهـا- ، بالخمر الذي قد علاها حمرةً، وهي راشحة ، ويبدو أن هاتين الصفتين الرشاح ، والحمرة تدلان على جودة هذا النوع من الخمر ،حتى قال فيهما أبو نواس ـ وقد اشتهر بإجادتـه لوصفها ـ [1]:

قَأبـدى لنـا صـهباءَ تـم شـبأبها لهـا مـرح في كأسـها ووُثـوبُ

فلمّا جلاهـا للنـدامى بـدا لهـا نسـيمُ عـبيرٍ سـاطعٍ ولحيـبُ

وقد حرص الشاعر على التوضيح في المعنى ، عن طريق تأكيده بالجملة الاحتراسية "**بعـد الكرى**" وفيها ـأيضاًـ مبالغة في وصف طيب طعم فم محبوبته ؛ لما عرف عن طعـم ورائحة الفم من تغير بعد النوم .

ويمكن أن يفهم من جملة "**بعد الكرى** " وجهاً آخر للمعنى، فقد يكون الوجه الجامع بين ريق محبوبته وبين الخمرة الصهباء أوالخمرة المعتقة أو أنابيب الرمان والتفاح ، هو الطعم المز ،والمز هو : طعم قليل الحموضة أو شديد الحموضة ، وهوأطيب ما يكون من الشراب [2]، وقيل هو ماكان طعمه بين الحلاوة والحموضة [3]، يقول الأعشى واصفاً الخمر[4] :

نازعتهمْ قضـب الريحـان متكئـاً وفهـوةً مـزةً راووقـها خضـلُ

---

[1] ديوان أبي نواس ، ص١١١، ت/ أحمدعبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

[2] اللسان ٥/ ١٨٣.

[3] العين ،(مز)، ٣٥٥/٧، ت/مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، منشـورات وزارة الثقافـة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٤م.

[4] ديوان الأعشى: ص١٤٧.

وهذا الطعم المزز لايتحقق في ريق محبوبته إلا بعد نومها ، وطول عهدها بطعامٍ وشراب ، لأنه يلاحظ أن الجامع المشترك في جميع المشبهات به التي ذكرها الشاعر ، إتحاد في الطعم من جهة المزازة ، ويدرك ـ بداهةً ـ مقدار البعد مابين طعم الريق وبين طعم الخمر ،أو عصير الرمان ، أو التفاح على الحقيقة . فقد وصفت الخمر بأنها مززةٌ الطعم ، وكـذلك عصير الرمان، والتفاح . فلم يشبه الشاعر ريقها بالعسل ـ مثلاً ـ أو الماء العـذب ، أو مايشبه ذلك .، فعليه يكون هذا التشبيه دليلاً على الإصابة في المعنى حقيقة عند الشاعر ، وتحري الدقة فيه، ولم يكن إصابة التشبيه من جهة المبالغة أو التصوير الخيالي . إذاً فقد جمع الشاعر في هذا التشبيه بين المتباعدين جمعاً صحيحاً من ناحية مغزى التشبيه والمقصود منه ، لوجود العلاقة الصحيحة القوية بينهما من ناحية ، والملاءمة من جهة ماتثيره النفس من مشاعر وأحوال من ناحية أخرى [1].يقول الإمام عبد القاهر:"واعلم أني لست أقـول أنك متى ألفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة ،فقد أصبت وأحسنت ، ولكـن أقوله بعد تقيد وبعد شرط، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبهاً صحيحا معقولاً ، وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهباً ، وإليهما سبيلاً ، حـتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك من حيث العقل ، والحدس ، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس"[2].

والجمع بين المتباعدين واقع في التشبيه من جهة حاسة الذوق . ومن فوائد هذا التشبيه أنه أخرج مالا يدرك بالبداهة إلى ما يدرك بها . ثم يلاحظ أن الشاعر لم يكتف بذكر وجـه شبه واحد للمشبه ، بل تعداه إلى أكثر من ذلك ، فقد شبه ريقها بالخمرة المعتقة ، وهـي :الخمر التي عتقت زماناً حتى عتقت ، ولم يكتف ـ أيضاً ـ بذلك فزاد أنابيب الرمـان والتفاح ؛ وكأنّ طعم ريقة فم المحبوبة قد أحدثت للشاعر نشوة، لاتنفـك عنـه بيسـر وسهولة ، فكلما تذكرها أثارت له كل ما يمكن أن تثيره من المتشابهات في الطعم،فبـات يعدد ماتشابه معها واحدا بعد آخر ولاتزال في نفسه شيء منها .

---

[1] انظر التصوير البياني د.محمدأبوموسى ١٤٢ ـ ١٤٣.

[2] أسرار البلاغة ١٥١.

ويتصور الباحث أن تعدد المشبه به في التشبيه الواحد غالبا مايأتي في المعاني العميقة الثرية التي يصعب على الشاعر القدرة بالإحاطة بها من جميع الجوانب ، فهذا الثراء وهذا العمق في المعنى يحتاج إلى تدرج في البناء التصويري حتى الوصول إلى المعنى المراد . فقد ورد مثل ذلك في تشبيهات القران الكريم ، من ذلك قوله تعالى يصف حال المنافقين، وماهم فيه من حيرة واضطراب، وتخبط : ﴿ **أُوْلَـئِكَ الذين اشتَرُوُا الضلالَةَ بِالْهُدى فَمـا ربِحـت تجارتُهُم وما كَانُوا مُهتدين{١٦} مثَلُهُم كَمثَلِ الذي استوقَد ناراً فَلما أَضـاءت مـا حولَهُ ذَهب اللّهُ بِنُورهِم وتركَهُم في ظُلُمات لاَ يُبصرُونَ{١٧} صُم بُكْم عُمي فَهُم لاَ يرجِعُونَ{١٨} أو كَصيبٍ من السماءِ فيه ظُلُمات ورعد وبرق يجعلُونَ أَصابِعهُم في آذَانِهِم من الصواعق حذَر الْموت واللّهُ مُحيطٌ بِالْكافرين{١٩} يكَادُ الْبرقُ يخطَـفُ أبصارهُم كُلما أضاء لَهُم مشوا فيه وإِذَا أَظْلَم عليهِم قَامُوا ولَو شـاء اللّـهُ لَـذَهب بِسمعهِم وأبصارهِم إن الله على كُل شيءٍ قَدير{٢٠}** ﴾"[1]. وقوله تعـالى : ﴿ **ومـن يُشرِك بِالله فَكَأَنما خر من السماء فَتخطَفُهُ الطيرُ أو تهوي بِه الريحُ في مكَان سـحيقٍ** ﴾ **الحج٣١** ".[2]

وقد اشتهر وصف ريق المحبوبة وتشبيهه بالخمر عند الشعراء الجاهليين ،إلى الحد الـذي يدل على تأثر بعضهم ببعض في الألفاظ فضلاً عن المعاني فهذا عبيد بن الأبرص يشبه ريق محبوبته بالخمر في معنى مشابه لتشبيه أوس إذ يقول [3]:

كأن ريقَتها بعد الكَـرى اغتبقَـت صَـهباءَ صَـافيةً بِالمسـكِ مختومـه
ممّا يُغـالي بِهـا البيّـاعُ عتقَهـا ذو شاربٍ أصهب يُغلى بِها السـيمه

وهذا شاعر آخر هو الأسود بن يعفر النهشلي يصف ـ أيضاً ـ ريق محبوبتـه ويشـبهه بالخمر في أبيات مشابهة[4] :

---

[1] البقرة ١٦ ـ ٢٠.

[2] الحج آية رقم (٣١).

[3] ديوان عبيد بن الأبرص: ص١٢٨.

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت ... صرفاً تخيرها الحانون خرطوما
سلافة الدن مرفوعاً نصائبه ... مقلد الغو والريحان ملثوما
وقد ثوى نصف حولٍ أشهرا جدداً ... بباب أفأن يبتار السلاليما
حتى تناولها صهباء صافية ... يرشو التجار عليها والتراجيما

فقد اتفق كلٌ من أوس وعبيد والأسود النهشلي في تشبيه ريق المحبوبة- بعد تقيد التشبيه بجملة " **بعد الكرى** " - بشراب الغبوق من الخمر ، ويمكن أن توصف جملة " **بعد الكرى** " بأنها جملة ظرفية احتراسية ، وقد جاء الاختلاف في وصف طعمها ونكهتها ، فحين شبه أوس طعمها بنكهة الرمان والتفاح ، جاء تشبيه عبيد لها بأنها مختومة بالمسك ، والمسك أجود في الوصف لاشك ، وهو يذكر بالسياق القرآني في وصف شراب الجنة – وشتان مابين الشرابين – قال تعالى [٥]: ﴿ **يُسقَونَ من رحيقٍ مختُومٍ * ختامُهُ مسك وفي ذَلك فَلْيتنافَسِ الْمُتنافسُونَ** ﴾. وقد استزاد عبيد في وصف هذه الخمر إلى الحد الذي جعله يفوق كلاً من أوس ، والأسود بن يعفر ، فهذه الخمر مما يغالي بها البائع ، فهي من أجود أنواع الخمر ، ولها مزية أخرى وهي أنها معتقة ، مايدل على ندرة وجودها عند غير هذا البائع الأمر الذي جعل الزبائن يغلون من سيمتها .

أما الأسود بن يعفر فقد شبه طعمها بالريحان ، وقد جاء بوصف أكمل من وصف أوس – أيضاً – ، فقد مضت هذه الخمر نصف حول "**بباب أفأن**" حتي أصبحت صهباء صافية ، مما جعل التجار يرشون البائع من أجل شرائها ، إلا أن إيجاز عبيد في الألفاظ جعله المقدم عليهما في الوصف .

---

[٤] ديوان الأسود بن يعفر النهشلي :ص٦٠، تحقيق نوري حمودي القيسي ،ط١،مطبعة الجمهورية ،بغداد ،١٩٧٠م.

[٥] سورة المطففين : آية رقم (٢٥-٢٦).

الفصل الثاني

الصنعة في تشبيهات زهير بن أبي سلمى

أولاً : صنعة زهير في تشبيهات الطلل والديار والصحراء :

تعد تشبيهات الطلل والديار والمنازل في ديوان الشاعر الجاهلي محـوراً مهمـاً يمكـن أن يستشف من خلالها عن رؤيته النفسية والداخلية و التي يمكن أن تظهر من خلال مايبثه في تضاريس ذلك المكان وهيآته ومسمياته والأجناس التي تغشى تلك الأماكن ، وتحيط بها ، وإذا تتبعنا صور الطلل والديار والصحراء في ديواني الشاعرين نجد أن زهيراً أكثر احتفـاءً بذكر الأطلال والديار والمنازل من أوس الذي شحت عنده تلك الصور ، ونحن نحاول في هذا المبحث أن نسلط الضوء على تشبيهات زهير في وصف الطلل والديار والصـحراء، ،وأن نتلمس الصنعة ،موازنةً بنظائر بعض التشبيهات و الصور في شعر غـيره ، ولقـد تشابهت تلك الصور عند الشعراء الجاهليين مماجعل التمييز بين شاعر وآخر ليس بـالأمر السهل .

يقول زهير واصفاً ديار المحبوبة [1]:

ديــار لهــا بِــالرقمتين كأنهــا ... مراجِـعُ وشـمٍ في نواشـر معصـم
بِها العـينُ والأرآمُ يمشـين خلفَـةً ... وأطلاؤُها ينهضن مـن كُـل مجـثم
وقَفتُ بِها من بعد عشـرين حجـةً ... فَلَأياً عرفـتُ الـدار بعـد التـوهم
أثـافي سُـفعاً في مُعـرس مرجـلٍ ... ونُؤياً كَجِـذمِ الحَـوضِ لَـم يتـثلم
فَلَمّا عرفتُ الدارَ قُلـتُ لربعـها ... ألا عم صباحاً أيهـا الربـعُ واسـلم

---

[1] ديوانه .ص١٦.وبهامشه : الرقمتان : موضعان أحدهما قرب المدين ، الآخر قـرب البصـرة . مراجع : ترديد . النواشر: عصب . سفعاً : سواد تخلطه حمرة . المراجل : كل قدر يطـبخ فيهـا . النؤي : حاجز يرفع حول البيت من تراب لئلا يدخل البيت الماء من الخارج . جذم الحوض : حرفه وأصله . لم يتثلم : ذهب أعلاه ولم يذهب أسفله .

فزهير يرسم لنا صورة تشبيهية ، لآثار المكان الذي كانت محبوبته (أم **أوفى**) تـنزل فيـه مابين "**الرقمتين** "،و يبين فيها مشاهد الآثار المتبقية ،ويصورها في قالب تشبيه مركـب ، فيشبهها برسم الوشم الذي تردد على معصمٍ بادية عروقه .ويمكن أن نتلمس صنعة زهـير في هذا التشبيه إذاما نظرنا صورة الوشم عند غيره من الجاهليين كقول طرفة[1]:

لخولـةَ أطـلالٌ بِبُرقَـة ثَهمـد تلوحُ كَبافي الوشـم في ظـاهر اليـد

فيلاحظ أن صورة الأطلال عند طرفة تكمن في أنها تتلوح كتلوح الوشم في ظاهر اليد ، أما إذا تأمل البحث صورة الديار ،وتشبيهها بالوشم عند عنترة فيلاحظ أنها تختلف قليلاً حيث يقول [2]:

ألا يـا دار عبلـةَ بِـالطُوي كَرجـع الوشـم في كَـف الهَـدي

فصورة الدار عند عنترة تشبه رجع الوشم عند زهير ، لكنها تختلف عنـه في كونهـا لم تترجع على نواشر المعصم ، وإنما جعلها تترجع في "**كفّ الهديّ**" ، وهنا فرق في الأداة التي بني عليها عنترة التشبيه ، فيلاحظ أن الصورة التشبيهة عند طرفة ، وعنترة قد بنيتا على " **الكاف**" ،أما عند زهير فنجد الأداة "**كأنّ**" وهي كما قرر البلاغيون تكون حين يقـوى الشبه بين المشبه والمشبه به [3]. فتظهر صنعة زهير في كثرة التفاصيل التي كون بها صورته التشبيهية ،فنجدها مكونة من عدة أجزاء،فهناك صورة (**المراجـع والوشـم والنواشـر والمعصم**) وكل من هذه المفردات الجزئية ساعدت على بناء الصورة الكليـة، فصـورة "**الوشم** "أظهرت عناصر الألوان في الصورة ، وصورة"**المراجع** ":ـ وهي كما ذكر ثعلب : أي ترجعه وتردده حتى يثبت [4]ـ تشـبع عنصـر الحركـة في الصـورة ، وهنـاك

---

[1] شرح المعلقات العشر ، للخطيب التبريزي . ص٦٩،ت/ محمد شحاته إبراهيم ، الطبعـة الأولى ، المكتبة الفيصلية ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

[2] أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ج٢/ص١١٤، للأعلم الشنتمري ، الطبعة الأولى ، دار الكتـب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

[3] عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح . بها الدين السبكي . ج٣/ص٣٩١.

[4] انظر شرح الديوان : ص١٦.

صورة"**النواشر**" التي تعكس مدى دقة الشاعر في التصـوير ، والتقـاط أدق الصـور التفصيلية التي تدل على قوة ملاحظة العين لدى الشاعر ، والتي تفرد بها عن طرفة وعنترة، أما الذراع فهو يمثل اللوحة التي رسمت عليها هذه الصورة . وهذا الوشم بارز المعالم قـد تحبر على المعصم تحبيراً ، ولعلّ مراد الشاعرمن تردد رسم الوشم على نواشـر المعصـم ؛ إشارة إلى وضوح معالم هذه الأثار عنده ، وكثرة تردده إليها زمن وجود محبوبته والتقائه عندها ، ويسترعي نظر البحث وهو يبحث في الصورة التشبيهية ،صياغة البيت في جملـة (**ديار لها بالرقمتين**) فيلاحظ مايدل على ذلك الاهتمام بتلك الديار وصاحبتها في كلمة (**ديار**) فهي توحي بالتعظيم لذلك المكان ، والتخصيص لها دون غيرها بتلك المكانـة ، ثمّ بعد ابتعاده عن هذه الديار لفترة طويلة من الزمن تصل إلى عشرين سنة ، أصبح يتوهم في آثار تلك الديار ولايعرفها إلا لأياً وبعد جهد جهيد.

ويستوقف البحث حين يبحث في تحقيق الصورة ،الحركة والحياة التي بثها زهير في الأطلال ، وذلك من خلال تحرك " **العين** " وهي البقر، و"**الآرام** " وما أداه الفعـل المضـارع " يمشين **خلفة** " من دور في تنامي حركة البقر والظباء واستمرارها في التدافع والتعاقـب ، فكل مامضى منها فوج جاء آخر ، وهذا التتابع في بثّ الحركة جاءت به لفظة " **خلفة** " وقد وردت هذه اللفظة في سياق التعبير القرآني وهي تحمل دلالة قريبة من المعنى في قولـه تعالى:[٢] ﴿ **وهُو الذي جعلَ الليلَ والنهار خلْفَةً**﴾ وكذلك الفعل " **ينهضن** " ومأأداه تقديم المبتدأ ـ فاعل الفعل في المعنى ـ : "**أطلاؤها** " من خصوصية ومزيد عناية بهـا ، والطلا ولد البقرة[٣] . ثم ذكر المدة الزمانية (**عشرين حجة**) وهي جملة تـدل علـى أن الشاعر كان يتحرى بالغ الدقة في الوصف الأمر الذي لم يجعله يغفل عن العنصر الزمني في الصورة التشبيهية ،مما يؤكد أن الوصف عنده في هذه الصورة ليس مجرد صورة تنقل ، بل صنعة دقيقة تتدخل فيها كافة عناصر البيئة المكانية والزمانية ، فهو شاعر دقيـق منقـب

---

[٢] سورة الفرقان آية (٦٢).

[٣] انظر شرح الديوان : ص١٧.

،وباحث محقق [1] . ثم رسم صورة حسية للنؤي الذي يحيط بالبيت ، ويشبهه بحافة الحوض في صلابته وقوته ،ورغم تهدم أعلاه فإن أسفله صلب متماسك لم يتغير ولم يتثلم ، بينما صورة النؤي عند غيره من الشعراء الجاهليين جاءت خلاف هذا ، فيلاحظ أن النؤي عند النابغة الذبياني ، وبشر بن أبي خازم ، قد تثلّم ، وتهدم حيث يقول النابغة[2] :

توهمتُ آيات لها فعرفتُها لستة أعوامٍ وذا العامُ سابعُ
رماد ككُحلِ العينِ لأياً أبينُهُ ونُؤي كجذمِ الحَوضِ أثلمُ خاشعُ

فالنؤي عنده "**أثلم خاشع** " أما عند بشر بن أبي خازم فهو كـ" **حوض الجربة المتهدم** " حيث يقول [3] :

منازلُ من حي عفَت بعد ملعبٍ ونُؤي كحوضِ الجربةِ المُتهدمِ

وجملة (لم **يتثلم**) عند زهير أفادت تحقق الصورة ، وجاءت توكيداً للمشبه به (**جذم الحوض**) وهو: حافة الحوض الصلبة ، التي لم يصبها التلف . وربما كان للغرض الذي أنشأه الشاعر ، رابط في تماسك النؤي لدى زهير وعدم تثلمه ،فربماكانت جملة (لم **يتثلم**) إشارةً إلى متانة العلاقة التي تربطه بهرم بن سنان ، والحارث بن عوف. وربما كانت إشارةً ـ أيضاً ـ إلى تحمل هذين الرجلين العظيمين ديات القتلى بين عبس وذبيان ، وحقن دمائهم ، ورأب الصدع بينهم ، وهو الأمر الذي لم يكن عند النابغة في اعتذاره للنعمان بن المنذر . ويبدو أن إلقاء التحية الجاهلية " **وعمّ صباحا أيها الربع واسلم** " على هذه الأطلال التي علقت بها ذكريات المحبوبة وألقت بظلالها على شخوص ذلك المكان الذي يستطيبه الشاعر ،سبباً جعله يدعو لذلك المكان بالسلامة ،وكأنه كائن تملؤه

---

[1] الفن ومذاهبه في الشعر العربي .شوقي ضيف. ص١٣. مكتبة دار المعارف ،ط١٠.

[2] أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ج١/ص١٦٣.،ديوان النابغة الذبياني ، ص٧٩،ت/كرم البستاني ،دار صادر .

[3] ديوان بشر بن أبي خازم :ص١٩٣. تحقيق عزة حسن ،ط٢، منشورات وزارة الالثقافة دمشق ،١٩٧٢م.

الحياة ،وذلك على سبيل الاستعارة .فالتشخيص من عناصر الجمال الذي يـبرز الصـورة ويعطيها إيحاء ودلالة على المعاني ،و يتمثل في قدرة الشاعر على تخيل الحياة فيما لاحياة فيه ،وعلى إكساب الجمادات أو مظاهر الطبيعة شخصيات يتخيلها أشخاصاً أحياء قـائمين بأنفسهم [١].وقد بدا جلياً مقدار الجهد المبذول في رسم هذه الصورة التشبيهية ، وصنعته البيانية فيها، والذي أكسبها عمقاً وغزارةً ، ثم نلاحظ البناء التركيبي الذي ساعد علـى إظهار وبيان قيمة التشبيه المعنوية ، فزهير بدأ بذكر المكان (**الديار**) ثم ذكـر مكانهـا (**الرقمتين**)، ثم بنى التشبيه بإداة (**كأنّ**) وهي أظهر على تمثيل الصورة ، وأقدر ، والتشـبيه بها أقوى تحققاً ، ، وأرفع شأواً ،ويفخم المعنى كما ذكر ذلك عبد القاهر [٢]، ثم جـاء بوصف مفصلّ لإبراز مافي ذلك المكان من قيمة حسية وروحية ، فهي تشبه الوشم المرجع ، على العروق البادية من ذراع الفتاة ، ويبدو أن الوشم من أمور الزينة التي تميل إليهـا نفس الشاعر باعتبار بيئته، وهو ـ على مايبدو ـ ما أوحى للشاعر بأن يصف المكـان بشيءٍ راجع إلى صفة من يعمر ذلك المكان، وكأن الشيء بالشيء يذكر ، ـ ـ الوشـم والفتاة ـ ، ثم إنه رجع وفصل معالم ذلك المكان على وجه التحديد والإيجاز غير المخل ، فأبرز تلك المعالم الأثافي السفع ، و هي الحجارة السوداء التي توضع قاعدة للقدر المعـد للطبخ ، والشيء الآخر هو النؤي : وهو الحاجز الصلب الذي يمنع البيت من دخول الماء ، والذي يشبه الحرف من الحوض في قوته وصلابته ، وجملة (لم **يتـثلم**) تؤكـد قـوة وصلابة هذا النؤي .والشاعر في هذا التشبيه عمد إلى بناء صورة بارزة المعـالم و راعـى عنصر التفصيل والتحليل و الذي يعده البلاغيون من عناصر الجودة في التشبيه . قال عبد القاهر :[٣]"ويتفاوت الحال في الحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حـد الجملة وحد التفصيل ، وكلما كان أوغل في التفصيل ، كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر ، والفقر إلى التأمل والتمهل أشدّ" . "و التشبيهات التي تبنى على هذا الأساس مـن

---

[١] ثقافة الناقد الأدبي . محمد النويهي . ص: ٢٤٨.مكتبة الخانجي .مصر.

[٢] انظر دلائل الإعجاز : ص ٤٢٥.

[٣] أسرار البلاغة : ص١٦١.

النظر المستقصي ، وتحليل الشيء الذي يكون الشاعر بصدد بيانه سواء في ذلك ما كـان أوصافاً لأشياء حسية أو كان تحليلاً لأفكار وأحوال ومشاعر تشبيهات جيـدة ، وهـي تفضل في سياق المقارنة التشبيهات التي لاتتعمق الأشياء ولاتتقصى أحوالها وأوصـافها ، وإنما تلم بها إلماماً إجمالياً "[1] والسبب في ذلك التفضيل"أن التشبيهات التي تعتمد النظـرة الإجمالية لاعناء فيها ،ولامراجعة ، لأنّ الشيء يقع في النفس لأول وهلة كما هو بجملتـه من غير انتباه إلى دقائق تفاصيله ، وإنما تدرك التفاصيل ودقائقها بمراجعـة النظـر وإدارة الفكر في هذا الشيء "[2] .

و قال في وصف الديار التي كانت تنزل محبوبته فيها [3]:

قف بالديار التي لـم يعفُهـا القـدمُ ... بلـى وغيرهـا الأرواحُ والـديمُ

دار لأسمـاءَ بـالغمرين ماثلـةٌ ... كالوحي ليس بها مـن أهلهـا أرمُ [4]

سالت بهم قَرقَـرى بـرك بـأيمنهم ... والعاليـاتُ وعـن أيسـارهم خـيمُ

عوم السفين فَلَمّـا حـالَ دونهُـمُ ... فنـدُ القُرّيـات فَالعتكـانُ فَـالكَرمُ

كأن عيني وقَد سالَ السـليلُ بِهـم ... وعـبرةٌ مـا هُـمُ لـو أنهُـم أمـمُ

غَرب علـى بكـرة أو لُؤلُـؤ فَلـق ... في السِلك خـانَ بِـه رَبّاتُـهُ الـنُظُمُ

يرسم الشاعر صورة لديار محبوبته أسماء ، محاولاً تجسيد تلك الديار ، فشبه الدار الكائنة في تلك الديار ، بنقوش الكتاب ، وهذه الدار لايوجد فيها مايدل على الحياة . ،ولكنها لم تعف ،ولم تتغير في نظر الشاعر .ثم انتقل ليصف حال القوم ،وهم يقطعون مواضع تلك الديار ، وقد نزل بها السيل ، فشبه سيرهم بعوم السفين على الماء ، والجامع بين الحالين ،

---

[1] التصوير البياني ـ محمد أبو موسى : ص١٥٢.

[2] المرجع السابق :ص١٥٢.

[3] الديوان:ص١١٦.

[4] الغمر : موضع ضم إليه موضعا أخر فسماه الغمرين ، مثل المربدين . الوحي : الكتاب . مالهـا إرم : يقال : مابها أرم ولاعريب ولادبيح ولاكتيع ولاديار ولاديور ولانافخ ضرم ،(انظـر شـرح الديوان ١١٦)، ويقصد من ذلك أنها خالية مقفرة .

اعتلاء سطح الماء في السير ، وذلك إظهاراً لحجم الماء الكبير الـذي غطـى الأرض الـتي يسيرون عليها . ثم انتقل الشاعر ليصف حاله على فراقهم ، وبعدهم عنه ، ويشبه عينه ، وقد سال الدمع منها ، بالدلو الضخم المربوط على بكرة تجره من البئـر . ثم انتقـل إلى صورة أخرى هي الأقرب لتصوير حالته النفسية ، وما آلت إليه من حزن وكدر، فشبهها بلؤلؤة قلقة ، نظمتها امرأة في سلك فانقطعت من السلك ، يبدو أن هذه الصورة جاءت لتبين البعد النفسي العميق ،وحجم المعاناة التي يعيشها الشاعر، وهي ـ في تصور البحث ـ أقدر من الصورة الأولى على حمل و أداء المعنى ، بكل أبعـاده ، فالشـاعر ارتقـى بالصورة التقليدية دلالةً على حالة الحزن التي يعيشها ، على بعد ، وفراق محبوبته ، وهـي صورة العين التي تسكب الدمع الغزير ، كالدلو الضخم ، إلى الصورة النفسية ، التي تشعر بعميق الأسى ، واللوعة التي يعانيها على فراق المحبوبة ، وهي بكل الأحوال ، نوع مـن التعبير الصادق ـ على مايبدو ـ الدال على الحالة التي يعانيهـا الشـاعر . ولاشـك أن الكتاب من الأشياء التي لها قيمة في النفس الإنسانية ، حتى لوكان ذلك الإنسان ، لايقرأ ولايكتب ، وقد وردت عند غيره من الجاهليين كلبيد العامري [1]:

عفَـت الـديارُ محلهـا فَمُقامُهـا بِمـنى تأبَّـد غَولُهـا فَرجامُهـا
فَمـدافعُ الرّيّـان عُـري رسمُهـا خلقاً كما ضـمن الـوُحي سـلامُها

فصورة الديار عند لبيد قد عفت ، و"**مدافع الريان** "قد "**عريّ رسمه**" ، أما زهير فقـد بدت دار أسماء **ماثلةً "بالعمرين** " وهنا يمكن ملاحظة فرق الصنعة بين الصورتين .وقـد بدأ زهير مطلعه بذكر الديار ، وذكر بأن القدم لم يعفها ، أي لم يطمس أثرها ،والعفـاء في الدار كما قال ابن الأعرابي : أن يكثر التربب عليها حتى يغطيها [2]، والتغيير خـلاف العفاء ، لأن التغيير يبقى معه الأثر ، وعليه فقول(بلى) جاء تأكيداً لقوله :(لم **يعفها القدم**) فالديار لم يمح القدم أثرها ـ تماماً ـ ، بل أخفى جزءًا وأبقى منها جزءًا ، فبعد أن نفى

---

[1] شرح المعلقات العشر . الخطيب التبريزي . تحقيق محمد شحاته إبراهيم . ط١. ١٤٢٦هـ ـ . مكتبة الفيصلية بمكة.

[2] معجم مقاييس اللغة (عفو):ص٦٤٣.

عن الديار صفة العفاء ، رجع وأكّد على ذلك النفي بقوله : "**بلى** " فرجع واستدرك ثم قال : ولكن تغيرت بفعل الريح والمطر ، والتغيير خلاف العفاء . وهذا ما ذهب إليه أبـو زياد[١] واستشهد له بقول الطهوي في شرح الديوان وهو شاعر جاهلي [٢] أورده ثعلـب في شرح الديوان [٣]:

فلا تبعدنْ ياخيرَ عمرو بن جنـدبٍ بلـى إنّ مـن زار القبـورَ ليبعـدا

وقد علّق أبوعبيدة في شرح الديوان ـ أيضاً ـ برأي غير الذي سبق قائلاً : إن الشاعر كذب نفسه [٤]. وقال العكبري : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ، ليدل به على ولهه وشغله عن تقويم خطابه ، وعلى هذا يحمل قول زهير [٥]. وربما لاح للباحـث اجتهاد يجمع بين الرأيين وذلك من وجهة نظر نفسية ؛ فالشاعر لم يكذب نفسـه ، ولكن لما عرف به زهير من تحري الصدق ،وتوخي الدقة ، عـدل عمـا رآه بوجدانـه وأحاسيسه ،إلى مايراه بعينه وحواسه ، فالآثار عفت وتغيرت، بفعل الرياح والأمطار ، ولم تعف ولم تتغير في نفسه وأحاسيسه . ثم تراه يبرز معالم تلك الديار حيث قدم المسند إليه (دار) وذلك يكسبها مزيد عناية واهتمام كما قرر ذلك أهل اللغة والبلاغيـون، وهـذا الاهتمام مبعثه الحفاوة بوصف تلك الدار ، لأنها من المشاهد التي تثير فيه كوامن النفس ، وتستوقف فيه لحظات التذكر والتأمل لما كانت عليه هذه الدار ، وكلمة (**ماثلة**) تجسـد تلك الحفاوة والتي لم نجدها عند لبيد ؛ وربما كان ذلك سبباً في اشتقاق كلمة " **وحـي**"

---

[١] هو يزيد بن عبد الله بن الحر من بني كلاب بن عامر ، شاعر ولغوي ، قدم بغداد أيام المهـد ي ومات بها . (الفهرست : ص٧٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان) .

[٢] هو ذو الخرق الطُّهوي ، واسمه خليفة بن حمل بن عامر بن حميري ، شاعر جاهلي ، من بني حمير وهو من فرسانهم .(انظر ترجمة شعراء "الأصمعيات "،ص١٢٤، ت/أحمد شاكر ،عبد السلام هارون ط٣)و(المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ،ص٢٩٠،للحسن بن بشر الآمدي، ت/عبد الستار فراج ،القاهرة ،١٩٦١م)

[٣] انظر شرح الديوان : ص١١٦.

[٤] انظر شرح الديوان ١١٦.

[٥] أشعار الشعراء الستة الجاهليين .ج٢٥٦/١.

ولم يقل كالرقم ـ مثلاً ـ ؛ فقد أوحت تلك الآثار ذكريات وكوامن في الـنفس لم تكن ظاهرة .

أما بالنظر لبناء الصورة الشعرية فنجد أن الشاعر قد بدأها بجملة (**قف بالديار الـتي لم يعفها القدم**) وزهير قد تدرج في بناء صورته التشبيهية من العام إلى الخـاص فبـدأ أولا بذكر "**الديار**" ، ثم انتقل لوصف "**الدار**" ، وبرغم الاختلاف في التعريف والتنكير بين " **الديار" ودار** " وبرغم أن التعريف والتنكير وصفان لاينفك أحدهما عن كل اسم يـرد في الكلام ، فإنه لايوجد تعريف ولاتنكير من غير فائدة مقصودة منه [1]،وعليه فإن الفائـدة من هذا التعريف في" **الديار** " والتنكير في " **دار** " هو مزيد تعظيم لهذه الديار والـدار والإشادة بمكانتهما في نفسه ، ثم بدأ الشاعر بوصف سير القوم ورحيلهم من تلك الدار ، ، فنسب السير للمكان " **قرقرى برك**" وذلك إشارة إلى سلاسة سيرهم وخفة تنقلـهم ، ثمّ جاء بجملة تؤكد المعنى الذي ذكر فقال: (**عوم السفين**) حيث شبه سير وانتقال قوم محبوبته من" **قرقرى برك**" وسلاسة مشيهم على البر ، بعوم السفين وهي تشق عبـاب البحر بيسر وسهولة وخفة ، ويمكن أن يدرك فرق الصنعة في هذه الصورة إذاما قورنت بغيرها ، فيلاحظ أن هذا المعنى قد تكرر عند غيره من الشعراء الجاهليين ، فيوجد عنـد عبيد الأبرص [2]:

تغيـرت الـديارُ بِـذي الـدفين ... فَأوديـة اللـوى فَرمـال لـين

فَـ ـحرجي ذروة فَقَفـا ذَيـال ... يُعفّـي آيـهُ سـلفُ السِـنين

تبصـر صـاحبي أتـرى حُمـولاً ... تُسـاقُ كأنهـا عـومُ السـفين

فالأبل عند عبيد تساق كأنها تعوم على الماء عوم السفينة ، ولفظة تساق لم تأخذ موقعـا حسناً في تمثيل المعنى ودلالة الصورة ؛لأن الأبل والهوادج التي تعوم عوم السفين ، يستدل منها على سلاسة المشي وخفته ، وهو مالايتناسب مع قوله"**تساق**" والتي تدل _في الغالب ـ على الإرغام والمشي والتحكم في التوجيه ، وهي صورة مختلفة عما جاء بها زهـير ،

---

[1] نسق الكلام في شعر زهير . هيفاء عثمان فدا :ص٥٨. ط أولى ٢٠٠٤. دار القاهرة .

[2] ديوان عبيد بن البرص : ص١٤٥، دار صادر .بدون تاريخ .

فزهير نسب الفعل وأسنده إلى المكان فقال:"**سالت بهم فرفرى برك ...عوم السفين** " ثم إنه لم يذكر الأداة كأن . وكأنه لايريد أن يقوي الصورة لأ نّ المعنى ظاهر و لايحتاج إلى تقوية . ثم إن التفصيل الذي جاء به زهير لاستظهار بقية الصورة جعلها تفوق الصورة التي جاء بها عبيد .فهي صورة مركبة توحي بالحالة التي يعانيها الشاعر أثر ذلك الانتقال الذي لم يقو الشاعر عليه ، فلم يتماسك ، ولم يستطع كتم هواه إثر مشهد الرحيل وهو يرقبهم بكل حسرة وألم ، فأجهش بالبكاء ، ولم يتمالك نفسه حتى ملأ الدمع عينيـه ، فشـبه حالته تلك وهو يبكي ، والدمع يسيل منه بغزارة ، بدلو ضخم مملوءٍ بالماء ووضع علـى "بكرة " ، وهذا الدلو ينضح بالماء ، وربما السر في تعدد المشبه به في هذه الصورة ، وهي أن كلاًّ منهما كان يمثل حالة مستقلة عن الأخرى ، فصورة الدلو المحمول علـى البكـرة والماء ينسكب منه توحي بالحالة الظاهرية للشاعر .

أما عن الحالة النفسية والروحية التي عاناها الشاعر ، فقد ضرب لها مثلاً ؛وهـي حالـة اللؤلؤة التي انفكت عن السلك وسقطت عنه ،والتي كانت متضامة فيه مع مثيلاتها مـن اللآليء آخذةً مثيلاتها بحجز بعض ، لتكون عقداً رائع الشكل يأخذ بالألباب ، وهـذا العقد يفقد قيمته الجمالية متى ما فقد درة من لآلئه البراقة ، ويسترعي النظر قول الشاعر :(**قلق**) وأثرها في كشف مكنون الشعور عند الشاعر ، ويبدو أن الشاعر كان يعـيش حالة من القلق النفسي والعاطفي، فهو- على مايبدو - يصور حاله مع الصاحبة ، التي أصبحت جزءًا من واقع حياته ، والتي بانتقالها عن تلك الديار أصبح يشعر بانتقـاصٍ ، وفقد لقيمة الحياة التي يعيشها ، وهو تصوير عميق يوحي بالحالة الشعورية المتغللة في نفس الشاعر ، والتي أجاد الشاعر في البوح عنها بأرقى صورة شعرية ، وقـد نجحـت هـذه الصورة التشبيهية في تصوير المعنى الذي يختلج في نفس الشاعر ، والدلالة على هذا المعـنى الطريف المعبر عن عاطفة ودقة في الشعور، وهي تكشف عن براءـة الشـاعر الفنيـة ، ومقدرته البيانية ، على سبر أغوار النفس الإنسانية المفعمة بالحب والجمـال ، واختيـار مايلائمها من الصور ، والكشف عن البعد الفلسفي والروحي فيها ، الأمر الذي جـذب

الباحثين لدراسة الجمال في شعره [١]، ولاشك أن الخيال كان له أثر ظاهر في تكوين هذه الصورة الراقية ، إذاً فالخيال عند زهير يعد سراً من أسرار الإبداع الفني في الصورة الشعرية ، فلقد ساعده على اختراع الصورة التي تعبر عن إحساسه ، وثقافته ، فمنه ظهرت الصورة المبتكرة عنده ، التي نقلت الموضوع من عالم الواقع إلى عالم الفن . [٢] وعنصر الخيال ـ أيضاً ـ هو الذي أظهر أثراً بارزاً في إبراز عناصر هذه الصورة و أضاف إلى الفكرة فيها ظلالاً وألواناً أحسنت وقعها ، وأدنت إلى النفس قبولها [٣]. يقول الدكتو مصطفى سويف ، وهو يتحدث عن الأسس النفسيية في الإبداع الفني في الشعر " وتنحصر الهبة في العباقرة والموهوبين في نوع بحيث يمكن أن يقال إن ميزتهم الكبرى أياً كانت عبقرياتهم هي قوة الخيال أي أنهم يرون في الواقع ما يمكن أن يصير إليهم ، وقلّما يقفون عند حدوده الحاضرة ".[٤]

---

[١] زهير بن أبي سلمى شاعر الحق والخير والجمال ،د. سعدإسماعيل شلبي ، مكتبة غريب .

[٢] الفكرة والصورة في شعر زهير ص١٣٠. فتحية محمود فرج العقدة ، ط أولى ١٤٠٣هـ ، دار العلوم ..

[٣] محاضرات في الأدب "العصر الجاهلي" عبد الحميد المسلوت : ص٥٩، ط١، ١٩٦٣، دار الطباعة المحمدية.

[٤] الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة . مصطفى سويف : ص٢٩٦، دار المعارف في مصر . ١٩٥١.

ثانياً : صنعة زهير في تشبيهات الناقة وتفريعاتها :

أ ـ تشبيه الناقة بثور الوحش :

قال زهير يصف ناقته ،ويشبهها بثور الوحش [1]:

فَوقَعتُ بـين قُتـود عـنسٍ ضـامر لُحّاظـة طَفَـلَ العشـي سـناد
حرجٍ ترى أثَـر النُسـوع لواحبـاً في دفهـا كمفـاقر الأمسـاد
وكأنهـا بعـد الكَـلال عشـيةً قَهـبُ الإهـابِ مُلمـع بِسـواد

الشاعر رسم صورة لهيئة ناقته التي ارتحل عليها ، ويصفها ، بعدمابلغت من الجهد والعـي مبلغا كبيراً ، وظهر آثار التعب واضحا جلياً على جسدها وجنوبها ،ويشبه تلك الآثـار التي ظهرت عليها من جراء ذلك التعب والكدح ، بآثار الحبال التي تظهر على جنـوب الناقة حين تنقل الدلو من البئر ، وذلك لمابينهما من بروز آثار وندوبات علـى ظـاهر الجسد ، إبرازا لقوة وتحمل هذه الناقة ، وهي صورة مستوحاة من طبيعة عمل الناقـة في البيئة الصحراوية ،و يظهر اعتناء الشاعر بوصف مظهر الناقة وصفًا يدل علـى طبيعـة الغرض الذي من أجله أنشئت الصورة التشبيهية ،فالشاعر يريد أن يبين سرعة انتقالـه ، ورحيله عن المكان الذي نزل به وذلك بالنظر إلى البيت السابق حيث يقول [2]:

وعرفـتُ أن لَيسـت بِـدار تَنيـة فَكَصـفقة بِـالكَف كـانَ رُفـادي

وجملة (**فكصفقة بالكف كان رفادي**) صورة تشبيهية تظهر لنا مقدار الزمان الذي قضاه زهير في ذلك المكان من جهة ، ومن جهة أخرى تنبيء عن حجم القلق الذي كان يشعر به وهو مقيم في ذلك المكان ، الأمر الذي جعله يسعى حثيثاً ، ويبذل قصـار مابوسـعه

---

[1] ديوانه :ص٢٤٤ .وبهامشه : قتود : أحناء الرحل (عيدان الرحل) . عنس ضامر : ناقة ضامر . لحاظة : تتلفت يميناً وشمالاً حين اصفرت الشمس للمغيب .طفل العشي : قبيل العشـي . سـناد . مشرفة .حرج: الضامر وقيل الضخمة الألواح . لواحباً : آثارها بينة من أثر النسوع . دفها : جنبها . المفاقر : جمع مفقرة وهي آثار الحبال في البئر. الأمساد : الحبال، الإهاب : الجلد . قهـب : أبـيض .الكلال الاعياء .).

[2] ديوانه : ص٢٤٤.

للابتعاد عنه ، فكان ذلك مدعاة لتأثر الناقة في شكلها الخارجي ،و في بروز أثر النسـوع على دفتيها ، وهي صورة من صورالكناية التي تنبيء عن أصالة الناقة ،وجدها في السـير واجتهادها في تحقيق غاية مايريد صاحبها . ثم يلاحظ أنّ الشاعر لم يكتف بهذا الوصف في الإبانة عما في نفسه ، ورأى أنه لم يوف هذه الناقة الكريمة حقّها من الثناء والمدح ، فراح يشبهها بالثور الوحشي ؛وذلك لأن صفات القوة والشدة أظهر في الثور، فكانت كالمعادل الموضوعي في الغرض ، فهي تشبهه من ناحية [١] ، ومن ناحية أخرى يلاحظ على زهـير ولعه الشديد بإظهار الألوان وهو يحكي أوصاف الحيونات في صوره وتشـبيهاته ،فلـون الثور الأبيض "**قهب الإهاب**"، واللون الأسود ، "**ملمع بسواد** " ؛ وهي تظهر حركـة بروز اللون في قوائم هذا الثور وتموجه . وقد جاءت نظائر لهذه الصورة عند غيره مـن الجاهليين كالنابغة الذبياني [٢]:

كأنهـا خاضـب أظلافَـهُ لهـق قهـدُ الإهـابِ تربتـهُ الزنـانيرُ

والفرق الذي ميز صنعة زهير عن النابغة في إظهار اللون ، وهو الجمع بين البياض والسواد ولم يجعله بياضاً مطلقاً ، أو نقاءً خالصاً كما عند النابغة. وربما كانت هذه الألوان تحمل في شعر زهير دلالات نفسية وفكرية عميقة، [٣] فنجد اللونين (الأبيض والأسود) تتكرر عنده في كثيرمن تشبيهاته، كما في وصف الناقة ـ أيضاً ـ [٤] يقول :

وتنضـحُ ذفراهـا يجـون كأنـهُ عصـيمُ كُحيـلٍ في المَراجِـلِ مُعقَـد

---

[١] الصورة الفنية في شعر زهير: عبد القادر الرباعي .ً ص ٧٦، ١٤٠٥هـ ط دار العلوم .

[٢] ديوان النابغة :ص٧٢(دارصادر). (الخاضب : الظليم . لهق : أبيض . قهد :الأبيض الذي يعلوه كدره . الزنانير : رملة أواسم أرض .

[٣] الصورة الفنية في شعر زهير :ص١٥٩. ١٤٠٥هـ ط دار العلوم .

[٤] الديوان :ص١٦٢. بهامشه (الذفرى : العظم الشاخص الذي يعرق خلف الأذن . الكحيـل : مبني على التصغير ، وهو رقيق القطران . الجون : الأسود . عصيم : الأثر . معقد : مطبوخ).

يبدو أن لون السواد في تشبيهاته واقع على خلاف السائد ، فهو يرمز للجمال أو المعاني النبيلة ،فنجدها ترد في وصفه للمرأة حين يقول[١] :

ومُؤشـر حُمـش اللثـات كأنمـا شـركت منابتُـهُ رضـيض الإثمـد

وكذلك اللون الأسمر في وصف الرمح حين يقول [٢]:

أقب كصـدر أسـرَ ذي كُعُـوبٍ لـه مـن كـل ملمعـة إبـاءُ

فاللونان (الأسود ، والأبيض) يعكسان حالة فكرية واحدة أساسها أن السواد في الظاهر هو الذي ولّد البياض ، وكونه ، وما البياض إلاّ حالة الرضا النفسي ومن هنا أمكن للشاعر أن يجمع لونين في شيء واحد كما في هذه الصورة[٣] :

---

(١) الديوان: ص١٩٥.بهامشه (المؤشر : ثغر فيه تحزيز . حمش اللثات : قليل لحم اللثـة . رضـيض الإثمد . مادق منه والإثمد : الكحل . شركت : خالطت . منابته : أصوله).

(٢) المصدر السابق :ص٥٩.(أقب : الضامر . كصدر : أي الرمح)

(٣) المصدر السابق : ص١٩٧. (نكباء: تتنكب الطريق . طليت بقار : يقصد سواد خديها وقوائمها غراء : سحابة بيضاء .)

(٤)* ديوانه .ص١٧٦-١٧٨. وبهامشه : (السديس: الذي قد ألقى سنه السادس الذي قبل البازل . كباري : ضخم عظيم ، ويقال نسبة إلى نعم بني كبير . نسوعه : النسع سير تشد به الرحال . الرتاج : الباب .مجذى : منتصب ، القراد: دويبة تتعلق بالإبل تشبه القمل . الفتان : غشاء الرحل . النمرق: الوسادة . خاضب الساقين :ظليم خاضب الساقين . أزعر : قليل الشعر . نقنق: أي ينقنق في صوته تراخى : تطاول . سماوة الشيء : أعلى شخصه . قشراء الوظيفين : نعامة متقشرة الساق . عوهق : طويلة العنق .الحبابر : فراخ النعامة . القيض : قشر البيض .خراطم : أولاد النعام. . الحدق : العين. النبح : الجدري . وقد اختلف في نسبة أبيات القصيدة ، فقيل: بأنها لأخيه أوس بن أبي سـلمى ، وقد تكررت بعض أبياتها في الديوان ص١٨٥، في مساجلة شعرية بين زهير وابنه كعب ، فكان لابنه كعـب نصـيب في بعـض مـا روي لـزهير في القصـيدة الـتي نحـن بصـددها ===

==========

.

ورأيتهـا نكبـاءَ تحسِـبُ أنهـا طُليـت بِقـار أو كُحيـلٍ مُعقَـد
وتيممـت عُـرض القَـلاة كأنهـا عَزّاءُ مـن قطـع السـحابِ الأفهـد

ب ـ تشبيه الناقة بالنعام:

قال زهير يصف بعيره عبر لوحة تشبيهية بديعة ،وقد ابتدأ رسم لوحته معتمـداً علـى الجانب الصوتي [1/٤]:

سـديسٍ كُبـاري تـئط نُسُـوعهُ أطـيط رتـاج ذي مسـامير مُغلَـق
عَليظ على مجـذى القُـراد كأنمـا بِجانِـبِ صـفوان يـزل ويرتقـي
كـأني وردفي والفتـانَ وُنمرُقـي على خاضبِ السـاقَين أزعـر نِقنِـقِ
تراخى به حُب الضـحاء وقـد رأى سمـاوةَ قشـراءِ الـوظيفين عوهـق
تحـن إلى مثـلِ الحَبـابيرِ جُـثم لُدى سـكنٍ مـن قَيضـها المُتفَلـق
تحطم عنها قَيضُـها عـن خـراطمٍ وعـن حـدقٍ كـالنبخ لـم يتفَتـق

يرسم زهير عن طريق هذه الأبيات صورة مركبة للبعير الذي ارتحل عليه ، مفصلا فيـه أهم الميزات التي تظهر قوته ،وصلابته، وشدة تحمله لقطع الطرق والمسافات الطويلة في السفر ، فهو كبير السن ، اعتاد على كثرة الترحال وقطع المسافات البعيدة ، وقد أحكـم شد السير على رحله وأثقل ،حتى صار له أطيطٌ ، يشبه صوت بابٍ قديم متهالك قـد أغلق ، والمسامير تملأه في كل جانب . وقد بنى الشاعر التشبيه عن طريق المجانسة اللفظية للفعل ، وشاكل بين لفظ المشبه والمشبه به (تئط أطيط)، وهو مايعرف بالمفعول المطلق ، والشاعر في هذا التشبيه لم يخرج عن عادته في ميله نحو التفصيل ، والتدقيق في نقل صورة مكتملة الملامح والعناصر، كما لم يرسمها فنان في لوحة من لوحاته . وقد وظّف الشـاعر حاسة السمع عنده بمهارة عالية في نقل الصورة نقلاً حسياً مشاهداً كأنك تراها رأي عين ، وهي سمة تدل على براعة الشاعر ،وقوة موهبته الفطرية ، وتأثره العميق بالبيئة المحيطة

---

[1] اللسان : (أطط) ج٧/ ص٢٤٤.

به ، ومدى انفعاله بالأمور المشاهدة فيها، وموهبته في اختزالها ومن ثّم بثها عبر صـورة البيانية الرائعة ، فأطيط الأبل : صوتها ، ويقال أطّت الإبل أي : أنت وتعبت تعباً وحنيناً ، وقال الجوهري : الأطيط : صوت الرحل والإبل ثقل حملها [١] . وقد أظهرت هذه اللفظة الصوتية مقدار مايقاسيه هذا البعير من التعب والجهد ، ثمّ انتقل الشاعر لرسـم صـورة أخرى تظهر هيئة وضخامة حجم هذا البعير ، وذلك عن طريق وصف حال القراد وهـو على جلد البعير ، فشبه حال القراد وهو يمشيي على جلد البعير ، بحالها وهي تمشي علـى صخرة ملساء، يزل عليها تارة ويرتقي تارة أخرى . وفي اختيار صورة الصفوان للمشبه به إشارة إلى صلابة هذا البعير ، وتوكيد لما سبق من ذكر حجمه وقوة بنيته . ثمّ نلاحـظ التدرج في ذكر الأوصاف لهذا البعير فمن ذكر قوته وقدرته على التحمل وبذل الجهـد ، إلى ذكر حجمه وضخامته وصلابته ، وهو بناء عقلي لايخالف منطق الواقع ، ثمّ جاء بذكر الصفة الثالثة وهي تحتاج إلى شيء من البرهان وإقامة الحجة ، إذ ليس من السهل الجمـع بين ضخامة الحجم وسرعة السير ، فكان الدليل هو صورة تمثل تلك الحالة وهي صورة (الظليم) و بعد ذلك انتقل الشاعر لوصف سرعة البعير ومقدرته الفائقة على السير بأعلى سرعة ممكنة في نظر الشاعر ، فرسم صورة تشبيهية مركبة ، فشبه حاله وهو يعتلي على رحله فوق بعيره ، بحاله وهو يعتلى فوق الظليم ، وتشبيه الناقة بالظليم أو النعام ترد عند كثير من الشعراء الجاهلين فتوجد عند امريء القيس [١] و عند بشر بن أبي خازم [٢]وعند علقمة الفحل [٣] ، وعندوعنتره العبسي [٤] ، وعند الأعشى [٥]وعند عبيد بن الأبرص [٦]

---

[١] ديوام امريء القيس : ص١٧٠ ـ ١٧١، وص:١٧٩.تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم ،ط٤،دار المعارف بمصر١٩٦٩م .

[٢] ديوان بشر بن أبي خازم : ص١٥٤.

[٣] ديوان علقمة الفحل : ص٦٣,٥٧.شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، مراجعة فخر الدين قباوة ،ط١، دار الكتاب العربي ١٩٦٩م.

[٤] ديوان عنترة العبسي: ص: ١٩٩ ـ ٢٠١.ت/ محمد سعيد مولوي ،المكتب الإسلامي ،بـيروت ،١٩٧٠م.

[٥] ديوان الأعشى : ص٢٢٩.

،وعند قيس بن الخطيم [٧]، وعند الشماخ [٨]، وعند لبيد بن ربيعة[٩]، و قصة الظليم في تشبيهاتهم عادة ماتكون موجزة غير مفصلّة بشكل كامل ودقيق إلا عند القليل منهم مثل علقمة الفحل وعنترة . وتتشابه صورة الظليم عند علقمة مع صورة الظليم عند زهـير إلا أن علقمة أطنب في وصف صورة هذا الظليم بشكل فاق فيه معظم نظرائه الجاهليين حيث يقول[١]:

كأنهـا خاضـب زُعـر قَوائمُـهُ ... أجنى لَـهُ بِـاللوى شـري وتّنـومُ
يظَـل في الحَنظَـلِ الخُطبـان ينقُفُـهُ ... وما استطف مـن التّنـوم مخـذومُ
فـوه كشـق العصـا لأيـأُتبينـهُ ... أسك ما يسمعُ الأصـوات مصـلومُ
حتّـى تـذكر بيضـات وهيجـهُ ... يـومُ رذاذ عليـه الـريحُ مغيـومُ
فَـلا تزيـدُهُ في مشـيه نفـق ... ولا الزفيفُ دُوين الشـد مسـؤومُ

---

[٦] ديوان عبيد بن الأبرص :ص ٨٤.

[٧] ديوان قيس بن الخطيم : ص٢١٤،ت/ناصر الدين الأسد ،الطبعة الثانية ، دار صـادر بـيروت ،١٩٦٧م

[٨] ديوان الشماخ : ص٢٧٧ـ ٢٨٠. ===

===[٩] ديوان لبيد بن ربيعة : ص١٤٧ـ ١٤٩.===

=====

(١) ديوان علقمة الفحل :ص٥٨ـ ٦٣. وبهامشه : الخاضب : الظليم الذي أكل الربيـع وأحمـرت قوائمه .الزعر: القليلة الريش . الشرى : شجر الحنظل .التنوم : شجر ينبت في بلاد دمثة ورقه يشبه ورق الآس .الخطبان : الحنظل فيه خطوط تضرب إلى السواد . المخذوم : المقطوع . استطف: ارتفع . السكك: صغر الأذن وضيعتها . المصلوم : المقطوع الأذن التزيد : فوق المشي : النقف: الـذاهب المنقطع . الزفيف : دون الشد . المسؤوم : المملول : منسمه : ظفره . المشهوم : الفزع . خـرق : فراخ لوازق في الأرض الجرثومة : أصل الشجرة . وضاعة : يضع في سيره . الشـرع : الأوتـار . الجؤجؤ: الصدر. العلجوم : الليل أو الجمل الضخم ، المركوم : الذي ركب بعضه بعض لكثرتـه . الأفدان : القصور . الخرقاء : =المرأة التي لاتحسن العمل . المهجوم : الساقط المهدوم . هقلة : نعامة .السطعاء : الطويلة العنق . الزمار صوت النعامة . العرار : صوت الظليم .

يكـــادُ منسِـــمُهُ يختـــل مُقلتـــهُ ... كأنـــهُ حـــاذر للـــنخس مشـــهومُ
يـــأوي إلى خُـــرقٍ زُعـــرٍ قَوادمُهـــا ... كـــأنهُن إذا بـــركن جُرثـــومُ
وضّاعةٌ كعصـــي الشـــرع جُؤجُـــؤُهُ ... كأنـــهُ يتنـــاهي الـــروض عُلجـــومُ
حتّى تلافى وقَرنُ الشـمس مُرتفـع ... أدحي عرسين فيه البـيضُ مركـومُ
يـــوحي إليهـــا بإنقـــاضٍ ونقنقـــة ... كمـــا تـــراطنُ في أفـــدانِها الـــرومُ
صـــعلٌ كـــأن جناحيـــه وجُؤجُـــؤُهُ ... بيت أطافَت بـــه خرفـــاءُ مهجـــومُ
تحُفـــهُ هقلـــةٌ ســـطعاءُ خاضـــعةٌ ... تُجيبـــهُ بزمـــار فيـــه تـــرنيمُ

ينطلق علقمة عن طريق هذه الأبيات، إلى حكاية قصة الظليم في صورة امتدت إلى إثـني عشر بيتاً من الشعر ، يضع من خلالها تصوراً شاملاً لقصة ذلك الظليم ، فهذا الظليم قد شبع من أكل الربيع ، وهو قليل الريش ، محمر القوائم من خصب التنوم الناضج والحنظل . وهو ينقف هذا الحنظل المخطط بالأخضر والأصفر، ويتناول التنوم من الأغصان العالية ، ويبدو منقاره كشق العصا ، ملتصقا ببعضه فلايكاد يظهر ، وليس له أذنان فهو لايسمع الأصوات لأنه مصلم الأذنين . وزهير يفصل قصة هذا الظليم ـ أيضاً ـ ، ويسرد لنـا أوصافه ، و حكايته ، فهو أزعر قليل الريش ، قد خضب البقل ساقيه ، له صوت ونقيق، وهذا الظليم قد تطاول به حبه لأن يتضحى أي : يتغدى ، فرأى نعامة قشراء لاريـش على ساقيها ، طويلة العنق ، ويبدو أن هذه الأوصاف تدل على حسن قوام هذه النعامة وجمالها ، وهذه النعامة تحن إلى فراخها الجاثمة بالقرب من بيضها المتكسر ، و لها فـراخ صغار تخشى عليهم الفقد أو الأذى ، وقد شبه الشاعر فراخ هذه النعامة ، بطائر الحبارى ، ربما كان ذلك لقرب خلقتها منه ، ، وهناك وجه آخر يمكن أن يكون الشاعر قد قصد إليه ، وهو أن طائر الحبارى قد اشتهر بالحمق ، وبالتالي يسهل الاحتيال عليه وافتراسه ، فهذه النعامة تحن إلى فراخها وهي خائفة عليها من الخديعة ومن ثمّ الافتراس .أما علقمـة فقد تشابه في كثير مما جاء به زهير في وصف الظليم ، ووجه الاختلاف عنده في وصف أحوال هذا الظليم الذي طال مقامه في هذا المرعى الخصيب ، إلى أن تذكر بيضات لـه ، وقد زاد في فزعه وخوفه سقوط المطر الخفيف ، وفساد أدحيه وفراخه ، فبـدأ يأخـذ في

الجري بأقصى سرعة دون كلل أو تعب ، حتى إن أظافر رجليه كادت أن تمزق مقلتيه لاتساع خطواته ، فمد رأسه إلى الأمام ، يشبه حاله بعير يسرع في عدوه؛ خشية نحسه ووخزه بقضيب حاد في صفحته . فيصل هذا الظليم إلى مسكنه ، ويأوي على فراخه وهي متلاصقة في الأرض ، كأنها أوراق شجر متساقطة ، فيبدو عنقه وصدره كعصي الشرع المتقوسات ، فكأن سواده الليل المظلم ، أو البعير الطويل المطلي بالقطران . وقد تدارك هذا الظليم أدحيه قبل مغيب الشمس فوجد أنثاه عند بيضه المركوم فوق بعضه البعض ، فقام بإصدار أصوات كأنها تعبر عن اشتياقه ، فكأنهم قوم من الروم يتكلمون في قصورهم ، فلايفهم من كلامهم شيئاً ، وهذا الظليم صغير الرأس ،كأن جناحيه ـ حين ينشرهما ـ بيت شعر طافت به امرأة خرقاء لاتحسن رفع أعمدته ، فتحيطه أنثاه الطويلة العنق ، فتميل برأسها عليه بدلال أنثوي مليء بالدفء والحنان .فعلقمة استطاع أن يفصل لنا أحوال هذا الظليم بشكل متفرد فاق نظراءه من الشعراء الجاهليين ، وتفوق على زهير ـ أيضاً ـ في عرض وتفصيل أحوال هذا الظليم إلا أن زهيراً استطاع أن يحافظ على صنعته وأن يبرز بعض الجوانب الخفية لم يبرزها علقمة في صورته .فزهير يذكر أن هذا الظليم قد تحطم عنه بيضها ليخرج أولادها ، فراح يصف أولاد هذه النعامة في صغر حجمهم ، ودقة ملامحهم ، فشبه أ عينهم وخراطمهم في دقتها وصغر حجمها ، بحال من يصاب بمرض الجدري ـ وهو مرض يصيب الجلد ـ فيخلف آثاراً عليه مثل الندب العميق . والشاعر في كل هذه القصة ، وهذا الاستطراد الذي يدل على معرفته الدقيقة بالحيونات المحيطة به ، وطريقة حياتها على وجه التفصيل ، أراد أن يثبت قوة بعيره ، وصلابته ، وما يتميز به من سرعة فائقة . ويذكر الجاحظ وهو يتحدث عن طباع هذا الحيوان إذ يقول [1]:" والظليم يوصف بالجبن ويوصف بالنفار والتوحش" . ويبدو أن هذا الوصف يرسم لنا أقصى مايمكن تصوره في بذل السرعة القصوى لهذا الظليم . وقد تكررت هذا الأبيات عند زهير ،في موضع آخر من ديوانه [2]، إلا أنها جاءت في وصف النعام ، ولم تأت في وصف الناقة ، وذلك تعسفاً من الشاعر كما ذكر ذلك شارح

---

(١) الحيوان .ج٤/ ص٣٣٣.

(٢) ينظر الديوان :ص١٨٥.

الديوان تعلب حين قال:" بأن الشاعر قد تعسف عمداً الخروج من وصـف الإبـل إلى وصف النعام؛ ليأخذ طريقاً آخر من الشعر ". ولاغرابة في أن تأتي تشـبيهات الناقـة في مقام تشبيهات النعام وذلك لارتباطهما الكبير في الشكل الخارجي ، يقـول الجـاحظ في وصفها [1]:" إنها لاطائر ،ولابعير ، وفيها من جهة المنسم والوظيف و الخزمـة والشـق الذي في أنفه ماللبعير ، وفيها من الريش و الجناحيين والذنب والمنقار ماللطائر ".

والتساؤل الذي يتبادر طرحه إلى الذهن أصورالتشبيه التي جاء بها الشاعر إنما يقصد بهـا ذكر أوصاف المشبه ، وإبرازه بشكل جلي ، فجاء بالمشبه به ، أم أن المسألة أعمق مـن ذلك ؟

يرى الدكتور محمد النويهي وهو يدرس صورة الظليم في تشبيه علقمـة ويقـول [2]:إن المشبه به مقصود لذاته ، وازداد ثقة برأيه وهو يعلل لذلك من خلال استنتاجه أن علقمـة جاء بقصة الظليم أول ماجاء بها مدعياً أنه يريد بها أن يشبه سرعة ناقته ، ثم نسي ادعاءه سريعا فعاد فشبه الظليم المسرع ببعير مسرع . ويرى غيره من الباحثين بأن الظليم يخدم مواقف الشاعر ومثله [3].وقد فسر الدكتور أنور أبوسليم قصة الظليم عند عنترة بمـايلتقي مع هذا الرأي وأن صورة عنترة الأسود تتبدى في صورة الظليم الأسود [4]. ويرى وهب رومية أن الأمر يحتاج إلى تفسير ، إذ لاشيء في الظليم يرمز إلى الناقـة إلا إذا سـلمنا أن الناقة تمثل المعادل الموضوعي للشاعر [5]، وأنه في كلامه عنها وعن الأخطار المحدقة الـتي

---

(١) الحيوان : ج٤/ص٣٢١.

(٢)الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ج١/:ص٣٦٢. الدكتور محمد النويهي– الدار القوميـة للطباعة والنشر – القاهرة.

(٣)انظر شعر الطبيعة في الأدب العربي سيد نوفل : ص٦٣ ،مكتبة الخانجي القاهرة ،١٩٤٥م.

(٤) انظر دراسات في الشعر الجاهل .أنور أبو سليم . ص٢٢،الطبعة الأولى ، دار الجيـل ، بـيروت ١٩٨٧م.

(٥) انظر شعرنا القديم والنقد الجديد . وهب رومية . ص٣٢٢ .سلسلة عالم المعرفة ، عـدد رقـم (٢٠٧)،١٩٩٦م.

تواجهها ـ ناقته أو نعامته ـ كان الشاعر يتحدث عن نفسه هو وعن المتاعب والصعاب التي تواجهه ، وأن تلك المشاهد تمثل آمال الشاعر في التخلص من الشرور والعيش في حياة يسودها الاستقرار والأمان ، بعد أن تجرع كأس البؤس واليأس والملل من حياة الحرب و الغارات ، والثارات[١]. فهذه المشاهد تظهر ـ عادة ـ حين يمهد الشاعر لقصائده التي تحمل طابعاً إنسانياً رقيقاً مملوءًا بالمشاعر الإنسانية الخالصة[٢] .

وقال زهير يصف بعيراً له ، ويشبهه بحمار وحشي منسوب إلى أخدر ، [٣] :

ومُؤشرٍ حُمشِ اللثات كأنما ... شركت منابتهُ رضيض الإثمد
دعها وسل الهَم عنك بجسرة ... تنجو نجاءَ الأخدري المُفرد [٤]
كُمصلصلٍ يعدو على بيدانة ... حقباءَ من حُمُر القَنان مُشرد
صافا يطوفُ بها على قُلَلِ الصُوى ... وشتا كذَلق الزُج غَير مُقَهد[٥]
وابنُ البُليدة فاغدٍ بالمَرصد[٦]

---

(١) انظر التشبيه الملحمي في الشعر الجاهلي . ص:١٨٦.

(٢) عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي .محمود الجادر . مقال في مجلة المجمع العلمي العراقي .ص٢٤. رقم (٣٣) ج٢. رجب ١٤٠٢هـ .

(٣) ديوانه ١٩٥.وبهامشه:(الجسرة : الناقة الطويلة . مصلصل : غير مصوت . بيدانه : أتان وحشية . القنان : جبل لبني أسد . صافا:أقاما في الصيف . قلل الصوى : جمع قلة الصوى : مفردها صوة ، وهو مرتفع من الأرض غليظ . ذلق: حد. مقهد: بادن سمين).

(٤) .والأخدري : الحمار الوحشي وفي التهذيب : الأخدري من نعت حمار الوحش كأنه نسب إلى فحل اسمه أخدر . (اللسان (خدر)) ٤/ ٢٣٣.===

===(٥) صافا:أقاما في الصيف . قلل الصوى : جمع قلة الصوى : مفردها صوة ، وهو مرتفع من الأرض غليظ . ذلق: حد. مقهد: بادن سمين (شرح الديوان ١٩٥) . الزج : الحديدة التي تركب في أسفل الرمح والسنان . (اللسان (زجج)٢/ ٢٨٥) .

(٦) الديوان ١٩٦/ ١٩٨وبهامشه :(عميرة و ابن البليد : اسماء الصائدين . فأجازها : أنفذها . متحلب الوشلين : يسيل العرق منه أسفل الليتين . ضرغد : موضع فيه ماء. تلع النهار : ارتفع النهار. ونى تقريبها : فتر تقريبها . الفرقد : ولد بقر الوحش . نكباء : أي متنكبة مائلة عن الطريق .

خافـا عمـيرةَ أن يُصـادف وردهـا ... مُتحلب الوشـلين قـارب ضـرغَد
فأجازهـا تنفـي سـنابِكُهُ الحَصـى ... حتّى إذا تلـع النهـارُ مـن الغـد
باتـا وباتـت ليلـةٌ سـمّارةٌ ... ظمأ فَخـش بهـا خـلالَ الغرقَـد
ورأى العُيـونَ وقَـد ونى تقريبُهـا ... ظلـت تتبـعُ مرتعـاً بالقَرقَـد
*تنجـو كـذَلك أو نجـاءَ قَريـدة ... يجري عليها الظل ظاهرُهـا نـدي
بينـا تُراعيـه بكُـل خميلـة ... إلّـا الإهـاب تركنـهُ بالمَرقَـد
عَقَلت فَخالَفَها السِـباعُ فَلَـم تجِـد ... طُليـت بقـار أو كُحيـلٍ مُعقَـد
ورأيتهـا نكبـاءَ تحسِـبُ أنهـا ... عُرّاءُ من قطـع السـحابِ الأقهـد
وتيممـت عُـرض القَـلاة كأنهـا ... مُتحلب الوشـلين قـارب ضـرغَد

في هذه الأبيات يرسم زهير صورة تشبيهية مركبة لناقته بعد أن فرغ من ذكر صاحبته "**سلمى**" وديارها ، فراح يصف بعيره ويشبهه ، بحمار وحشي منسوب إلى أخدر ، وأخدر فحل معروف السلالة .وقيل هو فحل لكسرى كان أوطلها عمراً و وأحسنها شكلاً [1]،والجامع بينهما السرعة وحسن الهيئة وقوة البدن وعراقة السلالة ، والغرض من ذلك إظهار سرعة هذه الناقة و طيب أصلها ، فقصة هذا الحمار تبدأ من صلصلة صوته وعدو على أتانه المشردة ومحاولة تجميعها، وقد ورد قريب من هذه الصورة عند زهير في موضع آخر حيث يقول [2]:

وكأنهـا صـحلُ الشـحيج مُطـرد ... أخلى لـهُ حُقـبُ السـوار ومـذنبُ

الكحيل : الخضخض الرقيق يخرج من عين من الأرض يشبه النفط . معقد: يعقد بالنار . السـحاب الأقهد : السحاب الأبيض).

==========

[1] حياة الحيوان الكبرى ، ج١/ص٢٣١،كمال الدين محمد موسى الدميري ، تقديم / أحمد حسـن بسج ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م.

[2] ديوان زهير :ص٢٧٧.

ويشبه زهير صوت الحمار في موضع آخر ، بصوت رجل يدعو صاحبه من بعيد ، ويصرخ بأعلى صوته [٣]:

كأن سحيلُه في كُل فَجر ... على أحساءِ يمؤود دُعاءُ

واستخدام الحمار صوته في تجمع الأتن وسوقها في المرعى صورة مألوفة ، ومتكررة عند الجاهليين ، فهي عند امريء القيس [٤]:

أرن على حُقبٍ حيالٍ طُروقَة ... كذَود الأجيرِ الأربع الأشرات

وقد اختلف الشعراء في تشبيه صوت الحمار ، فنجد لبيد بن ربيعة يشبهه بصوت رئيس يعلم قومه بأنّ هناك جيشاً سوف يهجم عليهم ويغتالهم [١]:

كأن سحيلُه شكوى رئيسٍ ... يُحاذرُ من سرايا واغتيال

أما الشماخ فيشبهه بصوت حادي الإبل الذي يتغنى بصوته ، أو بصوت مزمار [٢]:

لهُ زجلٌ تقولُ أصوتُ حاد ... إذا طلَب الوسيقَةَ أو زميرُ

وقد استطاع زهير أن يدل على قوة هذا الحمار ونشاطه من خلال تشبيه صوت هذا الحمار "**بالصلصل**"، يقول الدميري [٣]: " ويقال للحمار الوحشي الحاد الصوت صال وصلصال ، وكأنه يريد الصحيحية الأجساد ، الشديدة الأصوات ، لقوتها ونشاطها ".

ويسترعي النظر الجناس الاشتقاقي بين الفعل " **تنجو**" ومصدره " **نجاء** "وهما كلمتان متلازمتان توجهان الخيال في لمحة زمنية قصيرة إلى فعلين حركيين متماثلين يتمان في مجالين مختلفين نسبياً [٤] ، فهو يشبه نجاء ناقته وسرعتها ، بنجاء وسرعة الفرس الأخدري ، وهذا

---

[٣] ذات المصدر : ص٦٢.

[٤] ديوان امريء القيس : ص٧٩.

[١] ديوان لبيد بن ربيعة :ص ٨٤.

[٢] ديوان الشماخ : ص١٥٥

[٣] حياة الحيوان الكبرى . ج١/ص٢٣١.

[٤] الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى . ص: ١٧٠ ـ ١٧١.

يعطي الصورة العنصرالحركي فيها ، وهذا الأسلوب شائع في تشبيهاته مثل :" **تهوي هوي الدلو**"

في قوله [٥]:

فَشج بها الأعاعز فَهي تهوي هُوي الدلو أسلمها الرشاءُ

و " **يخلجن خلج الدلاء** " ،في قوله [٦]:

جوانح يخلجن خلج الظبا ءِ يركُضن ميلاً وينزعن ميلا

و" **يميل الرمح ميل المائح** " في قوله [١]:

يُغادرُ القرنَ مُصفّراً أنامِلُهُ يميلُ في الرُمحِ ميلَ المائحِ الأسنِ

و"**تحبو ضفادعه حبو الجواري** " في قوله [٢]:

يُحيلُ في جدولٍ تحبو ضفادعُهُ حبو الجَواري ترى في مائه نُطُقا

ومن اللطيف أن جميع تلك الصور الواردة بهذا الأسلوب جاءت لتصور جانب السرعة في المشبه ؛مايدل على أن سرعة الانتقال اللفظي بين لفظة المشبه ولفظة المشبه به ، لها علاقة ظاهرة بسرعة الانتقال المادي الحسي الذي يريد الشاعر أن يوضحه بشكل أظهر في المشبه به ،ثمّ أخذ الشاعر يستطرد في وصف ناقته – على عادة الشعراء الجاهليين – فراح يفصل القول عنها عن طريق سرد قصة حمار الوحش مع أتانه ، فهذه الناقة تشبه عيراً مصوتاً ، يعدو على أتان وحشية بيضاء موضع الحقيبة ، وهذه الأتان منسوبة إلى موضع القنان : وهو جبل لبني أسد ، قد شردت . فأخذ هذا العير أتانه يصيفان ويشتيان وهما معاً يسيران في رؤوس المرتفعات الغليظة ، حتى نحل عودهما ،وذهب شحمهما ، فراح الشاعر ليرسم لهما صورة حسية، فشبه حال العير مع أتانه بعد أن نحلا من السير

---

[٥] الديوان : ٦٠.

[٦] الديوان : ص١٥١.

[١] الديوان : ص٩٩.

[٢] الديوان : ص٤٩.

على قمم الصوى ، بزاوية الحديدة التي تركّب أسفل الرمح أو السنان ،وجملة "**غير مقهد** ": أي غير بادن سمين ،وهي جملة حالية جاءت تأكيداً على المعنى في الصورة التشـبيهية واحترازاً من الشاعر أن يتوهم حجماً ضخماً لتلك الحديدة التي تركب في أسفل الرمح ، ، ويبدوأن تشبيه حمار الوحش بحديدة الرمح النحيلة ، صورة تنقل لنا مقدار الجهد الذي أصاب العير مع أتانه حتى بلغ هذا الحد من الضمور والنحول ، و من جهة أخرى، تظهر قوة تحمل هذين الحمارين ، وصلابة عودها.وقد استفاد زهير هذا المعنى مـن سـابقيه كامرئ القيس في رسم و تحديد بعض ملامح هذا الحمار ، وتشبيهه (**بذلق الزج)**

يقول امرؤ القيس [1]:

عنيف بتجميعِ الضـرائرِ فـاحش شتيمٌ كـذلقِ الـزج ذي ذمـراتِ

ثم أخذ زهير يتابع قصة العير مع أتانه ، حين ذهبا إلى مورد الماء وهما خائفـان مـن أن يصادف وردهما ورد الصائد (**عميرة**)، أو أن يترصد لها (**ابن بليدة**)الصائد ، فأورد العير أتانه وهما في خوف، وحذر بالغين ، فإذا بابن بليدة وعميرة مترصدين على مورد الماء ، ففر العيرّ على الفور بأتانه بسرعة شديده ، والعرق يتصبب من ليتيه خوفا من ملاحقـة الصائد لهما، حتى إذا أظلهم الليل ، وباتا وهما سامران ليلهما إلى أن طلع النهار . ومهـا يسترعي النظر في هذه الصورة التشبيهية صياغة لفظ الفعلين (**باتا وباتت**) وماتدل عليه من المفاعلة والتوحد في شعور المعاناة ، فرأى ذلك الحمار عيون الماء ، وقد أنهك السـير قواهما ، وفتر تقريبهما من شدة العطش ، فدخل بها في مكان بين الشجر ، والشـاعر في كل هذه القصة يريد أن يصف لنا حال نجاة ناقته من الهلاك ، ويشبهها بحال نجاة حمـار الوحش مع أتانه من الصائد ، ثم بعد ذلك يرسم الشاعر حالة ثانية يمكن أن تكون مكافئة لحال نجاة ناقته في الرحلة، وذلك على سبيل المساواة في حجم الخطر المحدق بالناقـة في كلا الحالتين أو هي صورة مستوفية ومستوعبة للمعنى الذي أراد الشاعر أن يرسمه مـن جانب آخر ، فهي تشبه حال حمار الوحش وقصته السابقة ، أو تشبه حال بقرة وحشية

---

[1] ديوان امرئ القيس :ص ٨٠. . وهامشه : شتيم : قبيح . ذمرات : أي يذمرهن ويزجرهن مرة بعد مرة .

منفردة مع ولدها ، تتتبع منابت العشب لترتع فيها ، وبينما هي ترعى العشب مع ابنها ،إذ غفلت عنه ، فهجمت السباع على ابنها فأكلنه ولم يبقين منه إلا الجلـد ملقـى في المكان التي تركت فيه ابنها ، وجملة (**غفلت ، فخالفها السباع**) نقلت سرعة المشـهد ومباغتته للبقرة الرؤوم على ابنها، حتى غدت هذه البقرة الأم تسير وهي متنكبـة عـن الطريق من هول الصدمة ، فالشاعر ذهب ليصور لنا هذا المشهد المؤثر ، عبر تشبيه مركب ، تعدد فيه المشبه به ، فشبه حال البقرة وسواد خديها وهي تسير مائلة عـن الطريـق ، والألم يعتصرها ، بحال بقرة طليت بالقار : وهو سائل أسود يشبه القطران ، يوضـع في مكان الجرب ، أو طليت بسائل الكحيل وهو أسود ـ أيضاً ـ قد عقد بالنار .، ثم بعد ذلك أراد الشاعر أن يتم عرض المشهد المؤثر، ويستوفي رسم الصورة بكل أبعادها ، فشبه بياض ظهر البقرة وهي تسير في عرض الصحراء ، بالسحاب الأبيض . ويبدو أن الشاعر عبر كل هذه الأحداث المؤثرة ، والتفاصيل الدقيقة عن حياة الحيوان الذي تتهدده المصائب والنكبات ، ويحدق عليه الخطر ، فيسير في فزع دائم ، وترقب مستمر ، إنما أراد أن ينقل لنا صورة عن حجم المخاطر التي تتهدده وهو في مسيره ، عبر رحلته التي يممهـا نحـو ممدوحه ، هرم بن سنان ، ويصف ما لاقاه من تكبد العناء ، والمشقة ، والتعب في سبيل الوصول إليه . إن خيال زهير الواسع كان له أثر فعال في الأداء الفني للصورة الشـعرية [1]، كما أن الشاعر استطاع من خلال خياله أن يصور العاطفـة و يضـع الأشـياء في علاقات جديدة [2]، ويبرز المعاني في ثوب زاهي بديع ،و"للخيال في شـعر زهـير أثـره الواضح إذ تمثل عبقريته الفنية في نسج شعره وصياغته حتى أصبح هـذا الشـعر أنفاسـاً ساحرة مرسلة على الطبيعة ، كما أبدع أيما إبداع في كثير من صوره الفنية الرائعـة " [3] وينبه الأعلم الشنتمري إلى حس زهير وخياله في عرضـه للصـوره البيانيـة إذ يقـول [4]:"فمعانيه لايسوقها سوق الحس والمشاهدة فحسب ، ولكنه يتكيء فيها على خيالـه

---

[1] الفكرة والصورة في شعر زهير :ص١٧٠.

[2] في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي ،ص٣١١،ط٢. دار الفكر العربي .

[3] الفكرة والصورة في شعر زهير .ص١٧١.

[4] أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، الأعلم الشنتمري ص٢٢٠ .

ليبرزها في ألوان مجنحة من صنعة الخيال المتصرف ، في ملكات النفس والشعور وهذا الخيال عند زهير من صنعته أن يقرب البعيد ، ويسهل الصعب من المعاني ،ويوضح الغامض ، وأجنحة هذا الخيال فيه مبالغة مقبولة أو استعارة صادقة أو كناية قريبة أو تشبيه مستطرف في ثنايا شعره ". ويلوح للباحث أن السر وراء تعدد المشبه به في الصورة التشبيهية عند الشاعر ، أن المعاني التي أراد أن يفصح عنها الشاعر لها حيز كبير في وجدانه ومخيلته، إذ لاتستوعب الأساليب الكلامية المعتادة الإبانة عنها بالشكل الذي يرضي ذات الشاعر ، فعمد إلى أسلوب التشبيه (القصصي) واختار أقرب الحيوانات رمزاً وتمثلاً للمعاناة ، سواء أكانت ناقة أو حيوان الوحش أو ظليماً ، فهذه الحيوانات أقرب إلى طبيعة ذلك الإنسان الجاهلي والتي تتشارك معه في البيئة ، وهو يشترك معها في كثير من الظروف والمعاناة ،لذلك جعلها مثالاً مصوراً ، ليصور من خلالها الحالة التي يعانيها الشاعر نفسه ، والشاعر حين يريد إخراج هذا المعنى العميق القابع في أعماق وجدانه يشعر بأنّ صورةً واحدة من صور البيان قد لاتوفي لإظهار حجم المعناة أو المعنى العظيم الذي يقصد الإبانة عنه ، فهي لاتشمله من شتى الجوانب العقلية والعاطفية ، إذيرى أنه لايزال مختزلاً في مخيلته شيئاً من الايضاحات يود أن يبين عنها ، فيعمد إلى صورة تشبية أخرى عبرحيوان آخر ليظهر ماكان عالقاً من بقايا المعاني في نفسه وخياله ، وليبلغ الإفصاح عن المعنى أعلى درجات البيان . فإن قلت إن "أو" من معانيها أنها تفيد التخيير ،والمساواة ، والإباحة ،والإضراب ، فهي تأتي أيضاً بمعنى "الواو العاطفة " ، [1].

وقد ورد تعدد المشبه به في التصويرات القرآنية كما جاء في وصف حال المنافقين في قوله تعالى: ﴿ **أُولَـئك الذين اشتَرُوُا الضلالَةَ بِالْهُدى فَما ربحت تجارتُهُم ومـا كـانُوا مُهتدين{١٦} مثَلُهُم كمثَلِ الذي استوقَد ناراً فَلما أضاءت ما حولَهُ ذَهب اللّهُ بِنُورهم**

---

[1] أورد ذلك ابن مالك ذلك في ألفيته يقول قد تستعمل "أو" بمعنى الواو عند أمن اللبس ، واستشهد بقول جرير بن عطية:

جاءَ الخلافَةَ أو كانت لَهُ قَدراً كما أتى ربهُ موسى على قَدرِ

أي وكانت له قدراً . انظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢/ص٢١٤، ت محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية . ١٩٩٥م.

وتركَهُم في ظُلُمات لا يُبصرُونَ{١٧} صُم بُكْم عُمي فَهُـم لا يرجِعُـونَ{١٨} أو كَصيبٍ من السماءِ فيه ظُلُمات ورعد وبرق يجعلُونَ أصـابِعهُم فـي آذَانِهـم مـن الصواعق حذَر الموت واللّهُ مُحيطٌ بِالكافرين{١٩} يكَادُ البرقُ يخطَـفُ أبصـارهُم كُلما أضاء لَهُم مشوا فيه وإِذَا أظْلَم عليهم قَامُوا ولو شاء اللّـهُ لَـذَهب بِسـمعهم وأبصارهم إن الله على كُل شيءٍ قَدير{٢٠} ﴾"[٢]

يقول الزمخشري في التعليق على هذين التمثيلين[١]: فإن قلت أي التمثيلين أبلغ ؟ قلـت : الثاني لأنه أدل على فرط الحيرة ، وشدة الأمر ،وفظاعته ، ولذلك أخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ "و يلوح للباحث أن الصورة الأولى جاءت لتصور حجم الضياع والحيرة والضلال المبين عن الحق ، بعد أن ظهر لهم وسطع نـوره ، . والصـورة الثانية :، جاءت لتبين حجم الخوف والفزع ، والخطر المحدق بهم من جرا ء التنكب عـن طريق الحق ،واتباع طريق الشك ؛ ذلك الطريق الغوي الذي سلكوه . فالصورة الأولى كان معنى الضياع والحيرة فيها أظهر ، والصورة الثانية كان معنى الخوف والفزع والشعور بالخطر فيها أظهر ، إذاً فالصورتان التشبيهيتان مكملتان لبعضهما البعض ،والفارق بينهما أن كل واحدة من هذه الصور استطاعت أن تكشف عن المعنى بشكل لم تتهيأ للصـورة الأخرى الكشف عنه ، وتوحدت الصورتان في إظهارالمعنى بصورة أشمل، وذلك لتظهره على أتم وجه وأكمل بيان .

---

[٢] سورة البقرة : (١٦ ـ ٢٠).

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .ص٧٨جـ ـارالله الزمخشـري . تحقيق/يوسف حمادي. مكتبة مصر.

ج ـ تشبيهات الناقة وصلتها بقصة حمار الوحش:

يقول زهير مستطرداً في وصف ناقته [1]:

حرف عُـذافـرةٌ تجِـد بِـراكبِهِ ... وكَـأن حـاركِها كثـيب أحـدبُ
منـها إذا احتضـرالخطوب مُعـول ... وقـرى لحاضـرة الهمـوم ومهـرب
وكأنهـا إذ قُربـت لقُتودهـا ... قَـدنٌ تطـوفُ بِـه الُبنـاةُ مُبـوبُ
تهـدي قَلائـص دُربـت عيديـةً ... خوصاً أضر بِهـا الوجيـفُ المُهـذبُ
حتّى انطوى بعد الـدُؤُوبِ تَميلُهـا ... وأذل منـها بِـالقَلاة المَصـعبُ
وكأن أعُينهُن مـن طـول السُـرى ... قُلُـب نـواكزُ مـاؤُهُن مُنضـبُ
وكأنهـا صـحلُ الشـحيج مُطـرد ... أخلى لـهُ حُقـبُ السـوار ومـذنبُ
أكلَ الربيـع بِهـا يُفَـزعُ سـمعهُ ... بِمكانِـه هـزجُ العشـية أصـهبُ
وحـداً كمقـلاءِ الوليـد مُكـدم ... جأب أطـاع لـهُ الجَمـيمُ مُحنـبُ.
صُلُبُ النُسور على الصُخور مُراجِـم ... جـأب حزابِيـةٌ أقَـب مُعقـربُ

---

[1] الديوان : (ص٢٧٦-٢٧٧)وبهامشه (الحرف : النجيبة الصلبة أنضتها الأسفار . الحارك : أعلى الكاهل . العذافرة : العظيمة الشديدة .القتود : خشب الرحل . الفدن : القصر المشيد .تهدي : تتقدم . قلائص: جمع قلوص وهي الناقة الفتية . عيدية : نسبة إلى عيد وهو فحل نجيب تنسب إليه كـرائم النجائب ، وقيل حي من اليمن . خوصاً : جمع خوصاء وهي الغائرة العينين . الوجيـف : السـير السريع . المهذب : الشديد.الثميل : مابقي في جوفها من علفها ومائهـا . المصـعب : الصـعوبة والحدةوالنشاط.القلب : جمع قليب وهي البئر القديمة . النواكز : جمع ناكزة وهي القليلـة المـاء . المنضب: البعيد . الصحل : الحمار في صوته بحة الهزج : الذباب المصوت .مقـلاء الوليـد : عـود يضرب به الصبيان . مكّدم : معضعض . الجميم : النبات الكثير . المحنب : الذي في يديـه وصـلبه انحناء .النسور: جمع نسر : مشخص من باطن الحافر . الراجم : الذي يرجم الأرض بحافره . الحزابية : الحازم المتيقظ . المعقرب : المحكم الخلق . لوح : عطش . الكواكب : القيظ . الحرائر : جمع حرور وهي الرياح الحارة . السفا: شوك البهمى . المتنصب : القائم المنتصب .الثماد : الماء القليل . خشع : الجبل الطويل . أنقب: جمع نقب ، وهو الطريق في الجب. [7] الجفرة : الحفرة المستديرة . جمامهن : أمواجهن وفوران مائهن).

حتّى إذا لَوحُ الكَواكـبِ شـفهُ ... منـهُ الحَرائـرُ والسـفا المُتنصـبُ
ارتـاع يـذكر مشـرباً بثمـاده ... من دونِـه خُشـُع دنـونَ وأنـقُـبُ
عزم الـوُرود فَـآب عـذباً بـارداً ... مـن فَوقـه سُـد يسـيلُ وألهُـبُ
جفـر تفـيضُ ولا تغـيضُ طَواميـاً ... يزخـرنَ فَـوق جِمـامهن الطُحلُـبُ
فَاعتامـهُ عنـد الظَـلامِ فَسـامهُ ... ثُـم انتهـى حـذَر المَنِيـة يرقُـبُ

يستهل زهيرصوره التشبيهية في هذه القصيدة بوصف الناقة ، بعد أن بدأها بذكر الصاحبة "**أميمة** " ونأيها عنه، فيحاول وصف ناقته وصفاً دقيقاً ، وذلك عن طريق رسم صورة تشبيهية لها ، فابتدأ الأبيات بتشبيه ناقته ، بحافة الجبل ، وحذف أداة ، وذلك إظهارا لقوة الناقة وصلابتها ، ثم أتبعها صورة حسية أخرى ،جاءت تتميما وتأكيداً للصـورة الـتي ابتدأها ، فشبه أعلى كاهلها ،بالكثيب الرملي المحدب ، والشاعر في هذا التشبيه يعيد فكرة التشبيه الأول ، بغرض التأكيد على ضخامة ناقته ، وشدتها ، وصلابتها ، ثم انتقل بعـد ذلك ليصف لنا ميزة أخرى من مميزات ناقته ، وذلك عبر صورة حسية مركبة ، فشـبه حال ناقته وقد تأهبت للمسير بعد أن وضع عليها خشب الرحل ، بالفدن : وهو القصـر المشيد ، وذلك محاولة لإظهار سلامة سيرها ، وسلاسته ، والذي مؤداه ، شعور راكبـها بالراحة أثناء الارتحال عليها وعدم التململ ، والشعور بوعثاء السفر ويبدو أن هذه الناقـة لاتملّ السفر، والترحال ، وهي ترحب دائماً بالسفر عليها ، يظهر لنا هذا مـن قـول لشاعر: " **إذ قربت لقتودها فدن** " فبمجرد أن يقرب قتود الرحل لها ليوضع على متنها ، تجدها قد استرخت ولانت ،فهي تبدو كالقصر المشيد الفاره . ويبدو أن القصر المشيد ، يعطي دلالة خاصة للشعوربا لراحة والفخامة ؛ مما جعل الشاعر يوفق في إصـابة دلالـة الصورة على المعنى ، وبعد ذلك انتقل الشاعر ليصف لنا صورة أخرى من صور ناقته التي تدل على جدها وجهدها في المسير بلا انقطاع ، فشبه عيون ناقته ، وحالها مـن طـول السفر المتواصل ، والجهد الذي لم ينقطع ، بحال البئر القديمة التي قد جف ماؤها ونضـب ولم يبق منه إلا القليل الغائر ، وهو بهذا التشبيه، قد رسم مشهدا ، ولوحة فنيـة مليئـة بالتصوير والرسومات ، والتي تتخطى إطار الجانب الشكلي إلى ماهو أعمـق وأغـزر في المعنى ، والشاعر قد أحسن في استثمار الصور الحسية،وبرع في التقاط الصور والمشـاهد

التي قد تبعد عن منزع الخاطر الاعتيادي ،ومن ثم بناؤها وإبرازها في صورة بيانية بديعةً ، وعادة لايفطن لهذه إلا شاعر لمّاح مرهف ، قد رزق خيالاً جامحاً، وموهبة فذة في إبـراز الصور الفنية البيانية . وغرابة الصورة التي فطن لها الشاعر في هذا التشـبيه هـي الـتي أكسبتها قيمة فنية عالية ، إذ ليس من السهل إيجاد رابط بين شيئين ليس بينها علاقـة إلا في إطار محدد وصفة مشروطة "**كعين الناقة وهي مجهدة من طول السـرى** " و" **البئـر القديمة التي جفّ ماؤها فلاتكاد تراه لشدة بعده** " وقد عقد الإمام عبد القـاهر فصـلاً لبيان الفرق بين التشبيه القريب والتشبيه البعيد ، وذكر أن من أسباب الغرابـة ، النظـر لأكثر من وصف لأخذ ماله دخل في التشبيه ونفي مالادخل فيه[1] . ويستوقف البحـث بناء الشاعر اللفظي في وصف التشبيه،ودقته في انتزاع الوصف من وجه واحد . و"علـى حسب دقة المسلك إلى ماستخرج من الشبه ، ولطف المذهب وبعد التصعد إلى ماحصل من الوفاق ، استحق مدرك ذلك المدح ، واستوجب التقديم ، واقتضاك العقـل أن تنـوه بذكره ، وتقضي بالحسنى في نتائج فكره. نعم وعلى حسب المراتب في ذلك أعطيتـه في بعض منزلة الحاذق الصنع ،والملهم المؤيد ، والألمعي المحدث"[2]. فعين الناقة لاتشبه البئـر في كل حال من أحوالها ، بل احترس الشاعر لذلك من خلال الجملة الاعتراضية " **مـن طول السرى** " فهذا هو سبب التشابه ، وهو الرابط بين الصورتين ، إذ لولم يذكر الشاعر هذه الجملة لربما أصبحت هذه الصفة صفة ذم في خلقة الناقة وليس بمدح ، ثم إذا نظرنـا إلى المشبه به، نجد أن العلاقة قائمة بينه وبين المشبه من جهة واحدة في الصفة ، وهي التي قصدها الشاعر فليس الشبه واقعاً بين البئر وعين الناقة في كل أحواله ، بل في حالة معينة ، وذلك عند نضوب الماء منه ، واستقرار القليل من هذا الماء في قاع البئر . ثم بعد ذلك سرعان ماينتقل الشاعر إلى دائرة أخرى ، وهي تمثل دائرة الصراع ومسـرح الأحـداث المثيرة في هذه اللوحة البيانية ، فيشبه زهير ناقته بالحمار الوحشي ، وينسى ناقته ، ويدخل إلى عالم الحمار فيكشف أبعاد ذلك العالم بصورة شعرية فياضة في دلالاتها ،فهذا الحمـار ذو صوت مبحوح ، قد طرده الصيادون أو الحمير حتى استفرد بنفسه في مكان خال عند

---

[1] انظر دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه . ص:١٥٤.عبد الهادي العدل . دار الفكر الحديث للطبع والنشر .

[2] أسرار البلاغة .ص١٥٠/١٥١.

روضة غناء ، ذات نبات كثيف ، لايسمع فيه إلا صوت الذباب ، وبقي وحيداً في هـذا المكان ، ففصل الربيع ،والنبات الكثيف الذي طرز ذلك المكان الهادي البعيد ، يعطـي جمالاً لخلفية هذه الصورة الخلابة التي بدأها الشاعر لذكر قصة هذا الحمـار ، ثم ذهـب ليرسم صورة هذا الحمار ، ويشبهه بمقلاء الوليد : وهو العود الذي يضرب به الصـبيان ، وذلك إظهاراً لضموره ونحول جسده ، وهو مايدل على صـلابة عـوده ، وقوتـه ، ويستوقفنا روعة الإيقاع الموسيقي في السجع اللفظي بين " **صلب النسور على الصخور** " ثم راح الشاعر يستطرد في أوصافه الحمار الدالة على صلابته وقوة بأسه ، مؤكداً على قوة،وشدة تحمله ، فهو مكدم من آثار عضات الحمير التي يعترك معها ، وكـذلك هـو غليظ قد انحنى صلبه من كثرة مايلاقي من المواجهات . وهذا الحمار خفيف وقع الحافر . وهو ما يدل على سرعته ، وهو غليظ ، ضامر البطن ، حازم متيقظ ، قد أحكمت خلقته . وبعد أن استكمل الشاعر فضائل هذا الحمار الخلْقية ، راح يذكر قصة مغامراتـه مـع الصائد أثناء وروده الماء . فحينما ارتفعت درجة الحرارة ، وأصاب هذا الحمار لفح القيظ ، شعر بالعطش ، واحتاج للماء ، فرجع يبحث عن مكان فيه ماء ، فتذكر مكانـاً وراء جبل ذا ماء قليل ، فعزم على ورود هذا المكان ليلاً ، وهذا الماء في شق الجبل ، في حفرة مستديرة منه ، قد عمها الطمي والطحلب ، فأخذ هذا الحمار يروز هذا المـاء ، ويرقبـه بتأمل وهو حذر ، وبينما هو كذلك إذ رأى الصائد عند مورد الماء وهو متربص به يتحين الفرصة لاصطياده ..ويستوقف البحث حين يعرض تفاصيل الصورة التشـبيهية في هـذه اللوحة البيانية البديعة جملٌ أدت إلى تنامي هذه الصورة الرائعة فمـن ذلـك، الجمـال الموسيقى في الجناس الناقص في قوله : " **جفر تفيض ولاتغيض** " والجملة الأكثر حركية ، التي بثّت روح الحذر داخل النص قوله : " **حذر المنية يرقبُ**" . ثم بعد ذلك ينتقـل الشاعر إلى دائرة أخرة من الأحداث والصور ، والمشاهد والتي تعد الأكثر إثارة في هـذه القصة البيانية الرائعة وفي أبيات القصيدة ، ليصف لنا تلك الأحداث الـتي دارت بـين الصائد ، وما يحمله من سلاح الصيد ، وبين هذا الحمار الظامئ .

د ـ تشبيهات الناقة وصلتها بقصة الصائد :

وعلـى الشـربة رابِـئٌ مُـتحلس ... رامٍ يعينيـــه الحَظـــيرةَ شـــيزبُ [1]
معـــهُ مُتابِعـــةٌ إذا هُـــو شـــدها ... بالشـرع يستشـزي لـهُ وتحـدبُ
ملســاءُ مُحدلــةٌ كــأن عتادهــا ... نوّاحـــةٌ نعـــت الكـــرام مُشـــبّبُ
قَنـواءُ حصّـاءُ القَـوس نبعـةٌ ... مثـلُ السـبيكة إذ تُمـل وتُشسـبُ
عُـرش كحاشـية الإزار شـريجةٌ ... صـفراءُ لا سـدر ولا هـي تألـبُ
ومُنَقـف ممّـا بـرى مُتمالـك ... بالسـير ذو أطُـر عليـه ومنكـبُ
قَرمـى فَأخطـأه وجـالَ كأنـهُ ... ألـم علـى بـرز الأماعز يلحـبُ

ينتقل الشاعر في إلى مسرح الأحداث المثيرة ، والأحول المفزعة التي واجهـت الحمـار .فيذكرحكاية الصائد وأحواله، وقد ذكر زهير غير اسم لهذا الصائد _ في غـير هـذا الموضع ـ كـ"**عميرة** " **وابن بليدة**"[2] ، وقد جاءت صورة هذا الصائد عند زهير أنـه شيزب : أي ضامر يابس من الضر وشدة الحال ، ووردت صورة الصائد عند أوس بأن عظام ساعديه قد بانت من قلة اللحم عليهما ، وهو ليس بذي جسم ضخم ، فأصـابعه

---

[1] الديوان (٢٧٨- ٢٧٩) وبهامشه : الرابيء: الحارس . المتحلس : المقيم . سيزب : اليابس الضامر . المحدلة : التي أعلاها أوسع من أسفلها ، نعت الكرام : أخبرت بموتهم ، وبكتهم . المشبب: النائحة تشبب الحزن ،وتؤرثه .قنواء : المحدودبة . الحصاء : الجرداء . نبعة : مصنوعة مـن شـجر النبـع . السبيكة : القطعة من الفضة ذوبت وأفرغت في قالب . : تملّ : تعالج بالنار . وتتشسـب: تضـمر وتيبس .العرش : الطويلة . شريجة : فلقة العود ، إذا شق فلقتين متسـاويين . السـدر و التألـب : شجران ضعيفان متمالك : أي شديد .برز الأماعز : المرتفع الصلب ، يغطيه حصى سود . يلحب : يقطع الارض بالعدو قطعا).

[2] ديوان زهير : ص١٩٥. وقد تعددت واختلفت أسماء الصائدين عند الجاهليين، فعنـد امـرىء القيس (ص٨٠)و"عمرو وصاحب القترات " ،وعند أوس بن حجر (ص٧٠) "صائد منن قبيلة صباح " ،وعند الأعشى (١٢١) " صائد من دلان " ، وعند الشماخ (٧٠ـ ٩٥ـ ١٨٢) ورد غير اسـم لهذا الصائد منها :"صائداً هامرياً " و" والعكراش ، وكعب بن سعد " و"عامراً أخا الخضر " .

قصيرة وخشنة وغليظة ، وليس له طعام إلا ماتصيده سهامه ، وهو متعود على أكل اللحم [١]،وجاءت صورته عند الشماخ ، بأنه فقير ، وليست له مهنة غير الصـيد [٢] .وهـذا الصائد معه سلاحه الذي يتربص به الفريسة وهو القوس ، وهذه القـوس فيهـا ميـل ، فأعلاها أوسع من أسفلها ، ولوترها صوت يشبه صوت النائحة التي تنعى قوماً كراما ، وهو كناية عن شدة علو صوت وترها ، وهذه القوس تشبه السبيكة في الحسن واكتنـاز اللحم ، وهي صلبة تشبه طرف الإزار في صلابته ، وهذه القوس لها سهام مـن أجـود الأنواع التي براها القانص لنفسه ، أدير عليها بالأوتار ، وعليها ريش من منكب العقاب أو الصقر ، وقد نالت القوس اهتماما بالغاً عند غيره من الجاهليين خاصةً عند أوس بـن حجر [٣]، والشماخ ،[٤]و قد بدأ تأثر الشماخ بأوس ظاهراً في طريقة إعداد تلك القوس ، فقد تحمل صانع القوس مشاقاً كبيرة وكثيرة في إعدادها ، فقد أخذت من شجرة قد نمت في مكان خطر و بعيد ، وكيف أن الشماخ أبقاها سنتين تتشرب ماء لحائها ، وبعـد أن تمَّت له ، قام بصنعها ، فذهب بها كي يبيعها ، وقد تحدث الشماخ عن تهافت المشـترين على الصانع ، ودفعهم له الأثمان الباهضة ، وهو يرفض ، وهم يترددون ، حتى باعها أخيراً ففاضت عيناه ، بالدموع ، ثم يأخذ الشماخ في وصف تلك القوس ويعدد مزاياهـا [٥].

وقد استطاع زهير أن ينقل لنا الإحساس بالإثارة ، في هذا الموقف العصيب وذلك مـن خلال جملة من الألفاظ كالفعل " **سامه** " والمفعول لأجله " **حذر المنية** " وهـي تـذكر بسياق التعبير القرآني قوله تعالى [٦]" ﴿ **يجعلُونَ أصابِعهُم في آذَانِهم من الصواعق حذَر الْموت** ﴾ وقد ساعد الفعل المضارع على بث حركة الخوف واستمرارية مشهده،وإظهار مقدار الفزع الذي يحيط بهذا الحمار ، ثم أزداد هذا المشهد إثارة بالانتقال إلى البيت الذي

---

[١] ديوان أوس :ص٧٠ ـ ٧١.

[٢] ديوان الشماخ : ١٨٣.

[٣] ديوان أوس :ص٦٩ ـ ٧٣.

[٤] ديوان الشماخ :ص٧٠ ـ ٧١.

[٥] انظر ديوان الشماخ : ص١٨٣ ـ ١٩٣.

[٦] سورة البقرة : (١٩).

يليه ، ووصف الصائد الذي يرقب هذا المورد " **وعلى الشريعة رابئ**" وتقـديم الجـار والجرور " الخبر " على المبتدأ يفيد التنبيه، ويؤكد على أخذ الحيطة و الحذر ، ثم ذكر صفة هذا الصائد فهو " **متحلس** " وهى هنا تصور حالة التأهب والاستعداد لهـذا الصـائد الضامر اليابس ، ولايمكن للبحث أن يغفل كلمة " **رام** " ومأأفادته في المعنى ،وهويحـاول تصوير هذا المشهد المثير الحذر ، وماتؤديه من وصف لمقدار التطلع والترصد للمـورد ، وكلمة "**شيزب** " وماتلقيه في النفس من استبشاع، وماتسببه في اللسان مـن اسـتثقال . وهذا الصائد يترقب من مرصده ينتظر الفريسة حتى يطلق عليها سهامه النافذة ، الأمـر الذي جعل عينيه تطلق النظر سهاماً قبل قوسه المحكم، فعند ما اقترب الحمار من مـورد الماء ، إذ بالصائد المقيم على هذه الماء متهيء يتربص الفريسة حين تأتي ، ومعـه قوسـه الذي لايبرح عنه ، ثم أخذ الشاعر يصف لنا هذا القوس ، ويذكر تفاصيل نسجه ومراحله ، وإحكامه ، حتى تكاد تجعل هذا القوس كأنها ماثلة أمامك، وهذه الأوصـاف تظهـر جودة هذه القوس ،وإتقان صنعها، فهي ملساء لاشق فيها ولانتوء، فيها ميل ، وأعلاهـا أوسع من أسفلها ، ثم أخذ يشبه صوت وتر القوس إذا رمى عنها ، بصوت النائحة الـتي تشبب بالحزن ، وتؤرثه وهي تنعى الكرام وتخبر بموتهم ،وتبكيهم .والغرض من رسم هذه الصورة إظهار صوت وتر القوس ذي النغمة الحزينة ، والرمز كذلك إلى سداد رمي هذه القوس ، وإصابتها مقتل العدو،ونكايتها بهم عند اللقاء ، فكأن صوتها يوحي للشـاعر ، ويذكره بذلك ، وقد برع الشاعر في خياله حينما ارتسمت له صورة النائحة الثكلى عند سماع صوت وتر القوس ثم أخذ الشاعر يفصل كل جزء صنع في هذه القـوس، فهـي جرداء ، محدودبة ، صنعت من شجر النبع : وهو أصفر العود ثقيله ، قد املاست مـن كثرة صقلها والعناية بها ، ثم أخذ الشاعر يشبه حالها وهي بهذه الصفة ، بحال السبيكة من الفضة قد ذوبت في قالب ، ثم تعالج بالنار ، ثم تضمر وتيبس ، ويريد الشاعر من عـرض هذه الصورة المركبة ، إظهار طيب معدن هذه القوس ونفاسته ـ والتي هي كالفضـة في ذلك ،وفي صفاء عودها وسلامته من الشوائب والعلل ـ .وهذه القوس طويلـة تشـبه جانب الإزار الذي لاهدب فيه ، وعودها قوي مفلوق فلقتـان متسـاويتان ، تم أنتقـل الشاعر ليصف مشهد السهم وهو يخطيء رميته . فأطلق هذا الصائد سهمه المنكب بريش

العقاب ، والملفوف عليه بالعصب ، ـ وفي هذا إشارة إلى جودة السهمّ ـ فأخطأ هـذا الصائد في رميته ، فدار دورة من شدة التحسر والألم ، فراح يشبه الشاعر حاله بحال من يقطع أرضاً صلبة ، وعليه حصى سود : وهي حادة الملمس . وهو يعدو على هذا لأرض عدواً ، ويتحسس من شدة الألم . ويبدوأن الشاعر أراد أن يظهر من هذه الصورة شـدة الندم ، والتحسر الذي حل بهذا الصائد الضامر المتربص بهذ الحمار ، والذي ربما ضاعت عليه فرصته التي قد لاتعوض أو لاتتكرر ثانية . وبرغم تشابه قصة الصائد عند الشـعراء الجاهليين في طريقة طيش سهمه ، وندمه وتحسره على ضياع الفرصة المواتية ، إلا أن كل شاعر استطاع أن يعبر عن المعنى بطريقته الخاصة فعند الأعشى [1]:

قَمر نضيءُ السـهم تحـت لبانِـه وجـالَ علـى وحشـيه لـم يُنَمـثم

وعند عمر بن قميئة [2]:

فَخـر النصـلُ مُنقَصـأ رثيمـاً وطـار القـدحُ أشـتاتاً شـظّيا

وعند الشماخ [1]:

فَسـدد إذ شـرعن لَهُـن سـهماً يـؤُم بِـه مقاتـلَ باديـات

ويستوقف البحث وهو يتأمل تصوير زهير لهذا الصائد وقد ضاعت منه أثمن الفرص الـتي يحلم بها ، الأفعال الماضية المتصلة بحروف العطف ،ومأأفادته في بثّ سرعة حركة الصـائد ،وردة فعله من جراء إضاعته للفرصة الثمينة ، وحجم التحسر البادي عليه مـن ذلـك ، وتأمل تعاقب الفاءين "**فرمى** " ثم على الفور " **فأخطأ**" ولم يلبث أن بـدى لـه حجـم

---

(1) ديوان الأعشى : ص١٢١.

(2) ديوان عمرو بن قميئة : ص١٥٣.ت/حسن كامل صيرفي ، الطبعة الأولى مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٣٨٥هـ،١٩٦٥م.

(1) ديوان الشمّاخ :ص٧١.

الخسارة التي مني بها، وظهر ذلك على ردة فعله ، وهنا جاء الفعل مقرونا بالواو ليتناسب مع الفارق الزمني في الحركة "**وجال**" فاستطاع زهير أن يبرز المشهد الحركي في الصورة ، مراعياً فيها حجم الفارق الزمني لكل مشهد ومايستدعيه من وقت .

وبعد أن استنفذ الشاعر الصور ، والمشاهد لحمار الوحش ، وحكايته المثيرة مع حـارس الشريعة المتحلس الضامر ، والتي يمكن أن يكون كل مشهد جاء فيها تعبيراً موحياً عـن حال الشاعر في رحلته التي حفتها المخاطر ، انتقل الشاعر ليرسم مشهداً بديلاً أو مكملاً لوصف حالته التي يرغب في المزيد من الإفصاح عنها وإظهار حجم معاناته ، ويمكـن أن يصف فيها شعوره، وبعض مالاقاه من المخاطر في رحلته ، وذلك في سبيل الوصول إلى مبتغاه .

يقول [1]:

أَقَـذاك أم ذو جُـدتين مُواـع ... لهـق تُراعيـه يحومـلَ ربـربُ
بيـناً يُضاحـكُ رمـلـةً وجِواءها ... يومـاً أتـيح لـهُ أقيـدرُ جأنـبُ
قَصـداً إليـه فَجـالَ ثُمـت ردهُ ... عـز ومُشـتد النِصـال مُجـَربُ
فَتركنهُ خضـلَ الجَبـين كأنـهُ ... قَـرم بِـه كَـدمُ البِكـارة مُصـعبُ
فَـابتزهُن حُتـوفُهن فَفـائطٌ ... عطـب وكـابٍ للجـبين مُتـربُ

هذا المشهد هو صورة ثورٍ ذي جدتين: أي في ظهره خطان مختلفان في اللون عن سـائر لون الجسد ، وهذا الثور أبيض اللون ، مخطط القوائم ، يرعى هذا الثور ومعه قطيع مـن بقر الوحش ، وبينما هو يرعى مسروراً مع بقر الوحش في تلك الرملة ، إذ تفاجـأ بـأن

---

[1] ديوانه : ص٢٧٩. وبهامشه : (ذو جدتين : الثور في ظهره خطتان تخالفان لونـه . الجـوى: المنخفض من الأرض . أقيدر : الصياد القصير . جأنب : الغليظ القصير . المولع : المخطط القوائم . تراعيه : أي ترعى معه . القرم: الفحل من الإبل . الفائط : الميت . الكابي: المنكـب . المتـرب : المطروح في التراب).

لاقى صائدا قصيرا غليظ الخلقة ، فقصد هذا الصائد إلى الثور الأبيض ، فأخذت الأنفة هذا الثور من أن يهرب ، فجال ثم وجه إليه سلاحه الفتاك ، وقرنه الذي لايملك سواه عند احتدام الخطب ، وذلك ليردعه عن مواصلة الصيد ، وراح الشاعر يرسم صورة حسية مركبة لهذا المشهد العنيف ، فشبه الدم الخضل الذي انخضب به جبين الثور من جراء طعن الكلاب وقتالها ، بالكدمات وآثار العض الذي أصاب فحلاً من الإبل غير مذلل للركوب ، وقد وفق الشاعر ـ كمايبدو للباحث ـ لتبيين الغرض من رسم هذه الصورة ،وإظهار قوة هذا الثور ،وعناده ، وأنه عصي على القهر والانهزام . وقد تعاقب الشعراء الجاهليون على تشبيه الناقة بثور الوحش ، ولم ينفرد زهير عن كسائر الشعراء الجاهليين الذين ذكروا ثور الوحش ، [1] إلا أنه تفرد بذكر حالة الثور وهو يرعى مع قطيع القر وهو الأمر الذي لم يأت عند غير من الشعراء ،ويبدو أن ذلك كان يعكس روح الألفة ، والترابط الاجتماعي التي يحظى به زهير مع قومه ، الذي طالما كان يدعو إلى ذلك الترابط في مجتمعه .وقد اتفقت صورة هذا الثور عند زهير وسائر الشعراء الجاهليين ، في نصاعة لونه ووضاءته ، وبريقه ولمعانه ، فحين جاءت صورة هذا الثور عند زهير بأنه " **ذو جدتين مولع لهق** " وفي وضع آخر **"مشاباً ناشطاً لهقاً"** [2]جاءت صورته عند عبيد الأبرص يشبه الكوكب الدريء المشرق متنه [3]:

كَالكَوكَبِ الدّرّيءِ يشرقُ متُنهُ خرصاً خميصاً صُلْبُهُ يتأودُ

---

[1] انظر ديوان لبيد بن ربيعة : ص٨٠ :

وأصبح يقتري الحَومانَ فَرداً كَنصلِ السيف حودثَ بِالصقالِ

انظر ديوان النابغة الذبياني : ص٢٠٣:

مُطَرد أُفرِدت عنهُ حلائلُهُ من وحشِ وجرةَ أو من وحشِ ذي قارِ

انظر ديوان بشر بن أبي خازم : ص55:

كَأنها بعد ما طالَ الوجيفُ بِها من وحشِ خُبةَ موشي الشوى فَردُ

[2] ديوان زهير : ص٤٤.

[3] ديوان عبيد بن الأبرص :ص ٤٤:

فَانصاع كَالكَوكَبِ الدُرّيءِ ميعتُهُ غَضبانَ يخلطُ من معجٍ وإحضارِ

وجاءت صورته عند الأعشى تشبه نجم الشعرى في التلألؤ واللمعان [1]:

وأدبر كالشعرى وُضوحاً ونُقبةً يُواعنُ من حر الصريمة مُعظما

أما عند لبيد بن ربيعة العامري، والنابغة الذبياني فقد جاءت صورة الثور عندهما تشبه شيئاًواحداً وإن اختلفتا قليلاً في الهيئة الكلية ، فعند لبيد صورة الثور تشبه السيف حين يتجدد صقله [2]:

وأصبح يقري الحَومانَ فَرداً كنصل السيف حودثَ بالصقال

وعند النابغة الذبياني صورته السيف الصقيل المفرد [3] :

من وحش وجرةَ موشي أكارعُهُ طاوي المُصيرِ كسيف الصيقل الفَرد

وجاء ت صورة الثور عنده في موضع آخر تشبه الكوكب الدريء المنصلت :

انقَض كالكوكبِ الدُري مُنصلتاً يهوي ويخلطُ تقريباً بإحضار

* * *

وقال زهير يصف ناقته ـ أيضاً ـ ويشبهها بثور الوحش [4] من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان :

---

[1] ديوان الأعشى : ص٢٩٧.

[2] ديوان لبيد بن ربيعة : ص٨٠.

[3] ديوان النابغة الذبياني : ص٢٠٤،ص١٧.

[4] ديوانه ، ص٤٤.وبهامشه :

(الميثرة: حشية يضعها الراكب تحته فوق الرحل . المشب : الثور الوحشي الكبير . النشط الذي يخرج من بلد إلى آخر . اللهق : الشديد البياض . أوراك وناصقه : موضعان من بلاد تميم .شاءه : ساءه وأحزنه . نفق: خرج وذهب . تعزبه : تفرده . تطرف من حافاتها : أكل من حافاتها . الأنق : الكلأ المعجب . العشر : أن يرد يوما ويمكث ثمانية أيام ثم يعود في اليوم العاشر . والخمس على نفس التقدير . يبدن : يبلغ غاية في الضخامة . زهق : سمن . على شيم : على منظر قد رآه .قرها : بردها . اللثق : المبتل. اطّرق : ركب بعض وبره على بعض . الروق : القرن . المرزم : النجم . خفقا : غاب الشد : العدوالشديد . الخطف : السريع . الخرق : النزق وسوء العمل . طواها : أضمرها . النهز : الجذب ، الرهقا : اللحاق . نافذة : الطعنة تنفذ إلى الجوف النجلاء : الواسعة)===.

فعد عما ترى ، إذ فـات مطلـبهُ ... أمسى بـذاك غـرابُ البين إذْ نـَعقا
وأتم القتود على وجـناء دوسـرة ... يشرى الجديـلُ ، إذا مـادأبها عـرقا
كأن كـوري وأنسـاعي وميثـرتي ... كسـوتهنّ مشـبّاً ناشـطاً لهقـاً
رعـى بغيـث لأوراكٍ فناصـفة ... مـن الشـتاء فلمـا شـاءه نفقـا
وقـد يكـون بهـا حينـا تُعزبُـه ... وقـد تطـرف مـن حافاتهـا أنقـا
عشراً وخمساً فقد طابـت مراتعـه ... من الربيـه ولم يبـدنْ وقـد زهقـا
فسار منها علـى شـيم يـؤم بهـا ... جنبـي عمايـة فالركـاءُ فالعُمُقـا
فأدركتـه سمـاء بينـها خلـل ... تُروي الثرى وتسيـل الصفصف الفرقـا
فبات معتصـما مـن قرهـا لُثقَـا ... رشّ السـحاب عليـه المـاء فاطّرقـا
يمـري بأظلافـه حـتى إذا بلغـت ... يُبس الكثيب تداعى التـربُ فانخرقـا
مُـولّي الـريح رُوقَيـه وجبهتـه ... حتى دنـا مـرزمُ الجـوزاء أو خفقـا
ليلتـه كلـها حـتى إذا حسـرت ... عنه النجوم أضـاء الصـبح فانطلقـا
فصـبّحته كـلاب شّـها خطـف ... وقـانصُ لاتـرى في فعلـه خُرُقـا
زرقُ العيون طواها حسـن صـنعته ... مجوّعات كمـا تطـوي بهـا الخِرقـا
حتى إذا ظنّ قرن الشـمس غالبـةٌ ... وخاف من جانبيـه النـهز والرهقـا
كـرّ ففـرّج أولاهـا بنافـذة ... نجـلاء تُتبـع روفيـه دمـا دفقـا

يبدأ زهير بذكر قصته الملحمية ـ على عادة الشعراء الجاهليين ـ وهو يتكلم عن ناقته ، فيشبهها بثور الوحش ، وهو يتخيل أن كوره وأنساعة ميثرته على هذا الثـور المسـن ، الأبيض ، الذي يخرج به من بلد إلى آخر ، ثم ينتقل بنا الشاعر إلى ذكر تفاصيل الحكاية ، ويعيش مع هذا الثور ـ المشبه به ، لحظة بلحظة ـ ناسياً المشبه(الناقـة)ً ، ويحـاول البحث أن يستظهر ملامح الصنعة عند زهير في تصويره لحكاية هذا الثـور ، ومقارنتـها

بماجاء عند غيره من فحول الجاهليين ويرصد الفروقات التي تميز زهير عن غيره بعـد أن عرض في الصورة السابقة بعض الفروقات عنده في طبيعة الثور ، وطريقة عـرض لونـه الناصع الوضاء ، فهذا الثور يرعى الكلأ النابت من المطر ، في موضعين لبني تميم يسـميان "**أوراك ، وناصفة**" ، وبقي فيهما حتى ساءته تلك المواضع التي بقي فيها منفردا وحيدا ، فانتقل منها إلى أماكن أخرى قد أعجبه حسن منظرها ، وبينما هو قاصد تلك الأماكن ، أدركه المطر ، فسالت الأرض ، وروي الثرى ، ففر هذا الثور إلى ملاذ آمن يختبئ فيـه ،ويقي نفسه من البرد القارص ، وقد تبلل جسمه بالمطر ، وتلاصق وبره بعضه فـوق بعض ، فأخذ يحفر في الثرى ليصل إلى باطن الأرض ، إلى الرمل الجاف الذي لم يصـبه المطر ، لينهال عليه ، وظل على هذه الحال ليله كله ، حتى طلع الصباح ،وهدأت الريح ، واعتدل الجو .وبينما هو يستعد للانطلاق من مكانه ، ليعود إلى سالف عهده من الرعي، إذ صبحته كلاب القانص ، تعدو وراءه بشدة وسرعة ، عليهـا علامـات الجـوع ، والشراسة ظاهرة عليها، وهذا القانص ماهرحاذق في صيده ، فأسرع هـذا الثـور في الهرب ، وهذه الكلاب قد جدت في اللحاق به ، حتى استيقن أنها ستتمكن من اللحـاق به لامحالة ،كر إليها راجعاً ، واستقبل أقربها منه وأسرعها بقرنه الحاد ، فأنفذها في جوف ذلك الكلب ، فشقه شقاً ، ليخر ذلك الكلب صريعاً ، مضرجاً بدمائه .وقد تشابه زهير إلى حد كبير في تصوير حكاية ثور الوحش مع الشعراء الجاهليين ، ويحاول البحث إظهار بعض وجوه الاتفاق في الصورة بينه وبين أولئك الشعراء .

فيلاحظ في حكاية هذا الثور من الدخول في تلك الليلة الماطرة عند أغلب الشعراء ، حيث يقاسي فيها البرد الشديد ، والتجمد والريح القوية الباردة ، وهو يحاول الصبر عليها

، فتوجد هذه الصورة عند عبيد الأبرص[١] :

باتـــت عليـــه ليلـــةٌ رجيبـــةٌ نصـبأ تسُـح المـاءَ أو هـي أسـودُ

وتوجد هذه الصورة ـ أيضاً ـ عند بشر بن أبي خازم[٢] :

فَباتـــت عليـــه ليلـــةٌ رجيبـــةٌ تُكَفئُـــهُ ريـــح خريـــق وتُمطـــرُ

وتوجد ـ أيضا ـ عند النابغة الذبياني [٣]:

باتـت لَـهُ ليلَـةٌ شـهباءُ تسـفَعُهُ بحاصـــبٍ ذات إشـــعان وأمطـــار

فيمضي هذا الثور ـ عند أغلب الشعراء ـ ليله كله تحت المطر ، ينتظر الصباح فما أن يأتي الصباح إلا وصبحته كلاب الصائد المنطلقة نحوه فنجد هذه الصورة بالإضافة إلى زهير فهي موجودة عند إمريء القيس [٤]:

فَصـبحهُ عنـد الشُـروق غُديـةً كلابُ بنُ مُر أو كلابُ بـنُ سـنبس

وتوجد ـ أيضاً ـ عند النابغة الذبياني [٥]:

حتّى إذا ما انجَلَـت ظلمـاءُ ليلتـه وأسـفَر الصُـبحُ عنـهُ أي إسـفار
أهوى لَـهُ قـانِص يسـعى بأكلُبـه عاري الأشـاجِع مـن قُنّـاص أنمـار

وجاءت عند الأعشى ـ أيضاً ـ [١]:

---

[١] ديوان عبيد الأبرص : ص٤٤.
[٢] ديوان بشر بن أبي خازم : ص٨٢.
[٣] ديوان النابغة الذبياني : ص٢٠٣.
[٤] ديوان امريء القيس : ص١٠٣.
[٥] ديوان النابغة الذبياني : ص٢٠٣.
[١] ديوان الأعشى : ص٢٩٥.

فَصبحهُ عند الشُروق غُديةً كلابُ القَنى البكري عوف بن أرقما

ثم تنشب بعد ذلك المعركة بين الثور والكلاب ، ويكون موقف الثور هو الأقوى لأنه المعتدى عليه والكلاب هي المعتدية ؛ فلهذا يكون الثور هو المنتصر عادةً ، يقول الجاحظ [٢]:" ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة ، أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش ، وإذا كان الشعر مديحاً ، وقال كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا وكذا ، أن تكون الكلاب هي المقتولة ...".

ثم يكر هذا الثور على الكلاب ، فيطعنها بقرنه الحاد النافذ ، لتخر صريعة بدمائها .ويلاحظ أن الأعشى يحدد مكان الضرب في حين أن زهيراً والأعشى وامرئ القيس لم يحددوا موضع إنفاذ الطعن [٣]:

وأنحى لها إذ هز في الصدر روقَهُ كما شك ذو العود الجَراد المُخزما

وإذا حاول البحث أن يخرج بنتيجة من خلال موازنة صورة ثور الوحش عند زهير ، وعند غيره من فحول الشعراء الجاهليين ، وجدنا أن صورة الثور عند زهير أقرب إلى الواقعية منها إلى المبالغة والابتكار ،ولعلّ هذا الذي قصده الرافعي ، أو قاده إلى الرأي الذي ذهب إليه حين قال[٤]: "ويظهر لمن تدبر شعر زهير أنه ضعيف الابتكار والاختراع ، لايعارض في ذكر الفحول المعدودين كامرىء القيس وغيره، ولكن ألفاظه وصنعته ، غطت على هذا النقص ، فقلّما ينكشف إلا لمن عارض وتتبع . وقد تراه يأخذ في صفة من الصفات كنعت الناقة أو حمر الوحش أو طراد الصيد ، فلايزال ينحتها من ألفاظه ، حتى تتمثّل وكأنه دمية مصور ، إن لم تكن فيها حياة ، فإن الحسن في تمثالها حي . وترى الرأي يغلب شعر هذا الرجل ، فكأنه شعر سيد لاشعر شاعر".*

---

[٢] الحيوان . ج٢/ ص٢٠.

[٣] ديوان الأعشى : ص٢٩٥.

[٤] تاريخ آداب العرب . مصطفى الرافعي .ج٣/ص٢٤٠ ـ ٢٤١..دار الكتاب اللبناني . بيروت . ٢ط.١٩٧٤م.

وهكذا ينهي الشاعر حكايته ، التي كان الثور بطلها وفارسها ، بعد أن أمتع النفس بأطهر مايمكن أن تستمتع به ، وأيقظ فيها روح المعاني النفسية ، والخواطر الروحية .

ويبقى في الذهن بعض التساؤلات التي تثير البحث وتطلب الإجابة عنها . نتساءل لماذا أطال الشاعر في صورة المشبه به (الثور) ، ونسي المشبه (الناقة) ، حتى قص قصته الثور إلى نهايتها ، عارضاً فيها أدق التفاصيل عن طريقة عيشها ؟ . ولماذا ارتبطت ، صورة الثور مع الناقة ؛ حتى أصبح ذلك منهج الشعراء جميعاً ، ولماذا تكررت تلك التشبيهات ، عند كثير من الشعراء بشكل يكاد يكون متطابقاً ، مع وجود بعض الفروق الدقيقة [1]؟.

يبدو أن الإجابة على هذه التساؤلات ليست إلا محض تفسيرات تختلف باختلاف وجهات النظر إليها ، قد يقترب التفسير من الصواب ، وقد يبعد عنه .

فيرى بعض الباحثين [2]: أن الشاعر لم يكن يسعى – من وراء الإطالة في صورة المشبه به – إلى توضيح صورة المشبه على الإطلاق ، بل كان التشبيه وسيلة أو حيلة ، يتخلص الشاعر بها ، وينفذ من خلالها إلى مواضيع أخرى ، وهم بذلك ينفون أي علاقة بين الثور والناقة ، ويرون أن المشبه به (الثور) مقصودٌ لذاته عند الشعراء الجاهليين ، وكان دافعهم في التشبيه نابعاً من إعجابهم بصورة الثور .

---

* هذا الرأي ليس على أطلاقه ، فهو لايتفق مع ما أظهر البحث في تحليل الصنعة التشبيهية عند زهير ، فهو قد لايصل إلى خيال امرئ القيس في اختراعه وابتكاره ، ولكن، خياله لايعد ضعيفاً إذا ماقيس بالفحول الجاهليين المعدودين، وإن تفاوتت عنده مقدار القوة الخيالية في معى دون معنى .

[1] ينظر ديوان امرئ القيس:ص١٠١ – ١٠٤،وديوان النابغة الذبياني :ص١٧ – ٢٠ ،وص٢١٥ – ٢١٦،،وديوان الأعشى:ص ٢٩٥ – ٢٩٧،وص٣٦١ وديوان أوس بن حجر :ص٢ – ٤، وقصائد جاهلية نادرة ، ص٨٧ – ٨٩(زهير بن مسعود الضبي) وديوان بشر بن أبي خازم ،ص٥٠ – ٥٣،وديوان عبيد بن الأبرص :ص٤٣ – ٤٤.

[2] ينظر مثلاً: محمد النويهي ،الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ،ص٣١٨. يحي الجبوري الشعر الجاهلي ، ص٣٦٦. سيد نوفل شعر الطبيعة في الأدب العربي ،مكتبة الخانجي ،ص٤٧.

وهناك فريق آخر [1] يرى أن هناك علاقةً بين الشاعر والناقة ، وبين الناقة والثـور ، وأن الشاعر في هذه القصة كان يتحدث عن نفسه في قصة الثور ، فقد كانت الناقة تمثـل ـ عندهم ـ معادلاً موضوعياً للشاعر نفسه ، وكان الثور يمثّل الناقة ويخـدم موقفهـا ، وموقف الشاعر في آن ، فكان الثور مثالاً مصوراً للشاعر نفسه . ويميل الباحث إلى هـذا الرأي ، خاصة مع وجود مايرشحه للصواب ، فهناك أبيات تنسب، لمجنون ليلى ، وهـي تصف نوازع خواطر صاحبها، ونفسه الممزقة ، حين قيل له إن ليلى مفارقته[2] :

كـأن القلـب ليلـةَ قيـلَ يُغـدى ... بِليلـى العامريـة أو يُـراحُ
قطـاةٌ عزهـا شـرك فبـاتـت ... تُجاذبُـهُ وقـد علـق الجَنـاحُ
لهـا قرخـان قـد تُركـا بـوكر ... فعُشـهُما تصـفقُه الريـاحُ
إذا سـمعا هُبـوب الـريح نصّـا ... وقـد أودى بهـا القـدر المُتـاحُ
فَـلا ليلـى نالـت مـا تُرجّـي ... ولا في الصُـبح كـانَ لهـا بـراحُ

فالشاعر شبه حاله بحال هذه القطاة وروى معاناته مع صاحبته، وذكر قصتها التي تراها ، وقد علّق شيخنا الدكتور محمد أبوموسى على هذه الأبيات قائلاً[3]: " هذا باب جليـل جداً ، وهو من كنوز الأدب ، وفيه من الصور مايمتع النفس بأطهر ماتستمتع به النفـوس ..وهو غني بالخطرات الروحية ، والمعاني النفسية ومن مسالك الشعراء أنهـم يشـبهون الشيء بالشيء ثم يأخذون في ذكر أوصاف وأحوال تحدد المشبه به تحديداً دقيقا ، وكـل حال وتصوير يذكر في هذه الصورة إنما يصف المشبه ، وينعكس عليه ، ويكشف حـالاً من أحواله ".

---

[1] ينظر مثلاً: وهب رومية ـ ـ ـ الرحلة في القصيدة الجاهلية ،ص٢٠٤. أنور أبو سليم ـ الإبل في الشعر الجاهلي ،ط١،دار العلوم ١٩٨٣م. محمد أبو موسى ـ التصوير البياني ـ ، ص٨٦.

[2] ديوان مجنون ليلى : ص٦٢/٦١،شرح / عدنان زكي درويش ، ط١، دار صادر ، بيروت ، ١٤٨٢هـ / ١٩٩٤م.

(٣) التصوير البياني ،ص ٨٦، محمد أبو موسى .

ثالثاً : صنعة زهير في تشبيهات الفرس :

وقال زهير يصف سرعة فرسه [1]:

كأنها من قَطا الأجباب حلأها * ورد وأفرد عنها أختها الشركُ
جونيةٌ كحصاة القَسم مرتعُها بالسِي ما نُبِتُ القَفعاءُ والحَسكُ
حتّى إذا ما هوت كف الوليدُ لها طارت وفي كفه من ريشها بتكُ
أهوى لها أسفَعُ الخَدين مُطرق ريش القَوادم لم يُنصب لهُ الشبكُ
لا شيءَ أسرعُ منها وهي طيبةٌ نفساً بما سوف يُنجيها وتتركُ
دونَ السماءِ وفَوق الأرض قَدرُهما عند الذُنابى فَلا فَوت ولا درَكُ
عند الذُنابى لها صوت وأزملةٌ يكادُ يخطفُها طوراً وتهتلكُ
ثُم استمرت إلى الوادي فَألجَأها منهُ وقَد طمع الأظفارُ والحَنكُ
حتّى استغاثَت بماءٍ لا رشاءَ لهُ من الأباطح في حافاته البُركُ
مُكللٍ بأصول النجم تنسُجُهُ ريح خريق لضاحي مائه حُبُكُ
كما استغاثَ بسيءٍ فَزر غَيطلةٍ خاف العُيونَ فَلم يُنظر بهِ الحَشكُ
فَنزل عنها وأوفى رأس مرقبةٍ كمنصبِ العتر دمّى رأسهُ النسكُ

---

[1] ديوانه،ص١٣١ ـ ١٣٥. وهي من قصيدة مطلعها :

بان الخليط ولم يأؤوا لم تركوا وزودوك اشتياقاً أيّةً سلكوا

وهي في هجاء الحارث بن ورقاء الصيداوي أغار على بني غطفان واستاق إبل زهير وراعيه يسـاراً ، والأصمعيي يعدها أجود كافية للعرب ،وبشرح الديوان : (الأجباب : مفردها جب ، وهي مواضع يكثر فيها الركايا.جونية نوع من القطا فيه سواد . حصاة القسم : الحصاة التي يقدر بها الماء في القدح . السي. ماستوى من الأرض . القفعاء : بقلة من أحرار البقل . الالحسك : ثمر النفل .

البتك : القطع . تهتلك : تجتهد وتسرع . أصول النجم : النبت الذي ليس له ساق . حبك : طرائق الماء . السيء: اللبن الذي في الضرع . الغيطلة : ولد البقرة . الحشك : الاجتهاد والدفع باللين . المنصب : الحجر . العتر . الذي يذبح في رجب.

يصف زهير في هذه الأبيات فرسه ، مبيناً سرعتها الهائلة ، وصور لنا خصائصها، ودقائقها وذلك عن طريق التشبيه ،والانتقال من المشبه (الفرس)إلى المشبه به (القطا)، فراح يحكـي حكايتهاكاملة ، فهذه الفرس ، تشبه قطاً من قطا الأجباب ، وذلك لما بينهما من السرعة والخفة في التنقل ، وهذه القطا ترد الآبار عادةً[1]، وقد حان وقت ورودها الماء لتشرب ، ففزعت ولم تستطع الورود ، وزاد من فزعها وقوع أختها في حبال الصائد المنصوبة عليها .وهذه القطا "**جونية** "، وهو نوع من القطا أسود البطن والجناحين ، تشبه الحصاة الـتي يقدر بها الماء في القدح . وتنكير كلمة " **جونية** " توحي بالإشادة والتعظيم ، والجامع بين القطاة والحصاة استواء الخلقة وامتلاؤها واعتدالها ، وذلك تزيناً لحال المشبه(الفـرس)، فليس فيها ميل أو نشاز ، وهي من أرض مستويه ليس فيها من النبت شيء ، حتى نبـت القفعاء والحسك غير موجود فيها .ويبدأ الشاعر في نقل معاناة هذه القطاة ، فلقد امتدت إليها يد غلام ، فأفلتت منه بسرعة كبيرة ، ولم يبق في كفه منها سوى بعض ريشها ،حتى إذا مانجت من هذا الغلام ، إذابصقر أسفع الخدين يهوي عليها ، وهذا الصقر تعلوه حمرة وريشه غير منتشر ، بعضه فوق بعض ، وهوغير مذلل ، وهذه القطاة ، واثقة من نفسـها غير آبهة به ، فلم تظهر مهارتها في الطيران ، لقدرتها على الإفلات من هذا الصقر بيسـر وسهولة ، دون بلوغ أقصى ماتملكه من قدرات في الحيلة والهرب ، وظلت المطاردة بـين الصقر والقطاة على ارتفاع غير بعيد فلم يغيبان عن الأنظار ، فهما في مرحلة وسط دون السماء ، وفوق الأرض ، وكذلك ظلا على هذه الحال ، فلا القطاة تفوت عن نظر الصقر ، ولاهو يدركها مع كونه قريباً منها ،وأحيانا يقترب من مؤخرتها ، حتى تشرف علـى الهلاك ، فتصدر أصواتاً مختلطة ، تدل على ارتباكها ، وشدة فزعها . واستمر الحال في المطاردة ، حتى رأت وادياً مليئاً بالأشجار تلتجيء إليه ،وتتمكن من الاختبـاء فيـه ، وتحمي نفسها من مخالب هذا الصقر ومنقاره الحاد ، فوجدت ملاذاً آمناً، وهو مكان ذو ماء ضحل يجري على وجه الأرض ، ملئ في حافاته بطيور البرك ، قد كسيت بأصـول

---

[1] ينظر : المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ابن قتيبة ،ج١،ص٣٠٨ـ ٣١٠.دار الكتـب العلميـة . بيروت .١٩٧١م.

النباتات و الشجر التي ليست لها سيقان ، وتهب عليها رياح شديدة ، فترى طرائق المـاء واضحة جلية ، فاستغاثت القطاة بهذا الماء كمايستغيث ، ولد البقرة الجائع بضـرع أمـه الذي لم يدرر بعد اللبن ، فخاف أن يراه الراعي فيمنعه الرضاعة ، فوقعت القطاة في الماء ، ولايزال يطاردها الصقر ، حتى ناله التعب والاعياء ، فأراد أن يستقر على صخرة قريبة من مكان الماء ، فزلّ عنها ، وسقط على رأسه من ذلك المكان العالي ، والدماء تسيل منه، وقد شبه الشاعر هذه الصخرة ، بالصخرة التي كان الجاهليون يذبحون عليها قرابينـهم في شهر رجب ، وتنتهي القصة ، بالنهاية المأساوية للصقر حينما خر صريعاً ، و خسر حياته . والنهاية السعيدة للقطاة بنجاحها في الهروب ،وتحقيقها هذا النصر على غريمها الصقر.

ويجدر بالبحث النظر إلى جملة من الأساليب أدت إلى تنامي الصورة وتفاعلها، وسـرعة الأحداث فيها ، ومن ذلك ،جملة "**أهوى لها أسفع الخدين** " وما رسمته في الذهن لوصف سرعة المشهد في انقضاض الصقر بلاهوادة أو رحمة على القطاة ومحاولة الامسـاك بهـا ، وقوله " **أسفع الخدين ، مطّرق ، ريش القوادم** لم **تنصب له الشبك**" جملة من الكنايات تدل على توحش هذا الصقر وشراسته ، وأنه غير مذلّل ،وبالمقابل هنا صفة القطاة الـتي تنجيها من بأس هذا الصقر ، فهي "**لاشيء أسرع منها** " ، وتتمتع بالثقة المطلقة بنفسـها فهي "**طيبة نفساً بما سوف ينجيها**" أي يخلصها من هذا الصقر ، ويسترعي النظر التصوير الظرفي الدقيق لوصف المكان ومأأدته من تحديد لمسار الحركة " **دون السـماء وفـوق الأرض** " ، والدقة في وصف المسافة الفاصلة بين الصقر والقطاة وعـدم الـتمكن مـن الاصطياد "**عند الذنابي فلافوت ولادرك** " .

وقد ورد تشبيه الفرس بالقطاة عند النابغة الذبياني ، في صورة تقرب من صورة زهير يقول[1] :

أو مـر كدريـةٍ حـذّاء هيّجهـا ... بردُ الشرائع مـن مـرّان أو شـربُ
أهوى لها أمغـر السـافين مختضـع ... خرطومه من دمـاء الطيـر مختضـبُ
حـتى إذا قبضـت أظفـاره زغبـاً ... مـن الـذنابي لهـا كـاد يقتـربُ

---

[1] ديوان النابغة النابغة .ص١٧٦-١٧٨.

تدعو القَطا بقصير الخطم ليس له ... أمـام منحرهـا ريـش ولا زغَـبُ
حـذاءُ مُـدبرةً سـكاءُ مقبلـةً ... للماء في النحر منـها نوطـةٌ عجـَبُ
تدعو القَطا وبه تُـدعى إذا انتسـبت ... يا صـدقَها حـين تلقاهـا وتنتسـبُ
تسـقي أزيغـب تُرويـه مُجاجتـها ... وذاك مـن ظمئهـافي ظمئـه شـربُ
مُنهرت الشدق لم تنبُـت قَوادمُـه ... في حاجب العين مـن تسـبيده زبـبُ

فالنابغة يشبه فرسه بقطاة كدرية وهذه القطاة خفيفة سريعة [1]، قصيرة الذنب ، أحست بالظمأ فمرت نحو الماء وهي مسرعة ، فأنقض عليها في الطريق صقر أحمر الساقين ، يميل برأسه نحو الأرض ، مادا عنقه إلى الأمام يبحث عن فريسة ، وقد اختضب منقاره باللون الأحمر من أثر اقتناص الطيور ، ويلاحق هذا الصقر القطاة ، حتى يقترب منها فيكاد يأخذ بأظفاره بعض ريشها ، ويمسك بها ، فتضرب القطاة بجناحها في سرعة شديدة ، فيعلـو صدرها مرة وينقلب إلى الأسفل مرة أخرى ، مصوتة بمنقارها القصير الذي لاينبت عليـه ريش .

فكلا الصورتين جاءت لتصور حالة الفزع والخوف التي تعانيها القطاة من جراء ملاحقـة الصقر لها ،إلا أن صورة المعاناة عند زهير متمثلة في (**قطاة قد علقت أختها** في **الشباك**) ، و(**صورة الغلام الذي أهوى بكفّه لها فطارت** وفي **كفه بعض من ريشها**). وعند النابغة متمثلة في (**قطاة ظمأى تبحث عن الماء لها ولفراخها**)ولهذه القطاة صوت عند الشاعرين، وصورة الصقر متشابهة إلى حد كبير بين الشاعرين في الصفات ، والفرق أن الصقر عنـد زهير أسفع الخدين ، وعند النابغة أحمر الساقين ، قد اختضب منقاره من أثار دم الفرائس ،وزهير حاول أن يرسم المشهد كاملاً حتى نهايته، وذلك بذكر قصة الصقر بعد ملاحقته للقطاة ، حتى بلغ من الجهد والتعب منتهاه ، فأراد أن يستقر على صخرة قريبة من علـى ارتفاع عالٍ، وهذا الحجر له مواصفات يشبه الحجر الذي يذبح عليه الجاهليون قرابينهم في شهر رجب ، فيسقط على رأسه من تلك الصخرة والدماء تسيل منه .وقد ذكر زهير :"

---

[1] ينظر المعاني الكبير .ابن قيبة الدنيوري ، ج١/ص٣١٧.

حصاة القسم " :" وهي حصاة ، إذا قلّ الماء عند المسافرين وضعوها في القـدح وصـبوا عليها الماء حتى يغمرها ، ليقسم بينهم بالسوية ، ولايتغابنوا ولاتكون تلك الحصاة

إلامجتمعة ملساء".[1]" وكأن حصاة القسم إيماءة إلى بني الصيداء ، وأنهم لم يلتزموا بشريعة العدل التي عليها الناس ، و"حصاة القسم " هذه تقابل الميزان الذي هو رمز العدل والحق ، فإذا ذكر الميزان لظالم عرف أنه خالف قانون العدل ،وهكذا "**حصاة القسم** " ترتبط أشد ارتباط بالغبن والظلم "[2]. ويبدو أن الباعث على إتمام حكاية الصقر عند زهير ، وبيان النهاية المأساوية لهذا الصقر ، هي حالة الغبن ، والقهر والشعور بالظلم التي يعانيها زهير ؛ بسبب عدم التمكن من استرداد إبله المسلوبة ، وضعف الحيلـة والمواجهـة في سـبيل استردادها ، وكانت إبله قد أغار عليها الحارث بن ورقاء الصيداوي ،وسـلبها وأخـذ راعيها يساراً ، وكان هناك حلف قائم بين غطفان قبيلة زهير وبني أسـد ، فهجـاهم بقوله[3]:

هلّا سـألت بـني الصـيداءِ كُلهُـمُ ... بأي حبـلٍ جِـوارٍ كُنـتُ أمتسِـكُ
يا حـار لا أرمـين مـنكُم بِداهيـة ... لم يلقَهـا سـوقةٌ قَبلـي ولا ملـكُ
اردُد يسـاراً ولا تعنُـف عليـه ولا ... تمعك بِعرضـك إن الغـادر المَعـكُ
ولا تكـونن كـأقوامٍ علمـتُهُمُ ... يلُوونَ ما عنـدهُم حتّـى إذا نُهكـوا

فقال له ابنه كعب : أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل ، فصارت مثلاً يضرب للرجل يتهـدد عدوه [4]، وليس على عدوه منه ضرر. على عكس النابغة الذي ظلّ هـاجس الخـوف

---

[1] انظر شعر زهير ، للأعلم الشنتمري ،ص٨٣، تحقيق فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفـاق الجديدة بيروت .

[2] كان هذا تعليق الدكتورة هيفاء فدا ،"نسق الكلام في شعر زهي بن أبي سلمى ": ص٣٩٠ـ ـ ٣٩١، .

[3] انظر الديوان، وسبب إنشاد القصيدة ، ص١٢٧.

[4] انظر : مجمع الأمثال ، للميداني ، ج٢/ص٣٦٣، ت/محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. جمهرت الأمثال ، لأبي هلال العسكري . ص١١.

والفزع مستمراً عنده ولم يبد حالة من التغيض والشعور بالكبت .فـ اختلاف الصـ ورة جاءت تبعاً لاختلاف الموقف بين الشاعرين ومايحسانه من حالة الفزع الجـ اثم عليهمـ ا فاقتصر كلٌ منها على الحد الذي يبوح بتلك الحالة .

رابعاً : صنعة زهير في تشبيهات الأنسان (المرأة):

وقال زهير في وصف محبوبته [1]:

تنازعهـــا المَهـــا شـــبهاً ودُر ال ... نُحـــور وشـــاكلت فيهـــا الظبـــاءُ
فَأمّـــا مـــا فُويـــق العقـــد منـــها ... فَمـــن أدمـــاءَ مرتعُهـــا الخَـــلاءُ
وأمّـــا المُقلتـــان فَمـــن مهـــاة ... ولـــدُر المَلاحـــةُ والصـــفاءُ

يصور زهير في هذه الأبيات محبوبته (**ليلى**)، فراح يرسم جمال أوصافها ، وحسن ملامحها ، ويختارها ويقسمها بعناية ومهارة بالغتين ، تدلان على تذوقه ، وغوصه في استنباط تفاصيل الصورة بكل دقائقها، ومن ثمّ موافاتها بأقرب شيء يقابلها من الطبيعة ، مع مراعاة الذوق ، وحسن الدلالة على المعنى ، وموافاة الغرض . فصاحبته تشبه المها في أدق أوصافه ، وهو جمال العيون . وتشبه الدر في أحسن مميزاته ، وهو الصفاء في اللون ، ومن الظباء كذلك ، وهو طول العنق . ولقد فصل زهيرالصورة وقسمها ، بعد ما أجملها في البيت الأول وذكر فيها خام المواد دفعة واحدة ، فجاء الفعل المضارع "**تنازعها** " بالمعنى فجعل المهاة والدرة هي التي تدفع ببعضهما البعض لتدخل في شرف المنافسة مع محبوبته في الشبه بها ، كلٌ في اختصاصه الذي برز فيه وتميز ، ومحبوبته ليلى في الصفات مجملاً ، وقد استطاع زهير أن يخالف السائد ويجعل المهاة والدرة ، هي التي تنازع في الشبه ، والظباء هي التي تشاكلت في طول العنق وبياضه ، وهو مايعرف بغلبة الفروع على الأصول أو بالتشبيه المعكوس أو المقلوب [2]، وذلك مبالغة منه في إظهار تلك الصفات في محبوبته وبروزها .

---

[1] ديوانه : ص٥٦.

[2] انظر أسرار البلاغة : ص٢٠٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج١/ ص٤٢١.ضياء الدين ابن الأثير ، الطراز ج١/ ٣٠٩. الخصائص : ج١/ص٣٠٠، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار .

فجمال العنق فالتنازع فيه من أدماء : وهي الظبية البيضاء ، وأما جمال وسعة العيون فالتنازع فيه من مهاة ، فقد اختصت الظباء بالعنق ، والمهاة بالعيون ، والذي أفاد ذلك حرف الاختصاص (**من**) أما الدرة فقد نالت النصيب الأوفر من المشاكلة في نقائها وصفائها ، والذي أفاد ذلك حرف (**اللام**) الذي يوحي بمعنى الاستغراق في الاختصاص .

ولقد فتن الشعراء الجاهليون بهذه الأوصاف التي ذكرها زهير في محبوبته (**ليلى**) ورأوا خير مايمثلها الظباء (والتشبيه بها في طول العنق ، ونصاعة اللون ،وراقهم فيهاتناسق الأعضاء ورشاقتها) [1] فهذا بشر بن أبي خازم يتغنى بمحبوبته ويشبهها بها [2] :

وما مُغزلٌ أدماءُ أصبح خشفُها ... بأسفَلِ وادٍ سيلُهُ مُتصوبُ
خذولٌ من البيض الخُدود دنا لها ... أراكٌ بروضات الخُزامى وحُلبُ
بأحسن منها إذ تراءَت وذو الهَوى ... حزين ولكن الخَليطَ تجنبوا

ولطرفة في معلقته تشبيه يصف به محبوبته المالكية [3]:

وفي الحَي أحوى ينفُضُ المَرد شادنٌ ... مُظاهرُ سمطي لُؤلُؤٍ وزبرجد
خذولٌ تُراعي ربرباً بخميلة ... تناولُ أطراف البرير وترتدي

ولقد ورد تشبيه النساء بالدرة في الصفاء عند الجاهليين، يقول الأعشى [4]:

كأنها دُرةٌ زهراءُ أخرجها ... غوّاصُ دارين يخشى دونها الغرقا

ووردت كذلك عند أبي ذؤيب الهذلي [5] :

كأن ابنةَ السهمي دُرةُ قامسٍ ... لها بعد تقطيعُ الذبوحِ وهيجُ

---

(1) الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حمود القيسي ،ص١٤٢ –ط٢،عالم الكتب مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٨٤م

(2) ديوان بشر بن ابي خازم : ص٨.

(3) شرح المعلقات العشر ،ص٧٢-٧٣.

(4) ديوان الأعشى : ص٣٦٧.

(5) شرح أشعار الهذليين ،:ج١/ص١٣٣م.

وأما تشبيه النساء بالمها في حسن العيون وسعتها فقد شاع عند الجاهليين ـ أيضاً ـ فهو موجود عند عبيد الأبرص [1] :

وإذ هي حوراءُ المَدامع طفلةٌ كمثل مهاة حُرة أم فَرقَد

ونراها ـ أيضاً ـ عند تميم بن أبي مقبل الشاعر الجاهلي [2]:

ترُنو بِعيني مهاة الرمل أفْردها رخص ظُلُوفُهُ إلا القَنا ضرعُ

والذي يهم البحث من إيراد هذه التشبيهات هو ملاحظة الفرق في كيفية التصوير لهذه الصفات التي استملحها كل شاعر من محبوبته ،وكيف أفرد كل من هؤلاء الشعراء هذه الصفات في سياق خاص لها ، فاستخلصوا من تشبيه النساء بالظبية جمال الجيد والقد وجعلوها في سياق خاص بها ، واستخلصوا من تشبيه النساء بالدرة، الصفاء والنضرة في اللون ، وجعلوها في سياق مستقل ـ أيضاً ـ ، وكذلك فعلوا في تشبيه عيون النساء بعيون المهاة واستخلصوا منها السعة والاستدارة، وحينما تأتي أبيات زهير للنظر في الفرق في صنعة التشبيه عنده، يلاحظ أنها تكمن في الجمع بين كل هذه الصفات في بيت واحد ، ثمّ تفصيلها على وجه الإيجاز المستوفي لكامل العناصر المهمة فيها ، وهو مالم يوجد عند غيره من الشعراء الجاهليين ، ولقد راق هذا التشبيه لكثير من النقاد القدامى والمحدثين ، فقد علق البغدادي صاحب الخزانة على بيت زهير مشيداً به حيث يقول [3]:" شبه زهير امرأة بثلاث أوصاف في بيت واحد ،و"يقول شوقي ضيف معلقاً على التشبيهً :" إنك تلاحظ أن زهيراً لم يكتف بأن يشبه صاحبته بالظباء والمها والدر جملة بل رجع إلى تفصيل ذلك وتحقيقه ... وأن زهيراً كان يحقق صوره ، ولم يكن يعتمد في هذا التحقيق على اللغة وحدها ، بل كان يعتمد قبل كل شيء على أن تكون الصورة واسعة هذه السعة التي

---

[1] ديوان عبيد الأبرص : ص٥٣.

[2] ديوان تميم بن أبي مقبل : ص١٧٢، تحقيق عزة حسن ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٢م.

[3] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادربالبغدادي ، ج٢/ص٣٣٤.تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي .

تتضمن التفصيل والتفريع ، كأنه يريد أن يحملها أكبر طاقة ممكنة في التعبير والتمثـل "[1] وهذا قول دقيق تميز به زهير في كثير من تشبيهاته .

وقال زهير واصفاً ريق محبوبته أسماء وشبهه بالخمر في الطعم [2]:

كأن ريقتها بعـد الكـرى اغتُبِقَـت من طيبِ الراحِ لمّـا يعـدُ أن عُتقـا
شج السُقاةُ علـى ناجودهـا شـبماً مـن مـاءِ لينـةَ لا طرقـاً ولا رنقـا

يصف الشاعر طيب طعم ريق محبوبته ، ، ويشبهه بالخمر المعتق ، وذلك مبالغـة منـه في وصف حسنها ودلالها ، والشاعر اعترض بجملة تفصيلية توضيحية "**بعد الكري** " وذلك مبالغة منه في وصف طيب طعم ريق محبوبته ؛ لأن العادة اختلاف طعم الفم بعـد النـوم ؛وللبعد عن الطعام والشراب، ويشبه طعم ريق محبوبته ، بالخمر المعتقة ، التي تشـرب في الليل ، الجامع بين ريق فم المحبوبة ، وشراب الخمر هو الهيئة السائلة وماتحدثه من نشـوة لصاحبها ، وربما الطعم و ميل النفس ،ٍ .ولاشك أن هذه الصورة تغنى كثيراً عن تفاصيل صور الحسن والجمال ، وأوصاف العز والدلال التي تتمتع به محبوبته أسماء .وتشبيه ريـق المحبوبة بالخمر من المعاني التي تواترت عند كثير من الجاهليين فهذا عبيد بـن الأبـرص يقول [3]:

كأن ريقتها بعـد الكـرى اغتبقَـت صـهباءَ صـافيةً بالمسـك مختومـه
ممّا يُغالي بهـا البيّـاعُ عنّـَـقها ذو شاربٍ أصهب يُغلى بهـا السـيمه

---

[1] الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ص٢٦ .

[2] ديوانه : ص٣٩. بهامشه : (اغتبقت : شربت على ريقها غبوقا. والغبوق شراب الليل . لم يعد أن عتقا : أي لم يتجاوز العتق بفساد) (الناجود الإناء الذي يوضع فيه الخمر ، وقيل صفوة الخمر وأولها . والشبم : البارد . لينة : بئر من أعذب بئر بطريق مكة . الطرق : مابولت فيه الإبـل . الرنـق : الكدر).

[3] ديوان عبيد بن الأبرص : ص١٢٨.

ووردت عند المرقش الأصغر [1]:

وما قَهوةٌ صـهباءُ كالمسـك ريحُهـا تُعلى على النـاجُود طـوراً وتُفْـدحُ
ثَوت في **سباءِ الدن عشـرين حجـةً يُطـانُ عليهـا قَرمـد وتـروحُ**
سباها رجالٌ مـن يهُـود تباءـدُوا لجِيلانَ يُدنيها مـن السـوق مُـريحُ
بأطْيب من فيهـا إذا جئْـت طارقـاً من الليل بـلْ فُوهـا ألـذ وأنصـحُ

ويلاحظ كيف اتفقت عناصر تكوين الصورة عند زهير ، وعبيد ، والأسود بـن يعفـر، وكيف اتفقت على الأخص في الشطر الأول عند زهير وعبيد " **كأن ريقتها بعد الكرى اعتبقت** " ، ثم نجدهم جميعاً قد وصفوها بطيب الرائحة فهذا زهير يجعلها مـن" **طيـب الراح** " وهذا عبيد يجعلها " **بالمسك مختومة** " ـ وهي أبعد مايكون عن ذلك ـ وهذا الأسود بن يعفر يشبه ريحها بالمسك ، كلهم اتفقوا على تعتيق هذه الخمر وقدمها ، فزهير وصفها بأنها " **لما يعدُ أن عتقا** " واحترز من عتقها الفساد وتغير الطعم والنكهة ، وهـذا عبيد جعل يغلي في سعرها من أجل تعتيقها " **سايغالي بها البياع عُتّقها** " ، وهذا الأسـود بن يعفر جعلها تثوي في سباء الدن عشرين حجة مدفونة بالطين، ثم يسبيها رجل من يهود فيبعدبها إلى "**جيلان**" ليحصل فيها أكبر ثمن من الأرباح . والذي تميز به زهير في صورته ، ولم يتطرق له الآخران ،عذوبة هذه الخمر فجعلها " **من ماء لينـة** "، و نفيـه عنـها مايفسد رائحتها أو طعمها فهي " لم **يعد أن عتقا** " و" **لا طرقا ولارنقاً** " .

---

[1] المفضليات ، ص ٢٤٢، ت/ أحمد شاكر ، عبد السلام هارون .وبهامشه :(القهـوة: الخمـر . الصهباء : الشقراء أو الحمراء . الناجود : المصفاة . تقدح : تغرق بالقدح . ثوت : أقامت . يطان : يجعل عليها الطين : القرمد : طين يطلى على رأس الدن . جيلان : بلاد من بلاد العجم) .

الفصل الثالث

التشبيهات التي جاءت في شعر أوس ولم تأت في شعر زهير

أولاً: تشبيهات أوس في وصف الحرب وأدواتها :

المتتبع لذكر السلاح في ديوان أوس ، يستطيع الحكم بسهولة على خبرته بها ، وشـجاعته ـ أيضاً ـ ، وذلك لكثرة دوران ذكر السلاح في شعره بالنسـبة لحجـم الـديوان ، ولاغرابة في ذلك إذاما علمنا أن أوساً كان شاعر قبيلة تميم آن ذاك ، وقد عرف عن تميم شدة بداوتها وإلفها للثورات وإثارة النعرات ، وبعدها عن الاستقرار . والذي يهمنا ماقاله النقاد القدامى عن أوس في ذكر السلاح ، فقد ذكـر ابـن قتيبـة :" أن أوسـاً كـان أوصفهم – يعني الجاهليين – للحمر والسلاح ، ولاسيما القـوس ". وقـد ذكـره الجاحظ بذلك في حديثه عن العصي وصنعها [٢]، وتبعهم المحدثون في أن القوس هي أكثر ذكراً في شعره[٣] ، وقد أثبتت بعض الدراسات الحديثة غير هذا ، فبالرجوع إلى معجـم الشاعر اللغوي ، وجد أن السيف وكل مايتصل به هو الأكثر ذكراً في شعره[٤] .

قال أوس يصف آلة الحرب " الرمح [٥]:

---

[١] الشعر والشعراء : ج١/ص٢٠٤.

[٢] البيان والتبيين : ج٣/٩٣،للجاحظ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٦٠م.

[٣] انظر (الصورة في الشعر العربي) :ص١١٩، علـي البطـل ، الطبعـة الأولى ، دار الأنـدلس ، ١٩٨٠م.

[٤] انظر إلى (أوس بن حجر ومعجمه اللغوي) ، ص١٨، د. سهام الفريح ، حوليات كلية الأداب جامعة الكويت ، الحولية التاسعة عشرة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م.

[٥] ديوانه ٨٣.وبهامشه : (أصم : صفة للرمح ، والأصم المصمت الذي لاجوف له . ردينياً : نسـبة إلى ردينة بالتصغير ،وهي امرأة كانت تقّوم الرماح . الكعوب : عقدة الرمح . والقسب : تمر يابس نواه مر صلب . العراص : الشديد الاضطراب . مزجا: الزج ، الحديدة التي في أسفل الرمح تغرز في الأرض . المنصل : الذي جعل له نصل وهو السنان . العزيز : الملك . الفصح : عيـد النصـارى . الذبال : الفتائل . الأملس : الدرع الناعم المشدود . صولياً: نسبة إلى صول . نهـي : غـدير المـاء الأبيض : صفة للسيف . غراره: حد السيف . الحبي: ما حبا من السحاب ، أي ارتفـع وأشـرف .وتكلل: أي صار بعضه فوق بعض . تأكّل : توهج واشتد . أثره : أثر السـيف جـوهره .===

أصـــم رُدينـــ ـيّاً كـــأن كُعوبـــهُ ... نوى القَسبِ عرّاصـاً مُزجّـاً مُنصـلا
عليـه كمصـباح العزيـز يشُـبهُ ... لفصحٍ وبحشـ ـوهُ الـذُبالَ المُفَـتلا
وأملـس صـولّياً كنهـي قَـرارة ... أحس بقاعٍ نفـح ريـحٍ فَأجفـ ـَلا
كأن قُرونَ الشمس عنـد ارتفاعهـا ... وقد صادفَت طلقاً من الـنجم أعـزلا
تردد فـيه ضـ ـوءُها وشُعاعُـ ـها ... فَأحسِن وأزين بِـامرئٍ أن تسـ ـَربلا
وأبيض هنـ ـدياً كـ ـأن غـرارهُ ... تـ ـلألؤُ بـرقٍ في حبِـي تكـ ـللا
إذا سُـل من جفـنٍ تأكـلَ أثـرُهُ ... على مثـلِ مصـحاة اللُجـين تـأكلا
كأن مـدب النمـل يتبِـعُ الـرُبى ... ومـدرج ذَر خـاف بـرداً فَأسـهلا
على صفحتيه مـن مُتـون جِلائـه ... كفى بالذي أبلـي وأنعـتُ مُنصُـلا

يصف أوس في هذه الأبيات سلاحه بصورة بيانية تظهرحذق شاعر بصير بالسـلاح ، وأدوات الحروب ودقائق وصفها ، الأمر الذي ـ ربما ـ يكشف عن شجاعة الشـاعر ، وكثرة منازلاته لأرض المعارك ، فبدأ بوصف الرمح وبين جودته، وصلابة معدنه وعوده ، فمضى في نسبة رمحه إلى ردينة ،وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرمـاح ، وتثقيفهـا ، وراح يشبه كعوب هذا الرمح في صلابته وقوته ، بنوى القسب ، وهو: نوى التمـر اليـابس ، وهذا الرمح "**عرّاصاً** ":شديد الاضطراب عند رميه ، وربما يقصد الشاعر بـذلك أن لـه بريقاً ولمعاناً . وله حديدة في أسفله تغرز في الأرض ، كما له سنان منصل .وقد بـرع أوس وأجاد كل الإجادة في وصف وتشبيه هذا الرمح ؛ حينما جمع له ستة أوصـافٍ في بيت واحد وهو دليل على إحكامه لوصف السلاح بعامة والرمح على وجه الخصـوص إضافة إلى ماعرف عنه في وصف القوس ، ولعلّ هذه الأوصاف المجموعة في بيت واحـد ،من أهم الأسباب التي جعلت النقّاد القدماء يضعون أوساً في مقدمة الشعراء الجـاهليين ، ويحكمون له بالأفضلية في وصف السلاح [1].فهذه الأوصاف قد جمعت لنا أدق وأهـم

===المصحاة : إناء من فضة وهو القدح . مدب النمل : الموضع الذي يدب فيه . المدرج : الموضع الذي ينزل فيه النمل .

[1] انظر الشعر والشعراء ج١/ ٢٠٢.

صفات الجودة التي يحسن بالفارس توخيها عند انتقائه للرماح. ولعلّ هـذه الأوصـاف الدقيقة لأجزاء الرمح ومكوناته ، ومعرفة أوس بجيدها من رديئها ، تدل على خبرته بها ؛ مايعطي دلالة على فروسيته ،وكثرة صولاته وجولاته في ميادين القتال .

ثم يتابع أوس رسم صورة لرمحه الرديني ، ويصف سراجاً شديد الإضاءة والتوهج معلقـاً عليه،يشبه مصباح ملك النصارى حين يشعل و يحشى بالفتائل لتزداد إضاءته ؛ وذلك حين يعدون إلى عيد فصحهم الكبير . ويبدو أن الشاعر عندما أظهر حجم هـذه النـار المحمولة على الرمح وبين شدة إضاءتها ، إنما أراد أن يظهر جودة هذا الرمح وقوة متانته ، وربما في تخصيص مصباح العزيز بالذكر إشارة إلى تميز هذا الرمح ، ،وأنه خاص بميـادين الملوك ، ومن هم في علْية القوم وخواصهم . ثم انتقل أوس واصفاً درعه ويصوره لنـا في صورة بديعة مستوحاة من عناصر الطبيعة الخلابة ، قام برسمها فنان بارع ، أخلـص في إتقان عمله ، واجتهد في ألّا يدع شيئًا من مظاهر الحسن في درعه من لون براق ، أوموجة متلألئة إلا وقد أودعها في هذا الدرع .فصور لنا ذلك الدرع الصولي بتشـبيه مركـب ،فشبهه بغدير أصاب ماءه نفح ريحٍ فتعرج الماء وتموج ، ثم راح يشخص لنا الشاعر ذلك الغدير في شخوص كائن حي ، فوصف اهتزازات الماء فيه بفعل الرياح ، وشبهها بكائنٍ أحس بريحٍ فانجفل : أي مضى وأسرع [1] ، وحذف المشبه به وأبقى لنا شـيئين مـن لوازمه هما الإحساس ،والانجفال ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية. وهو يقصد بكـل هذه الصورة إظهار التعرجات التي على صفيح درعه ، ثم ينتقل إلى إبراز لون هذا الدرع ، ويشبه لونه بلون الغدير وقد ارتفعت الشمس في رائعة النهار وبثت شعاع ضوئها الذهبي على مائها المستقر ، لينعكس ذلك الشعاع الذهبي ويمتزج مع لون الغدير الفضي ، في جو صحوٍ ذي مناخ معتدل لا الريح تعبث فيه ،ولا تكدره الشوائب. وكل هذا المعنى جاءبه

---

[1] المعجم الوسيط : (جفل) :ص ١٢٧.

جملة " من النجم أعزلا"(٢) ولك أن تتخيل لون ذهب الأصيل وقد جرى على لجين المـاء دون أن تعبث فيه الريح .

ثم بعد ذلك انتقل ليصف سيفه ويصور غرار ذلك السيف الهندي ، ويشبه بياضه ببيـاض البرق حين يتلألأ وسط سحاب متراكم مرتفع بعضه فوق بعض ،وذلك عبر تشبيه حسي مركب ، وعادة ما يكون البرق أشد تلألأً عندما يكون السحاب متكللاً بعضه فوق بعض ، وذلك لشدة سواد السحاب المتراكم ، فالبرق يكون أشد بروزاً ووضوحاً و بريقاً كلما كان السحاب أكثر اكفهراراً ،والضد يظهر حسنه الضد كما قيل .

أما عن صفة جوهر هذا السيف ووسطه فهو أبيض متوهج شديد التلألئ واللمعان، يشبه إناء الفضة في صفائه وبريقه ولمعانه .وأما عن النقوش التي على صفحتي السيف فهي نقوش دقيقة في الصنع ،تشبه النمل حين يصعد للربى المرتفعة خوفاً من الندى في فصل الشـتاء ، فيشعر هذا النمل بالبرد فينزل سهل الوادي . ولعلّه قصد بارتفاع النمل للـربى ونزولـه للسهل تعرج النقوش التي على صفحتي السيف طلوعاً ونزولاً .

وهذه الصورة من التشبيهات الغريبة، وهي تدل على قدرة الشاعر على تصوير المعـاني التي يريدها ،وهي من الصور التي تكررت عند أوس في موضع آخر [(١)]، فهي تبرز ثقافته ووعيه بعوالم الكائنات التي حوله ، واستثماره لكل مافي البيئة المحيطة بـه وإدخالهـا في صناعته التي تشابه ما يعرف اليوم بالتقنية الرقمية التي تنقل أدق التفاصيل بوضح تام ، أو بالأفلام الوثائقية التي تكشف عما يدور في عالم الحيوانات وتنقل مشاهده بشكل مفصل ودقيق .

والشاعر رسم كل هذه الصور الفنية لسيفه المهند ،عبر قالب من التشبيه المركب ، وظـلّ قادراً على نقل المشاهد الحية كأنها رأي عين، وقد عمل الشاعر في نقل أدق التفاصيل التي

---

(١) انظر الديوان :ص ٩٥.

(٢) الأعزل: هو أحد السماكين وهو من منازل القمر ، وسمي أعزل لأنه لاشيء بين يديه من الكواكب كالأعزل من السلاح ، ويقال لأنه إذا طلع لايكون فيه لاريح ولابرد .(حاشية الديوان : ص٨٤).

شاهدها إلى الحد الذي جعله يشعر بأن ليس وراء ذلك التشبيه وصف أبعد منه في إيضاح الصورة فقال: " **كفى بالذي أبلي وأنعت منصلا**" . ومن الملاحظ في أسلوب أوس عند تشبيهاته للسلاح خاصة كالسيف ، والرمح ، والدرع، أنه يحاول نسبتها لأجود الصناعات المعروفة في زمانهم ،و كأنه يفاخر بها، **فرمحة رديني منسوب إلى ردينة** وهي أجود الرماح المعروفة عند العرب ، **ودرعه صولي منسوب إلى صول** ، **وأمّا سيفه فهندي** وهي أمضى السيوف المعروفة وأقواها عندهم في ذلك الوقت .

وبعد ذلك انتقل لقوسه ، والذي أبدى لنا معه علاقة حميمية من خلال ، وقوفه المتأني ، ورسم كل جزئية له بشكل مفصل ودقيق فقال [1]:

ومبضوعةً من رأس فَرعٍ شظية ... يطود تراهُ بالسحابِ مُجللا
على ظهرِ صفوان كأن مُتونهُ ... عُللن بدُهنٍ يُزلقُ المُتنزلا
يُطيفُ بها راعٍ يُجشمُ نفسهُ ... ليُكلئَ فيها طرفهُ مُتأملا
فَلاقى امرأً من ميدعانَ وأسحت ... قَرونُتُهُ باليأسِ منها فَعجلا
فَقالَ لهُ هل تذكرن مُخبراً ... يدُل على غُنمٍ ويُقصرُ مُعمِلا
على خيرِ ما أبصرتها من بضاعة ... لمُلتمسٍ بيعاً بها أو تبكلا
فويق جُبيلٍ شامخ الرأس لم تكن ... لتبلُغهُ حتّى تكل وتعملا
فأبصر ألهاباً من الطود دونها ... ترى بين رأسي كُل نيقين مهبلا
فأشرط فيها نفسهُ وهو مُعصم ... وألقى بأسبابٍ لهُ وتوكلا

يبدأ أوس الانطلاق ليحلق في عالم قوسه العجيب ، يجول بين منابعه ومنابته ، أرضه وحصاه ، شجره وجباله ، عبر رحلة وصفية ماتعة مليئة بالمغامرات والإثارة ،ولم يوجد مثل هذا الوصف أو قريب منه ، إلا عند الشماخ بن ضرار الذبياني الذي يتقاسم مع

---

[1] ديوانه :ص٨٥ /٩٠.وبهامشه : (مبضوعة : أي مقطوهة . الفرع : أعلى الشجرة . الشظية : الشقة والفلقة . مجللا: أي مغطى . ألهاباً : جمع لهب وهي الفرجة والهواء بين جبلين. نيقين : المشرف من الجبل . مهبلا: المهوي ، والمهلك . أشرط نفسه: خاطر بنفسه . أسباب :حبال).

أوس في صفات مشتركة كثيرة في البناء الشعري ، خاصة في وصف حمـار الـوحش ، والقوس يقول الأستاذ محمود شاكر معلقاً على زائية الشماخ في وصف القوس [1]" شمـخ بها الشماخ على عظماء الشعر ممن استلهموا الهياكل والجبال المقدسة ". وهذا الثناء -في تصور الباحث - يشمل أوساً ـ أيضاً ـ لما بين الصورتين من تقارب [2]، فقدذكر أوس ملامح قوسه ماراً بجميع مراحل تصنيعه ،منذ أن كان غصناً في رأس شجرة إلى أن صار يكسى بالريش اليماني ، ولوتده صوتاً ترق له القلوب كصوت مطافيل الإبل . فعود هذا القوس مقطوع من أعلى الشجرة ، وهذه الشجرة مفلوقة قد نبتت وسط صفوان في رأس جبل قد كساه السحاب وغطّاه ، وهذا الصفوان أملس ناعم من ينزل على متنه ، يزلـق من شدة ملاسته ، فرسم الشاعر شدة ملاسة الصفوان وزلقه عن طريق تشبيه مركب ، وشبهه بصفوان قد صب عليه من الوسط دهن مرةً بعد مرة ؛ فزاد زلقاً علـى زلـق .ثم استطرد أوس في وصف المشبه به(الصفوان) وراح يذكر قصة مراحل إعداد هذا القوس من مبدئه عندما كان عود غصنٍ من رأس فرع شظية إلى منتهاه .

فهذه الشجرة التي يستخلص منها القوس ،وجِد حولها راعٍ يحوم عليها ، مادأً إليها بصره الحاد بقصد سبقه إليها وتملكها ،و ليحافظ عليها من أي شخص آخر يريـدها ، وهـو يتجشم لها ليلقي بنفسه إليها فبينما هو كذلك . إذ وجد شخصاً قريب منه مـن قبيلـة "**ميدعان**" ،فاستشاره بعد أن شعر بالخوف وعجل به اليأس منها فقال له : هـل تـذكر رجلاً يصيب الغنم ، وينجز لنا عملاً قصيراً على خير ما أبصرت من بضائع النـاس ـ يعني القوس ـ ، لمن أراد بيعها أو تبكّلها : أي تغنمها [3]. فيخفف عنا العناء ؟ . فدلـه الرجل إلى مكان القوس ، فعجل إليه . والظرف في كلمة "**فويـق**" متعلـق بالفعـل" **أبصرتها**" في البيت المتقدم ، أي هذه البضاعة(القوس) التي تلتمس بيعهـا أو اغتنامهـا

---

[1] القوس العذراء ،ص:٧٣، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٢م، ط٢.دار الفكر ، بيروت .

[2] انظر ديوان الشماخ قصيدته الزائية ، ص:٧٠.

[3] الديوان :ص ٨٦ وبهامشه : (يمطّعها : يشربها . المداوس : المصاقل التي يصقل بها عود القوس .(ذ) سفى البهمى : نبت له شوك إذا يبس وخف ،تطايرت به الريح (معجم مقاييس اللغة : ص٤٦١).

كائنة فوق أعلى جبل شاهق شامخ الرأس ، لم يكن ليبلغه حتى يكل ، وينهكه التعب من طلوعه .وتصغير كلمة "**جبيل**" يدل على عظمة الجبل وصعوبة الصعود إليه وتسلقه ، فأبصر الرجل الذي من ميدعان قُرجاً في أعلى الجبل دون مكان القوس ، حتى أنه يرى الصاعد إليها هلاكه كلما أشرف إلى المكان واقترب منه ، فأعصم أي: جعل الحبال في معصمه وتوثق بها ، وألقى نفسه مخاطراً بها بعد أن توكل على الله.

وقد أكلت أظفارهُ الصخرُ كُلما ... تعايا عليه طولُ مرقى توصلا
فما زالَ حتّى نالها وهو مُعصم ... على موطنٍ لو زل عنهُ تقصلا[1].
فأقبلَ لا يرجو التي صعدت بِه ... ولا نفسهُ إلّا رجاءً مُؤملا
فلمّا نجا من ذلك الكربِ لم يزل ... يُمطّعها ماءَ اللحاءِ لتذبُلا
فأنحى عليها ذات حد دعا لَها ... رفيقاً بأخذ بالمَداوس صيقلا
على فخذَيه من بُراية عودها ... شبيهُ سفى البُهمى إذا ما تفتلا
فجردها صفراءَ لا الطولُ عابها ... ولا قصر أزرى بها فتعطلا

---

[1] انظر الديوان ٨٨-٨٩. وبهامشه : (يمطّعها : يشربها . المداوس : المصاقل التي يصقل بها عود القوس . سفى البهمى : نبت له شوك إذا يبس وخف ،تطايرت به الريح (معجم مقاييس اللغة : ص٤٦١). (الكتوم : والكاتم من القسي التي ترن إذا انبضت ، وقيل هي التي لاشق فيها ،وقيل هي التي لاصدع فيها أو في نبعها. العجس : موضع كف الرامي من كبد القوس . انبضت : جذب وترها لتصوت . النئيم والأزمل: الصوت الضعيف وصوت القوس .
نزع في القوس : جذب وترها . صلّبها : يبسها . فأطولاً : فأطال. وبهامشه : (الجفير : الكنانه، وحشوها السهام . الغرب : نوع من الشجر تصنع منه السهام . تنطع : تحذق ، وتأنق [1] . الأنضاء جمع نضي: وهي السهام التي لم تبر بعد . السخام من الريش : اللين الحسن . والريش اللوام : مايلائم بعضه بعضاً . والطحلة : لون بين الغبرة والسواد. المطافيل : ذوات الأطفال . الشوى الأطراف . أطلاؤها : أولادها . عرنان : واد واسع يوصف بكثرة الوحش . مبقل : طلعت فيه البقل.) .

وأخذ هذا الرجل يتنقل شيئاً فشيئاً ، وهو متشبث على الصخرة بحذر بالغ ، إلى مكـان القوس ، وقد شق ذلك عليه ، فمازال على تلك الحالة إلى أن وصل إلى مكان القوس وهو مشفق على نفسه من تلك الحالة ، فلو انحرف قليلاً عن مساره لسقط وتقطّع وصار أشلاءً ممزقةً . فأصبح من حاله تلك ، يتمنى أنه لم يصعد ،وأنه نجا بنفسه من هـذا الموقـف المهلك .فلما نجا من ذلك الكرب الشديد ، بعد أن حصل على مبتغاة من أعلى فـرع الشجرة التي على صفوان بأعلى الجبل ، راح يشرب عود القوس الذي حصل عليه الماءَ ؛ ليذبل ويلين ، ثمّ أخذ يصقله في حذق بالغ ، ومهارة فائقة ، فأخذ بحد المدوس ؛ ليوائم شكله وينسق مظهره ، ثم أخذ يبري عوده ، وبراية العود تسقط على فخذي هذا الرجل ، ويرسم الشاعر ذلك المشهد عبر تشبيه حسي مفصل ، تظهر براعة الشـاعر في التقـاط المشاهد التفصيلية الدقيقة المحيطة ببيئته ، فشبه الأجزاء المتناثرة من لحاء العود بفعل البراية ، بسفى البهمى وهو نبات معروف له شوك ، إذا جف ويبس تطايرت أشلاؤه ، وفتائله في الهواء . وذلك لمابينهم من التناثر والتطاير في الهواء .

ثمّ بعد ذلك أخذ يجرد لحاء العود بعد أن براه ، فظهر لونه الأصفر الجذّاب ، والمحبـب للنفس ، وهذا العود متساوي القد ،لا يعاب من طول في حجمه فلايصلح للغرض المعد له ، ولامن قصر ينقص ويضعف من أدائه فيعطله عن غرضه أيضاً .

ويمضي أوس في استكمال رسمه لصورة قوسه فهو[1]:.

كَتوم طلاعُ الكف لا دونَ ملئـِها ولا عجسُها عن موضع الكف أفضـلا
إذا ما تعاطوها سمعت لصـوتها إذا أنبضوا عنـها نئيـماً وأزمـلا
وإن شد فيها النزعُ أدبر سهـمُها إلى مُنتهى من عجـسِها ثُم أقبـَلا
فَلـمّا قَضـى ممّا يُريدُ قَضـاءَهُ وصلبـَها حرصاً علـيها فَأطـولا
وحـشو جفـيرمن قُروعٍ عَرائـبٍ تنطـع فيـها صانِـع وتـنبلا [1]

---

[1] نلحظ في هذا البيت اضطراباً في الترتيب يفرضه المعنى ، فذكر تصليب القوس في البيت الأخير (وصلبها حرصاً عليها فأطولا) بعد ذكر استوائها قوساً تامة الصنع يرمى عنها وهذا لايصح لأن===

تُخُـيرنَ أنـضاءً ورُكبن أنصـُلاً ... كجـمر الغـضا في يومِ ريـحٍ تـزيلا
فَلَمّا قَـضى في الصُنع منهن فَهمـهُ ... فَلَم يبـق إلّا أن تُسـن وتُصـقَلا
كَسـاهُن من ريـشٍ يمان ظَـواهراً ... سُـخاماً لُؤاماً لين الـمَـس أطـحلا
يخُرنَ إذا أنـفزنَ في ساقط النـدى ... وإن كانَ يوماً ذا أهاضـيب مُخضـلا
خُوار المَـطافيل المُلـمعة الشـَوى ... وأطـلائها صـادفن عرنـانَ مُـبقلا

يبدأ الرجل في إعلان صفات القوس ، ومقاييس جودته ، فعوده لاشق فيها ولاصـدع ، إذا وضع الرامي كفّه في أي موضع منها فإنها تملؤه ، فضلاً عما إذا وضع كفّه في كبدها عند الرمي ،و إذا أنبضها الرامي وجذب وترها فإنك تسمع لها صوتاً خفيفاً ، وهي مرنة لينة إذا شد النازع فيها السهم عاد إلى مقبض القوس ثم ابتعد عنها لقوة دفعها وصلابتها . فلما فرغ من تجربته الناجحة في جودتها ، ومدى دقتها ومتانتها في الصنع ، راح يجففها ويطيل مدة بقائها لتيبس وتشتد ؛ حرصاً عليها من التلف أو أن يلحقها أي عيب فيصعب تقويمها .

وبعد أن فرغ من صناعة قوسه وإتمامه انتقل يصف سهام هذا القوس ، ويعـدد مراحـل تصنيعه ـ أيضاً ـ ، فالرجل يصف سهام قوسه التي أعدها للحرب، فهي منتقاة من خيار شجر الغرب ،وهو: شجر معروف بجودته في صنع السهام ، وقد تحذّق في صنعها وتـأنق ، ـ وهذا شأنه مع السهام أيضاً عندما يتنبل بها ـ ثم بعد ذلك تخير وانتقى من بعض هذه السهام التي لم تبر بعد ليركب فيها النصل ، وراح يرسم لنا قوة وشدة توهج هذه السهام

===التصليب هو تركها تسيبس بعد قطعها خضراء ، وقد تتبع الباحث الدكتور هشام الشـرقاوي هذا الترتيب فوجد له تصويباً في شرح شواهد الشافيه ، حيث ورد الترتيب هكذا :

فلما نجا من ذلك الكرب لم **يزل ... يمظعـها ماء الـحاء لتذبلا**
فلما قضـى مايـريد قـضاءه ... وصلبها حرصاً عليها فأطولا
فأنحى عليها ذات حد دعـالها ... رفيقا بأخذ بالمداوس صيقلا ===

=== أنظر شرح شواهد الشافية ،للبغدادي : ص٨٨ ،ت/ محمد نور الحسن ، ومحمد الزقاق ومحمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، ١٣٥٦هـ ، بواسطة رسالة مخطوطة للباحـث هشـام الشرقاوي " البناء التركيبي في شعر أوس بن حجر " جامعة الأزهر ، ١٤١٢هـ .

حين تطلق إلى الهدف المحدد لها، فشبه نصل السهام وهي منطلقة من القوس بسرعة فائقة نحو الهدف ، بجمر الغضا حين يتطاير شرره في يوم ريح شديد .وذلك لمابينـهما مـن توهج جسم يسير بسرعة شديدة وتتطاير منه أشلاء خفيفة ، وهذه الصورة دلالةٌ علـى جودة هذا القوس ، ومتانة صنعه.

،. وقد وفق الشاعر ـ في رأي الباحث ـ في إصابة التشبيه عندما شبه نصل السـيف المعد للحرب ، بجمر الغضا ؛ فجمر الغضا من أجود أنواع الجمر ، وأطولها مدة بقاء وهي محافظة على اشتعالها والجمر جزء من النار ، والنار ومشتقاتها أكثر تناسباً لذكر الحـرب وعتاده ، ثم إن الجمر لونه أحمر ، وهو ما يوحي بلون الدم القاني الذي يسفك في الحرب ، وهذا الجمر يتطاير شرره ؛ أي أنه جاهز للحرب في أي لحظة .

وبعد أن فرغ من المهام الأساسية من صنع السهام ، وأعلن جاهزيتها للاسـتخدام ، راح يتحذّق فيها ويتأنق ، ويعاود النظر في تسنينها ،وصقلها الكرة بعد المرة .

ثم بعد ذلك أخذ في كسوة هذه السهام ،وراح يتخير لها من الريش اليماني الفاخر ألينـه وأحسنه ، وأخذ يوائم بين هذا الريش المائل لونه بين الغبرة والسواد في تركيبه ويلائم بينه ، وهذه السهام يسمع لها صوت متى ماأديرت على الظفر وحركت بالأصابع ، ثم يتساءل الشاعر متعجباً من ظهور صوت القوس في جوٍ ندي ،ويقول : كيف بها إذا كانـت في جوٍ جاف ؟! .ويبدو أن الصوت ينتقل في الجو الجاف أسرع ، وأعلى منه في الجو الرطب الندي . ثمّ أخذ بعد ذلك يرسم حجم الصوت النابع من هذه السهام ويشبهه ، بصوت خوار بقر الوحش ، وهذه البقر لها أولاد مطافيل ، لون أطرافها أبيض ناصع البياض ، ثم إن أولادها في واد واسع مليء بالوحوش ، وهذا الوادي نبت بقله . ولعـلّ في وصـف الشاعر هذه البقر بأنه ملمع الشوى ،كناية تنبئ عن سهولة رؤية الوحش للبقر في هـذا الوادي المليء بالوحوش ؛ مما يحدق عليها الخطر ؛ فهي ذات صوت خافت خافض؛ حتى لايتنبه لها الوحش . ولاحظ أن طرفي التشبيه يعودان إلى نوع واحد ؛ لأن الشاعر استعار صوت خوار البقر لصوت القوس قبل أن يشبهه بصوت خوار البقر المطافيل، ثمّ حـذف المشبه الذي هو بقر الوحش وأبقى شيئاً من لوازمها على سبيل الاستعارة المكنية .وكـأنّ الشاعر أراد أن يثبت حقيقة قد استقرت في ذهن ذلك الرجل، حتى أنه ادعى أن صوت

القوس هو في الأصل صوت خوار يشبه خوار البقر المطافيل وذلك عن طريق المبالغـة ، وهذا من أعلى مراتب البيان، الذي يجعل البيان في صورة مستجدة ، ويزيده فضلاً ونبلاً[1] وبعد أن فرغ الشاعر من تقصي الوصف، وتحري الدقة البالغة في نقل صور عتاد الحـرب وعدته من درع ، ورمح ، وسيف عبر المشاهد البيانية العالية ، والتي كان التشبيه وسيلتها المباشرة ، ثمّ الوقوف عن كثب على صناعة القوس وسهامه لحظة بلحظة منذ أن كـان القوس فرعاً على صفوان أزلق ،في رأس شجرة بأعلى الجبل الشاهق إلى أن صار لـوتره صوتاً وأزملاً ، ولسهامه ريشاً يمانياً فاخرا تكسى به ، وكأني بالشاعر أراد أن يدفع العدو المتربص بهم ، والطامع في قوم الشاعر بني أسيد ، فراح الشـاعر يظهـر عتـاد قومـه ،وأسلحتهم الفتاكة ، عن طريق رحلة وصفية مثيرة ، مليئة بالمغامرات، كان البيان العالي عنوانها ، والتشبيه وسيلتها التي نقلت به كل المشاهد نقلاً وصفياً حياً كرأي العين ، وهذا العمل الوصفي البياني التشبيهي للأسلحة ، يشبه عمل المناورات العسـكرية في الوقـت الراهن ؛ وذلك إذا شعرت الدولة بخطر داهم للبلاد ، أو وجود أطماع من بعض القوى المتطلعة لتوسيع هيمنتها ودائرة نفوذها ، سرعان ماتنفر تلك الدولة لإظهار أقوى ماتملك من ترسانة عسكرية ، واسلحة فتاكة لتردع به العدو المتربص ، وتدفع بها أطمـاع كـل طامع .ويبدو أن الأمر نفسه هو الذي دفع الشاعر لتفريغ طاقاته البيانية في سبيل إظهـار سلاحه على أكمل وجه وأتمّ حال . فلذلك يلاحظ من الشاعر بعد استغراقه في وصـف آلة الحرب، انتقل يعتد بعتاده ، ويشيد بنفسه ، وبشجاعة قومه بني أسيد،وأن قومه ليسوا بمعزلٍ عن السلاح ، وأخذ يظهر قوة بأسهم عند اللقاء إذا ما تحتم عيهم ذلك ، فقـال[2]:

فَذاك عتادي في الحُروبِ إذا التظـت ... وأردف بـأس من حُـروبٍ وأعجـلا
وذَلـِك من جـمعي وبالله نِلـتُهُ ... وإن تلقَني الأعـداءُ لا ألـق أعـزلا
وقَـومي خـِيار من أسيد شـجعةٌ ... كرام إذا ما المَـوتُ خب وهـرولا

---

(1) انظر حديث عبد القاهر عن الاستعارة في أسرار البلاغة ص٤٢.

(2) الديوان :ص٩٠ .

وقال في وصف آلة الحرب (السيف) و(الدرع)و(الرمح) [1]:

وذا شُـطبات قَـدهُ ابـنُ مُجـدعٍ ... لَـهُ رونـق ذريـهُ يـتأكـلُ
وأخرج منـهُ القَـين أثـراً كأنـهُ ... مدب دبأ سود سـرى وهـو مُسـهلُ
وبيضـاءَ زغـف نثلـة سُـلمية ... لها رفـرف فَـوق الأنامـلِ مُرسـلُ
وأشـبرنيه الهـالكي كـأنهُ ... غَدير جرت في متنِه الـريحُ سلسـلُ
معي مـارنٌ لـدنٌ يُخلّـي طَريقَـهُ ... سنانٌ كنـبراس النهـامي منجـلُ
وصفراءَ مـن نبـعٍ كـأن نـذيرها ... إذا لم تُخفضهُ عـن الـوحشِ أفكـلُ
فَمظـعها حـولين مـاءَ لـحائها ... تُعالى على ظـهرِ العـريشِ وتُـنزَلُ
فَملك بِاللّيط الذي تحـت قشـرها ... كغرقيءِ بيضٍ كنهُ القَيضُ مـن عـلُ

يبدو من خلال هذه الأبيات غرام الشاعر بالسلاح ،وهوايته لاقتنائها ، من خلال إجادته وصفها ، حين رسم صورة بريق هذا السيف ولمعانه ، وشدة توهج جوهره المصقول ، ثمّ أخذ يصف أثْر هذا السيف وجوهره ، فشبهه الأثر الذي عليه ،بالأثر الذي يتركه الجـراد على الأرض حين يدب إليها ، وهو منحدر من سفح التلّة إلى السهل ، فصور هذا المنظر عبر تشبيه مركب، وقد تكررت هذه الصورة عند الشاعر بطريقة مماثلة ، مما يعطي مؤشراً

---

(١) ديوانه :ص٩٥- ص٩٦. (ذا شطبات : الطريقة من طرائق السيوف . قده : قطعه وصنعه . ابن مجدع : قين مشهور بصنع السيوف . الرونق: صفاء السيف وحسنه . الذري: التلألـؤ واللمعـان . يتأكّل : يبرق ويلمع بشدة. الأثْر : الفرند والجوهر . الدبا : الجراد . البيضاء : يقصد بها الدرع التي لم يعلها الصدأ . الزغف : الدرع اللينة . النثلة : الواسعة المستفيضة . سلمية : نسبة إل سليمان بـن داود . أشبرنيه : أعطاه إياه . الهالكي : الحداد أو الصيقل مارن : رمحاً ليناً . النـبراس : السـراج . النهامي النجار . منجل واسع الجراح .النبع : شجر مرن تؤخذ منه القسي . نذيرها صوتها ، الأفكل : الرعدة[1] مظّعت القوس : إذ سقيتها ماء لحائها ، وأن يقطعها رطبة وتترك في الظل حـتى تجـف .ملّك : شدد أي ترك من القشر شيئاً يتمالك به . الليط : القشر . القيض : قشر البـيض الغلـيظ. الغرقىء: القشر الرقيق .

بأن الصورة التي رسمها لصفحة سيفه قد تبلورت في ذهنه ، وانطبعت في مخيلتـه [1]. ثم أنتقل إلى وصف الدرع ، بعد أن فرغ من وصف آلة السيف ، وراح يرسم لنا صـورتها وذلك بعد أن أعطاها إياه الحداد الذي قام بصقلها ، بعد أن أحكم صناعتها فهي ؛سلمية من نسج سليمان بن داود عليه السلام ،ـ وهذا من باب الاعتداد والمفاخرة بقوتهـا ـ ومن صفات هذه الدرع الكريمة النسب أنها لينة ،واسعة حلقتها ، يشبه حالها حال الغدير الذي أصابه الريح، فتتعرج الماء فيه وتتسلسل ، وذلك لينقل صورة المسارات المتعرجة على صفيح الدرع الأملس الواسع ، وهذا المعنى يشبه إلى حد كبير وصفه للدرع في مكان آخر من قصيدة سابقة حيث يقول [2] :

وأملـسَ صـولياً كنـهيِ قـرارة أحـس بقـاعٍ نفـح ريـحٍ فـأجفلا

وبعد أن فرغ من تصوير هيئة سيفه ودرعه ، انتقل إلى وصف الرمح، فيرسمه في صـورة رمح لين ، عليه سنان حاد يخشى الناس الاقتراب منه ، فيخلى طريقه ويبتعد عنه ؛ لـئلا يقع مكروه لمن يلمسه ، وهذا السنان ساطع اللون شديد التوهج و الاضاءة يشبه ضـوؤه ضوء سراج على منارة من خشب صنعها نجّار ماهر ، وضوء هذا السراج قد تعمم علـى كل من هم حوله.

وبعد أن فرغ أوس من وصف آلة الحرب من سيف ،ودرع، ورمح ، جاء ليقف وقفـة تأن عند سلاحه الأمضى ، والذي يجد في نفسه هوى له ، ربما لأن القوس مـن الأدوات الناجعة في الحرب ، والتي تختص بالصيد فلا يصلح الصيد إلا بها ، فهي تمثّل له في الصيد الهواية ، وفي العدو النكاية ؛ فيلاحظ على أوس الدقة في تصويرها ، والوصف لكـل جزيءٍ منها .ويصور قوة السهم المنطلق من هذا القوس وسرعته ، ويشبه صوتها بالنذير ، والنذير لا يحمل معه إلا الوعيد ، لذا فإن صوت هذه السهام الصادرة عن القوس تصيب الوحش بالرعدة من جراء سماعه لصوتها ، قبل أن تصل إلى جوفه وتصيب مقتله ، ويـرى الباحث أن أوساً قد أصاب في توصيفه لقوة هذه السهام الصادرة عن القوس، ورسم لهـا

---

[1] انظر الديوان: ص ٨٤ـ ٨٥، والفصل الأول من البحث : الصنعة في تشبيهات السلاح .

[2] انظر الديوان :ص٨٤ .

صورة مفزعة بالنسبة للوحش ، حينما شبه صوتها بصوت النذير ، وهي من المعاني الـتي تكررت عند الشاعر أيضاً وقد سبق الحديث عنها [1].

بعد أن تمّ الشاعر من ذكر سلاحه المحبب إليه ،انتقل ليوقفنا على طريقة صنعه ، فبعد أن قطع عودها من شجر النبع ، راح ليسقيها ماء لحائها حتى تلين ،وتترطب ، ثمّ يضعها فوق سطح عريشه حتى تجف وتقسو ثمّ ينزلها ، فيبدأ ببري عودها ،ثمّ صقلها ، وبعد أن فـرغ من ذلك كله ، جاء ليصور طريقة ومقدار بري العود عن طريق التشبيه المركب، فترك من قشر العود شيئاً يتمالك به ؛ لئلا يبدو قلب القوس وإلا انشقت وتصـدعت ، ،فشـبه مقدار ذلك الحد الذي يتمالك به القوس ، بمقدار قشر البيض الرقيق إذا غطي بقشر البيض الغليظ فأصبح متماسكاً .

وإنكُما يا ابنـي جنـابٍ وُجِـدتُما كمن دب يستخفي وفي الحَلق جلجـلُ

وبعد أن فرغ أوس من وصف لآلة الحرب، وذكره لأنواع السلاح، يختم القصيدة بـذكر ابني جناب ، وحالهما مما أصابهما من الوجد لفضح أمرهما، وبروزه للعيان ، وهم يسعون إلى إخفاء امرهما ، فشبه الشاعر حالهم ذلك ، بمثل عابر سائر عبر تشبيه تمثيلـي ، فهـم يشبهان في حالهم تلك بحال من يحاول أن يستخفي ، وفي حلقه جرس له صوت مجلـل، يسمعه كل من حوله ، فأنى له الاختباء وهو على ذلك الحال. وهذا التشبيه قد اختصـر كثيرا من الجمل وقد صور لنا المعنى حياً مشاهداً كاملاً غير منقوص بكل وضوح .وقـد فتن الإمام عبد القاهر بهذا النوع من التشبيه وذكر جملة من أسباب تأثيره في النفوس يقول :" واعلم أن مما اتفق العلاء عليه ، أن " التمثيل" إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسـاها منقبةً ، ورفع من قدرها ، وشب من نارها ، وضاعف قوها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلفًا بها ، وقسر الطباعَ علـى أن تعطيها محبةً وشغفاً"[2] .

---

[1] انظر الديوان :ص ٧١ .

[2] أسرار البلاغة :ص١١٥.

ثانياً: تشبيهات أوس في وصف والبرق والسحاب والمطر :

الشاعر الجاهلي يستمد مواضيعه من الطبيعة التي يعيش فيها ، فيتأثر بها ويؤثر فيها ، ويحاول أن يعبر عن ذلك التأثر ، فيصف مشاهد تلك الطبيعة بدقة بالغة تظهر مدى انسجامه معها، وقد وصف أوس البرق والسحاب والمطر في لوحة تعكس طبيعة ذلك الانسجام ، وضمن تلك اللوحة العديد من الصور التشبيهة الرائعة ، وقد أعجب النقاد بحسن وصفه لها ، ذكر ابن قتيبة أنه من أحسن ماسمع في وصف السحاب [1]،ويقول أبو الفرج الأصفهاني معلقًا ، وهو يشرح هذه الأبيات :" وهو أحسن ماوصف به السحاب " [2].يقول أوس [3] :

إنّي أرقتُ ولم تأرق معي صاحي لمُستكف يُعيد النوم لـ وّاح

---

[1] الشعر والشعراء ١٩٧/١،

[2] الأغاني ج ٧٢/١١.

[3] انظر شرح الديوان ١٥ـ١٦.وبهامشه (المستكف : المطر الهاطل. والعارض : هو السحاب الذي يتعرض على وجه السماء. مسف:أي شديد الدنو من الأرض ، هيدبه : أي ماتدلى منه .وشطبا :، اسم جبل في بلاد بني تميم، والمشبه به هو أقراب أبلق، والأقراب : جمع قرب وهو كشح الحصان الأبلق ، والأبلق : الدابة التي يخلط بياض لونها سواد. والجنوب: ريح تأتي بمطر غزير ، والأعجاز: مؤخر الشيء ، والمزن : السحاب الأبيض ، ودلاّح : أي مثقل بالماء .فالتج : أي صوت ، وهومن اللجة ، ومنصاح : أي انشق بالماء، والريط المنشرة : الملاءة المنشورة ، إذا كانت من قطعة واحدة ولم تكن لفقين. أجش : غليظ الصوت ،المبترك : من ابترك ، أي أسرع في العدو وجد فيه ، الفاحص : هو الذي يقلّب وجه التراب كما تفعل القطاة حين تقلب أفحوصتها . الداحي:هو الذي يلعب بالمدحاة ، وهي خشبة يدحى بها الصبي فتمر على وجه الأرض لاتأتي على شيء إلا اجتحفته .النجوة : ماارتفع من الأرض . المحفل : مستقر الماء ، والقرواح : الأرض المستوية . والعشار : هي الإبل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها . والجلة : السمان من الإبل ، والشرف : الكبار من الإبل ، اللهاميم : الغزار؛ أي شعرها ، والإرشاح : هي الناقة التي قوي فصيلها واشتد . ، هدل المشافر : أي مسترخية ، بح الحناجر ، تزجي مرابعها : أي تسيم وترعى ، الصحصح : المكان المستوي الظاهر ، والمرتفق : ماء راكد قد حبسه شيء ، المنطاح : الماء السائل الذي لم يحبسه شيء).

قد نُمت عنّي وبات البرقُ يُسهِرُني ... كما استضاءَ يهودي بِمصباح
يا من لبرقٍ أبيتُ الليلَ أرقُبُهُ ... في عارضٍ كَمُضيءِ الصُبح لمّاح
دان مُسِف فُويق الأرض هيدُبُهُ ... يكادُ يدفَعُهُ من قام بالراح [1].
كأن ريقَهُ لمّا علا شطباً ... أقرابُ أبلق ينفي الخَيلَ رمّاح
هبت جنوب بأعلاهُ ومالَ بِهِ ... أعجازُ مُزن يسُح الماءِ دلّاح
فالتج أعلاهُ ثُم ارتج أسفلَهُ ... وضاق ذَرعاً بِحمل الماءِ مُنصاح
كأنما بين أعلاهُ وأسفَلِهِ ... ربطٌ مُنشرةٌ أو ضوءُ مصباح
ينزَعُ جِلد الحَصى أجش مُبترك ... كأنهُ فاحص أو لاعب داحي
فَمن يَنجوته كمن يمشي بِفرواح ... والمُستكن كمن يمشي بِفرواح
كأن فيه عشاراً جِلةً شُرُفاً ... شُعثاً لهاميم قَد همت بِإرشاح
هُدلاً مشافرُها بُحّاً حناجِرُها ... تُزجي مرابيعها في صحصحٍ ضاحي

يقف أوس ، وقد أرقه السهر بالليل ، فبات يرقب فيه البرق،و المطر، ومنظر السحاب، فيرسم وصفاً لذلك المشهد الرائع عبر تصوير حالم ، وبيان عالٍ ساحر، استمد سحره من سحر الطبيعة الخلابة ، فوصفها بأروع ماقيل فيها من وصف . فهو يشبه حاله وهو يرقب البرق في سهر وأرق ، بحال رجل من اليهود يستضيء بمصباح، فالمشبه هنا صورة مركبة من عدة عناصر ممتزجة،ومتضامة ،لاتنفك عن بعضها البعض ، والمشبه به كذلك . فصورة المشبه به وهو اليهودي الذي يستضيء بمصباح ، يمكن أن يستشف منها دلالات عميقة ، فاليهود أصحاب دين وعقيدة ـ وقد تحرفت وجاء الإسلام فأبطلها ـ ،وكان منهم الراهب الذي يمضي ليله في عبادة وتأمل وتبتل ، ويصغي حسه في آيات الكون الفسيح ويتأمل في البرق ، والسحاب والمطر بنفس تشبه نفوس أصحاب الملل الحنفاء في ذلك الزمان.ثم يستغرق أوس في تأمله لهذا المنظر الساحر ،ليصف مشهد البرق وهو يومض بنوره في ظلمات السحاب، فيشبه ضوء البرق اللامع في عارض السحاب المكفهر،

[1] وهيدب السحاب ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط .(تاج العروس مادة (هدب)).

بنور الصبح الذي يطلع علينا بعد ظلام الليل الدامس، ليبعث في نفسه النور و الحياة والأمل . وهذا يذكرنا بقول المولى عز وجلّ : " ﴿ والصبحِ إذَا تنفس ﴾[1].، والنداء هنا صادر من أعماق وجدان الشاعر ،فالبرق عنده يعني الأمل ، والصبح يعني النور ، والمطر يعني الحياة. وهو تشبيه مركب ، فالمشبه صورة البرق وهو يومض بوهج ضوئه في ظلمة السحاب المكفهر ،والمشبه به صورة ضوء الصبح الطالع من ظلمة الليل الحالك . والذي بينهما هو الضياء والنور الباعث في النفس الأشراق والحياة . وبناء البيت على النداء (**يامن لبرق**)يوحي بشعور النشوة التي اعترت الشاعرمن ذلك المنظر الساحر ،فلم يمتلك نفسه ، فابتدر بالنداء . ثم ينتقل إلى وصف السحاب ويصف منظرا عز نظيره ، فيقول :أن هذا السحاب شديد الدنو من الأرض ، كاد من يقوم على الأرض أن يمسه ويدفعه براحة يده ، وقد أحدثت كلمة (**فويق)** دقة في رسم المعنى ، وكذلك فعل المقاربة(**يكاد**) وقد أدت روعة في رسم الصورة الحية ، وذلك أنه جاء بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث والاستمرار.وكأن المشهد لايزال ماثلاً رأي عين.

ثم يشبه بياض البرق حين يضيء السحاب المظلم ،لما علا "**شطبا**" بالخيل الأسود الـذي يعدو فيظهر من عدوه بياض أرفاغه ، وذلك لمابينهما من ظهور بياضٍ وسرعةَ اختفائه في سواد .ثم يتابع وصف هذا السحاب فيقول: هبت رياح الجنوب بأعلى هذا الجبل ،وهـي تحمل معها المطر الغزير ، عبر سحاب المزن التي أثقلتها المياه المحملة متنها، فمالت بهـا ، حتى سمع صوت لهذا السحاب من الأعلى ، وارتج أسفله فتحرك يمنةً ويسرى ؛ جراء ثقل الماء المحمل عليها .

ثم يشبه اللون الذي يتوسط مابين أعلى وأسفل هذا السحاب، بالريط المنشـرة ؛ وهـي الملاءة التي تتكون من قطعة واحدة ، أو ضوء المصباح ، فالمشبه هنا شيء واحد ، والمشبه به شيئان ، والجامع بينهما هو ظهور اللون الأبيض الناصع . ولعل الحكمة من تعدد المشبه به أن الشاعر عدل عن المشبه به الأول إلى المشبه به الثاني ؛ لأنه أدل على فرط ظهـور

---

[1] التكوير:(١٨).

البياض ،وقد جرت العادة من التدرج في الشيء من الأسهل إلى الأصعب .[1]؛ولهذ أخـر ضوء المصباح عن الريط المنشرة ، وتعدد المشبه به بحرف(أو)يفيد غير دلالة ، فقد تكون (أو) للإباحة أو التخيير[2]؛فأي مشبه به اخترت ـ الريط المنشرة أو ضـوء المصـباح ـ فهو دال على وصف الحالة دون أي قصور في المعنى . ويجـوز أن تكـون (أو) بمعـنى الإضراب ، وكأنه أضرب عن وصف الريط المنشرة بضوء المصباح . ومنه قـول جريـر الذي استشهد به صاحب الألفية :

ماذا ترى في عيالٍ قد برمـتُ بهـم ... لمْ أحــ ـص عدّتهــ ـم إلا بعــدّاد

كانوا ثمـ ـانِين أو زادوا ثمانِيـ ـَةً ... لـولا رجـاؤك قَـد قتّلْـتُ أولادي

أي : بل زادوا .[3]

ثم يواصل وصف هذا السحاب وهو ينهمر بالماء فيقول إن هذا المطر المنهمر من السحاب، ينزع جلد الحصى أي : يقتلع ويزيل كل ما على سطح هذا الحجارة الملقاة علـى الأرض من علائق . ويلاحظ هنا أن الشاعر جعل للحجارة جلدا على سبيل الاستعارة المكنيـة ، فشبه الحجارة بكائن أو حيوان له جلد ، يعلو سطح جسمه ، وفي لفظة (**ينزع**) مايدل على قوة المطر وشدته ،وأنّ صوت هذا المطر المنحدر على وجه الأرض ،أجـش : أي

---

[1] انظر إلى كلام الزمخشري في " الكشاف " في تحليله لقوله تعالى :"﴿ مثَلُهم كمثَلِ الذي استوقَد ناراً فَلَما أضاءت ما حولَه ذَهب اللّه بِنورِهم وتركَهم في ظُلُمات لا يبصرونَ{١٧} صم بكْم عمي فَهم لاَ يرجِعونَ{١٨} أو كَصيبٍ من السماءِ فيه ظُلُمات ورعد وبرق يجعلُونَ أصابِعهم في آذَانِهم من الصواعقِ حذَر الْموت واللّه محيطٌ بِالْكافِرِين{١٩} ﴾ "[1].يقول الزمخشري: فإن قلـت أي التمثلين أبلغ ـ أي التمثيل بحال المستوقد نارا أو بحال الصيب ـ ؟ قلت الثاني: لأنه أدل على فـرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ؛ ولذلك أخر ، وهم يتدرجون في نحو هذا مـن الأهـون إلى الأغلـظ .(الكشاف) ج٧٨/١، جار الله الزمخشري ، ت/ يوسف الحمادي ، مكتبة مصر ..

[2] الفرق بين الإباحة والتخيير : أن أن الإباحة لاتمنع الجمع بين الوصفين ، والتخيير يمنعه ، ومثـال الإباحة :" جالس الحسن أو ابن سيرين " ومثال التخيير :" خذ من مالي درهماً أو ديناراً" انظر شرح ابن عقيل على ألفية أبن مالك ج٢/ ٢١٣.

[3] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، شاهد رقم (٢٩٥) ج٢١٤/٢.

غليظ . وقد ذهب شارح الديوان الدكتور محمد يوسف نجم ، إلى أنّ كلمة أجش راجع لوصف صوت الرعد ، ويرى الباحث أن الأنسب أن تكون وصفاً لصوت الماء (المطر) المنهمر على وجه الأرض (السيل) ، حين عطف عليها وصفاً آخر وهو كلمة (**مبترك**) أي : أسرع في العدو على وجه الأرض. ثم يحاول الشاعر أن يبرز هذا المشـهد الحـي ، بصورة أكثر وضوحاً ، وأكثر مشاهدةً في بيئته ؛ فشبه منظر المطر وهـو يسـيل علـى الأرض ، ويأخذ كل ما أتى عليه مما علق على وجهها ،بالفاحص : وهو الذي يقلّب وجه التراب ، كما تفعل القطاة حين تشق أفحوصتها ، أو باللاعب الداحي الـذي يـدحي بخشبته وجه الأرض فلا تمر على شيء إلا اجتحفته ، فكأنّ هذا المطر يعمل عمل المدحاة ،. فالمشبه هنا، صورة مركبة من عدة عناصر ، وهو مشهد المطر وهو يسيل على وجـه الأرض ، ويسوق أمامه كل ما يعترضه ، والمشبه به شيئان ، المشبه بـه الأول : صـورة الفاحص الذي يقلب وجه التراب ، ويعمل عمل القطاة التي تشق التراب عن أفحوصتها .

والصورة الثانية : صورة الصبي الذي يلعب بالأدحية فيمرر خشبته على وجـه الأرض، فما تمر على شيء إلا اقتلعته .

وتعدد المشبه به ؛ يمكن أن يكون دليلاً على خصوبه الخيال عند الشاعر، وعبقريته ؛ذلك أن بعض المشاهد من الصعب اختزالها في صورة واحدة فقط، وتشبيهها به ؛ إذ لا بد من إعطاء الخيال مساحة أكثر اتساعاً في عملية التصوير ؛ لتأخذ مايقاربها من المعاني المشاهدة المحسوسة ، وتطرح ماعداها ، خاصة إذا كان هذا المشهد محبباً للنفوس ، ويكثر دورانـه عندهم ، ولاتزال النفس هائمة به متعطشة إليه ، وليس أكرم ولا أفضل من المطـر عنـد العربي الذي يسكن الصحراء ، فكأنّ هذا التعدد في المشبه به دليل احتفاء بهذا المشـبه . وليس الغرض منه هو تقريب المعنى في ذهن السامع ، أو نقله من خفي إلى جلي فقـط. يقول ابن الأثير :" إنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب ، وهو مقتل من مقاتـل البلاغة ، وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة إما صورة وإما معنى يعز صوابه ، وتعسر الإجادة فيه ، وقلما أكثر منه أحد إلا عثر كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق ،

وابن وكيع من أدباء مصر ، فإنهما أكثرا من ذلك لاسيما في وصف الرياض والأشـجار والأزهار والثمار ، لا جرم أنهما أتيا بالغث البارد."[١]

ثم يواصل أوس وصفه لهذا المشهد عن طريق التشبيه ، فيقول : لافرق بين من طلب النجاة في مكان مرتفع هرباً من هذا المطر (السيل) ، ومن سار في مستقره ،أووسطه ، فهمـا متشابهان في الأثر ؛ وذلك لغزارة هذا المطر ، وكذلك لافرق بين من توقف واستكن عن الحركة والمشي ، ومن سار يتمشى على الأرض المستوية ، فهما كـذلك متشـابهان في الأثر؛ من جراء هذا المطر الغزير. ولايفهم من سياق هذين التشبيهين ، أنهما داخـلان في إطار التشبيهات الفنية التي تحمل في طياتها صوراً وتراكيب فنيةً ، وأبعادا خيالية ، بقـدر مانقلت لنا عظْم ، ومقدار هذا المطر المنهمر ، الذي يتساوى فيه من حاول الاختباء عنـه أو التوقف عن الحركة ، ومن سار في وسطه دون اختباء أو توقف ، فلايفهم من غـرض هذا التشبيه إبراز معنى غير ظاهر ، أو إبراز أمر معنوي في صورة محسوس مـثلاً ، بقـدر مايفهم منه إظهار التساوي في عموم الأثر الحاصل من هذا المطر . ثم يـأتي أوس مـرةً أخرى ليصف هذا السحاب المحمل بمياه الأمطار ، فيشبه السحاب المثقل بمياه الأمطار ، بالعشار من الإبل ؛ وهي التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها ، وأن هذا الإبل سمـانٌ ، عظام ، غزيرة الشعر ، قد قوي فصيلها واشتد ، وذلك لما بين السحاب المحمل بالمـاء ، وبين العشار العظام ، من الثقل الحاصل جراء ماتحمله في داخلها من خيرات ؛ فمـزون السحاب بشرى خير وبركة ، يسخرها الله على من يشاء من عبادة ليحي بها بلدة ميتـه ،كمايقول المولى جلّ في علاه :﴿ **وهُو الذي أرسلَ الرياحُ بُشراً بين يدي رحمته وأنزلْنا من السماءِ ماءً طَهُوراً * لُنحيي بِه بلْدةً ميتاً ونُسقيهُ مما خلقْنا أنعاماً وأناسي كَثيراً**﴾ [٢] ويقول سبحانه : ﴿ **واللهُ الذي أرسلَ الرياح فَتُثيرُ سحاباً فَسُقْناهُ إلى بلـد ميـت**

---

[١] المثل السائر:ص ١٥٥.

[٢] الفرقان:(٤٩).

فَأحيينا به الأرض بعد موتها كَذَلك النشُورُ﴾ [1].وكذلك الإبل ، مخلوق كريم ، يحمل خيراته في باطن أمعائه ليخرجها من بين فرث ودم لبناً سائغاً شرابه لذة للشاربين،

يقول سبحانه :﴿ **وإن لكُم في الأنعامِ لعبرةً نسقيكُم مما في بُطُونِه من بين فَرث ودمٍ لبناً خالصاً سآئغاً للشاربين** ﴾.[2]، فالسحاب تسقي بلدا ميتاً لتحييه من بعد موتـه ، والإبل تسقي قوما لتغذيهم من بعد جوع وهلاك ، ويسترعي النظر التشابه في قوله تعالى :" **ماءً طهوراً** " وقوله :" **لبناً خالصاً** " ويقول المولى عز وجلّ :{**وإن لكُم في الأنعـام لعبرةً نسقيكُم مما في بُطُونِها ولكُم فيها منافعُ كثيرةٌ ومنها تأكُلُونَ** }"[3]. فـيلاحظ من هذا التشبيه علاقة دقيقة ، ومسلك رفيع يربط مابين طرفيه ، والذي ، إن خفي عن العين وغاب ، فأنه لايغيب عن تداعيات العقل ومحصلاته . فكأن الشاعر تعجل هذا الخير العميم ،الذي يسقون به البلاد ،والعباد ، والبهائم ، وهذه السحب التي تحمل معها بشرى الربيع ، ونبت الكلا ، والعشب ، واخضرار الروض ، وامتلاء القيعان ، وبين ما تصـبوا إليه النفس وتحلم به . فالنفس عطشى ، لهذا السحاب الذي يعني لذلك الرجـل الـذي يسكن الصحاري المقفرة كل شيء ،فهي الحياة بالنسبة له ، فشبه ماتشاهده العـين مـن السحاب الذي يسقي البلاد ، والعباد ، وتحيى به البهائم والأنعام ، بالعشار من الإبل،التي عادة ماتكون أول مستفيد من هذه الأمطار في حياة ذلك البدوي الذي يظـل يرتحـل ، ويجوب الصحارى والفيافي ، باحثاً عن المرتع الخصب الذي يرعي إبله فيه . فوجه الشبه بين المشبه والمشبه به ليس هو مقدار الائتلاف لحاسة البصر في الهيئة الحاصلة بين المشبه والمشبه به ، بقدر ما هو التناسب في العلاقة المسببية، والتي يحدث لها القلب قوة اجتماع مابين هذا السحاب ، والعشار من الإبل على حد مايرى البصر بينهما قوة اختلاف. وهذا الضرب من التشبيهات له أثر في نفوس سامعيه ، وعلقة في القلب قبل الأذن. يقول الإمام عبد القاهر :" ولم أرد بقولي أنّ الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجنـاس ،

---

[1] فاطر: (٩).

[2] النحل : (٦٦).

[3] المؤمنون:(٢١).

أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهةً ليس لها أصل في العقل ، وإنما المعنى أنّ هناك مشابهات خفية يدق المسلك إليها ، فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضـل ".[1] و يقول ـ أيضاً ـ ، مفصلاً القول في أسباب تأثير التشبيه في تأليف المختلف :"واعلـم أنك إن أردت أن تبحث ثانياً حتى تعلم لم وجب ،أن يكون بعض الشبه على الذكر أبدا ، وبعضه كالغائب عنه وبعضه كالبعيد عن الحضرة لا ينال إلا بعد قطع مسـافة إليـه ، وفضل تعطفٍ بالفكر عليه ، فأنّ هاهنا ضربين من العبرة يجب أن تضـبطهما أولاً ، ثم ترجع في أمر التشبيه ، فإنك حينئذ تعلم السبب في سرعة بعضه إلى الفكر ، وإباء بعـض أن يكون له ذلك الإسراع . فإحدى العبرتين : أنا نعلم أن الجملة أبداً أسبق إلى النفـوس من التفصيل ، وأنك ترى الرؤية نفسها لاتصل بالبديهة إلى التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر . ولذلك قالوا:" النظـرة الأولى حمقاء " ، وقالوا :" لم ينعم النظر من لم يحسن التأمل ". وهكذا الحكم في السـمع وغيره من الحواس ، فإنك تتبين من تفاصيل الصوت بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرةً ثانية ، مالم تتنبه بالسماع الأول ، وتدرك من تفصيل طعم المذوق بأن تعيده إلى اللسان مـالم تعرفه في الذوقة الإولى ، وبإدراك التفصيل يقع التفاضل بين رائٍ ورائٍ وسـامعٍ وسـامع وهكذا ".[2]

---

[1] أسرار البلاغة:ص١٥٢.

[2] المصدر السابق :ص ١٦٠.

ثالثاً: تشبيهات أوس في وصف الطلل والديار .

لم يكن ديوان أوس حافلاً بصور الطلل والديار والصحراء كالتي يطالعنا بهـا في وصـف الناقة وما يتفرع عنها من وصف للثور أو حمار الوحش ، أو وصف السلاح ، وكل الذي وصل من شعره بعض صور الطلل و آثار الديار وقد تناولها البحث بالتحليل في الفصـل الأول ، وقد كان فيها الشاعر في مقام صبوة وتذكر لأيام عز فراقها ، ففيهـا ملاقـاة للمحبوبة في تلك الديار ، حين قال [1]:

شـبهتُ آيـات بقـين لـهـا ... في الأولـين زخارفـاً فُشُـبا
تمشـي بهـا رُبـدُ النعـام كمـا ... تمشـي إمـاءٌ سُـريلت جُببـا

وجاء هنا بصورة يصف فيها المكان الذي ينزل فيها المستجيرون بالمعني عند أوس فيبقـون في مأمن عنده ، وهو هنا في مقام مدح ، فكان لابد أن يختلف عن ذلك المسلك الـذي انتهجه ، ويبدو أن اختلاف أشكال الصورة وتغير مسلكها راجع لاختلاف أحوال تلـك الديار وأثارها بحسب اختلاف الحالة الشعورية التي خلفتها تلك الأمـاكن في نفسـه ، حيث يقول مادحاً يصف مكاناً ينزل فيه المستجيرون بساحة الممدوح [2]:

يُحل بأوعـار وسـهلٍ بُيـوتُه ... لمن نابـهُ مـن مُسـتجيرٍ ومُـنعم
محلاً كوعسـاءِ القنافـذ ضـارباً ... بـه كنـفاً كالمُـخدرِ المُتـأجم
يجنـبِ حُبي ليلـتين كأنـما ... يُقَـرطُ نحسـاً أو يُفـيضُ بأسـهُم
يُجلـجِلها طورين ثُـم يُفيـضُها ... كما أرسـلت مخشـوبةً لـم تُقَـوم

---

[1] ديوانه : ص١ .

[2] الديوان١١٨ ـ ١١٩. وبهامشه: (نابه : قصده . منعم : هو الذي يأتي القوم على قدميه حافياً .وعساء القنافذ : الرمل السهل اللين الذي تشقق القنافذ تحته بويتها . الكنف : الجانب والناحيـة . المخدر : الأسد في بيته . المتأجم : الذي يسكن الأجمة .حبي: موضع بالعالية. يفرط : يقدم .جلجلها : حركها ثمّ أرسلها).

فيحاول أوس رسم صورة مثالية في الشجاعة والإباء والمنعة ، ، فشبه ذلك المكان الـذي ينزل فيه المستجير به ، بالمكان السهل ، اللّين الرمل ،الذي يسهل على القنافذ الشق فيه ، واتخاذها من جوفه بيوتاً ؛وذلك دلالة على سهولة المكان الذي تنزلون فيـهً . ثمّ ذهـب ليرسم صورة أخرى داخل الصورة الأولى ، حين شبه البيت المتخذ لقاصديه المستجيرين ، بالمخدر الذي يتخذ سكناً للأسد . ولعلّ الشاعر أراد أن يرمز بانتقائه المخدر ـ وهـو بيت الأسد ـ محلاً لمن يقصده ، دلالة على إنزالهم منزلاً كريماً لا يضامون ولا يحتقرون أو يحقرون فيه ،وتستعاد فيه هيبتهم ووقارهم ،كما يهاب الأسد في عرينه.ثمّ أخذ الشاعر يفصل لنا صفة المكان على وجه التحديد ، والدقة البالغة . فهذا المكان بموضـع بالعاليـة قريب من موضع يسمى "**حبيّ** " ،وراح الشاعر يظهر لنا مدة بقاء المستجير والمنعم في هذا المكان ريث مايعد للأمر عدته،ويوأهب للأمر إهابه ، ويسترد لهم حقهـم المسـلوب ، وكرامتهم المثلومة ،فأجلاها في صورتين متشابهتين معنويتين معلومة في الأذهان ، فشـبه قدر الليلتين التي يقضيها هذا المستجير عنده ، بقدر ما يقيم فيها المتطير الـذي ينتظـر ذهاب نحسه عن طريق التطير ، أو بقدر مأيستهم فيها المتنصب بالقداح .ثمّ بعد ذلـك سرعان ماذهب يجلل الخيل ويحركها ، ليرسلها في عجلة دون تريث أو انتظار ، ولم يجعل لها علامة تعرف بها وفي حالة ، تشبه حالة القداح المخشوبة التيُ نحتت النحتة الأولى ، ولم تقوم ولم تلين بعد . ولعل هذه المفارقة من دقيق صنعة الشاعر في هذا التشـبيه ، حيـث أضفى لطيفة من لطائفه البديعة في تشبيهه ، حين صور المسافة المكانية ، لـذلك المكـان الذي يقصده المستجيرون ، عن طريق المسافة الزمانية ، فذلك المكان يقع" **بجنب حبيّ**"على بعد ليلتين منه ، وذلك بالقياس المكاني لبعد المسافة ، أما بالقياس الزماني فهـو بقـدر مايستهم المسافر ليزول عنه النحس ـ وذلك على عاداتهم الجاهلية - .

رابعاً: تشبيهات أوس في وصف الناقة وتفريعاتها :

لقد اهتم الإنسان العربي بالناقة اهتماما كبيراً ، وعنى الشعراء الجـاهليون بـذكرها وذكر أوصافها عناية لم تلقها بقية الأنعام وسائر الحيونات سوى الخيل في ذكر الحروب ، والمعارك ؛ وذلك لمكانة الناقة وكريم عطايها وفضلها ، ولما كان عليها من اعتماد- بعد الله - في شتى شؤون حياتهم ، وما توفره لهم من سبل الراحة في الحل والترحال. ولقـد لقيت الناقة من الشعراء على وجه الخصوص عناية خاصة فشغلت حيزاً واسعاً في أشعارهم فجاءت تشبيهاتها ، وأوصافها في أشعارهم بأشكال متعددة ، والبحث يحاول في الجـزء إيراد الأوصاف التي وردت في تشبيهات أوس للناقة وما تفرعت عن تلـك التشـبيهات والأوصاف حيث يقول أوس في قصيدة يصف فيها ناقته[1] :

تُلقي الجرانَ وتقـلولي إذا بركـت ... كما تيسر للنـفر المَهـا النـورُ

كأن هرّاً جنيباً تحـت عُرضـتها ... واصطك ديـك يرجليهـا وخنزيـرُ

كأنها ذو وُشـومٍ بيـن مأفقـَة ... والقُطقُطانـة والبُرعـوم مذعـورُ

يسعى بِغُضف كأمثالِ الحَصى زمعـاً ... كأن أحناكهـا السُـفلى مآشـيرُ

حتـّى أشب لهُـن الورُ من كَنَـبٍ ... فَأرسـلوهُن لم يـدروا بمـا ثـيروا

ولّى مُجِـدّاً وأزمعن اللـَحاق بِـه ... كأنهـُن بجنبـَيه الزنـابـيرُ

حتـّى إذا فُـلت نالتهُ أوائـلُها ... ولـو يـشاءُ لنجـتهُ المَثـابيرُ

---

[1] ديوانه :ص ٤٢-٤٣ وبهامشه:(الجران : مقدمة العنق من المذبح إلى النحر. وتقلولي : تقلـق في موضعها وتتجافى عنه وتريغ النفور . النفر : النفار . النور : جمع نوار وهي النافرة .) ذو وشـوم : صفة للثور الوحشي . مأفقة والقطقطانة والبرعوم : أسماء مواضع . مذعور : صفة للثور. الركـز : الصوت الخافت . انصاع : انفتل راجعا . منثورا : عائدا مواليا . مقصور : قصير. الغضف : جمـع أغضف وهو الكلب الذي استرخت أذناه وأقبل تا على القفا. الزمع : الذي يسير ببطء وتؤده يخالس الفريسة . مآشير : مناشير . المثابير : يعن المثابرة . لم يفشل : لم يفتر . يهارشها: يناوشها. الـذليق : الحاد . الموتور : الذي له عندها وتر ، أي ثأر. المرزبان : وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك)

كَر علـيها ولم يفشـَل يُهارشُـها كـ ـأنهُ يتواليـ ـهن مسـ ـ ـرورُ
فَشـكها بِذَليـقٍ حـدهُ سـلب كأنهُ حيـ ـن يعلوهُـ ـن موتـ ـورُ
ثُم استمـرَ يُبـاري ظلهُ جـ ـذلاً كأنهُ مـرزُبانٌ فـ ـاز محبـ ـورُ

فيذكر أوس ناقته على وجه التأني ، والدقة والتفصيل ،وراح يستطرد في وصـفها عـن طريق الحكاية التي بنى معظمها على التشبيهات ، وجاءت هذه الأبيات بعد أن بدأها أوس بذكر صاحبته "**دومة**" ، وتعجل متاعه من النظر إلى بيتها التي هجرته وبانت عنـه ، وأن عبرته لم تنقض بعد إثر فراق الأحبة يوم الـبين .ثم بـدأ الشـاعر في وصـف ناقتـه الناجية[1]الوجناء [2]،فهي إذا بركت تلقي بمقدمة عنقها إلى الأمام ، وتقلق في موضـعها وتتجافى عنه وتزيغ للنفور ، يشبه حالها بحال المها حينما تتيسر للنفور ، وذلـك بجـامع الانطلاق والسرعة .ثمّ يصور أوس حال ناقته عند افترارها ، واستثارتها ، وتنبهها، وعدم هدوئها بحال الناقة التي يستثيرها هر ، وديك ، وخنزير فهي لا تهدأ ولا تفتـر ، وذلـك إظهاراً لقوة عزمها في السير أثناء السفر، وعدم راحتها وهدوئها . ولعلّ الشاعر قد رسم في هذه الصورة ، مشهداً يصف فيه المعنى عن طريق الحيوانات التي رسم أدوارهـا في عملية التهيج والاستثارة ، فجميع الحيوانات التي ذكرت هي حيوانات داجنة ، بينها وبين الإنسان ألفة ، ولعلّ هذه الألفة هي التي أعطت هذا الظرف إذ لو كانت مفترسة لاختلف المعنى ، وزال هذا الظرف .

.ولقد عاب النقاد هذا التشبيه [3]، وعدوه من التشبيهات البعيدة الرديئة حيث قال عنـه ابن طباطبا:[4]"من التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها فيها ، ولم يخرج كلامهم في

---

[1] الديوان: ص٤٠،وبهامشه: الناقة السريعة تنجو براكبها.

[2] تامة الخلق ، عظيمة لحم الوجه ، صلبة شديدة، (اللسان ٤٤٣/١٣)

[3] انظر الموشح ،للمرزباني ،: ص٧٨، ت/ محب الـدين الخطيـب ، السـلفية ،الطبعـة الثانيـة ،١٣٨٥هـ والصناعتين : ص٢٦٤، لأبي هلال العسكري ، ت/ علي محمد البجاوي ومحمـد أبـو الفضل إبراهيم ،مطبعة عيسى الحلبي ،١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

[4] عيار الشعر :ص١٤٩، ابن طباطبا العلوي ، ت/ عبد العزيز ناصر المانع ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

العبارة عنها سهلاً " . ويظهر للباحث غير هذا الرأي ، فقد ساعدت تلك الصورة على إبراز المعنى وتقريبه ، لاسيما أن هذا المعنى يعد من التقاليد الجاهلية، فتراه في قول المثقـب العبدي مثلاً[1]:

كأن جنيبـاً عنـد معقـد عَرزهـا تُـراوِدُهُ عـن نفسِـه وُيريـدُها

ثمّ يشبه أوس ناقته بثور وحشي له وشوم ، وأن هذا الثور مذعور ، والجامع بين الناقـة والثور الوحشي المذعور هو التحرص ، والتنبه ، وعدم الغفلة . ويلاحـظ أن الشـاعر لم يصرح بلفظ المشبه به ، وإنما عمد إلى الكنايه عنه بصفة من صفاته ، ولعـلّ في ذكـر صفة هذا الثور الوحشي بأنه ذو وشوم مزيد فائدة ، قد يغفل عنها صاحب النظرة العجلى ؛ فالوشوم تعني أن جسم هذا الثور بارز يسهل ملاحظته ، و يصعب عليه التخفي ، وهذا ما جعله ، يبالغ في الحذر و الحرص حتى أصبح مذعورا. ثم يستكمل أوس وصف الثـور الوحشي ذي الوشوم ، الذي شبه الناقة به ، وأن هذا الثور شعر بترصد القناص له، فانفتل راجعا مولياً ، يقصر في خطوه خوفا من أن يسمعه هذا القناص . ثمّ يرسم صورة هـذه الكلاب التي تريد أن تنقض على هذا الثور الوحشي ، ويشبهها في اسـتجماع القـوة والصلابة بالحصى . وأن هذه الكلاب تخالس فريستها في بطءٍ وتوأده لتنقض عليهـا ، ويشبه أحناكها السلفى في بروزها وحدتها بالمناشير .ثمّ قال : (ولّى مجدا)، يقصد أن هذا الثور ولى هارباً بنشاط وقوة ، وهذا الكلاب قد بدأت في ملاحقته من كـل جانـب ، تشبه ملاحقتها له ملاحقة الزنابير ، وتشبيه الكلاب بالزنابير يدل على أن هذا الكـلاب كثيرة العدد ، محيطة بالثور من كل جانب ، وأنها قد بالغت في هياجه واستثارته للحـد الذي ولّد فيه نشوة انفجار الغضب ؛ ـ لأن المعروف عن الزنابير أنها تولّد الهياج بسبب اللسع ـ . ثم لحقت أوئل هذه الكلاب بهذا الثور ، حتى ظن الرأي أنها سوف تجهز عليه ، فلو أنه اجتهد وثابر في الهرب لاستطاع النفاذ منها ،ثم كانت المفاجأة فهذا الثور أخـذ يناوش هذه الكلاب ، ويكر عليها ، غير آبه بكثرتها، يشبه حاله حال المسرور بتوالي هذه الكلاب من حولـه ، وكأنـه يريـد منـها هـذا التجمـع ، والتجمهـر حولـه .

---

[1] ديوان المثقب العبدي : ص٤٥، ت/ د. حسن حمد ، ط ١، دار صادر ، ١٩٩٦م. وبهامشه : (الجنيب : دابة تقاد إلى جنب وأراد بها هراً أو كلباً) .

فأخذ هذا الثور يتوجه بقرنه الحاد ، وسلاحه الأمضى ، الذي لا يملك سواه ، إلى هـذا الكلاب التي لحقت به ، ليشكها به ، و من هول ضربته التي شك بها هـذه الكـلاب ، وقوتها ،يشبه حاله حال من له ثأر عندها من قبل ، فكانت ضربته لها قاتلة ، قاضية .

فأخذ الشاعر يصور شعور هذا الثور بعد أن قضى على خصومه ، فأخذ يصارع ظلـه ، اعتدادا بنفسه ، وزهوا بها ؛ لما كبده في هذه الكلاب من فدائح ، وخسائر . ويشبه حاله بحال القائد الشجاع الذي انتصر في معركته فهو مزهو بنفسه ، يملؤه الانتشاء واللذة بطعم النصر ، .ثم يختم أوس القصيدة بتشبيه نظرة الاستكبار ، والاحتقار من أعدائـه مـن القوم الذين هجاهم ، بمن أعينهم مصابة بالعور ، حيث يقول [1]:

إذ يشزرونَ إلي الطرف عن عُـرُضٍ كأن أعيُـنهُم مـن بُغضـهم عـورُ

والعور داء يصيب العين فيختلط بياضها مع سوادها ، ويظهر أن وجه الشبه هنا ليس هو الأمر الحسي وحده ، أي التقوس في الحاجبين أو اختلاط بياض العين مع سوادها ؛ بـل يضاف عليها ماتجده النفس من رعب في تلك النظرات الحانقة ، التي يتطاير منها الشـر فتفزع النفس منها ، كما تفزع من رؤية العين العوراء .

وتشبيه الشاعر لناقته بكل هذه الأوصاف التي أخذ الشاعر يرسم ملامحها ، ويحكم الصنعة فيها ، عن طريق الحكاية، والتي اعتمد بنائها ، وإحكام صورها، على لون واحـد مـن ألوان البيان وهو" التشبيه "، دليل و إثبات بأنّ التشبيه من أوسع علوم البيـان طرقـاً في رسم مفردات الخيال ، يمكن له أن يستوعب كل الفضاءات الرحبة لمسالك الخيال عند ذلك العربي القابع في مهامه الصحراء الشاسعة ، والذي يتسع خياله باتساع أفقه الـذي لايحد ." وإنما يستطرد الشعراء إلى الوصف بالتشبيه الطويل لأن الوصف مـن أغـراض الشعر أمر مقصود لذاته ، يراد به الإمتاع ، ويراد به إظهار القوة على سـحر البيـان ،

---

[1] ديوانه : ص٤٤، وبهامشه :(الشزر : الذي ينظر نظر المنكر ، والذي ينم عن عداوة . العرض : جانب العنق).

وذلك مما تسمو به منزلة صاحبه ، لأن القوة على سحر البيان تنبيء عن سر من أسـرار الروح كمين في صاحبها يرتفع به فوق المألوف من سائر ما عليه منازل الناس "[1] .

وهذا الأسلوب من تشبيهات الناقة ، التي استطرد الشاعر فيها حكاية الصـائد الـذي أرسل كلابه لإدراك ثور الوحش والانقضاض عليه ،فولى هذا الثور هاربا وهو يستجمع كل قواه منتظرا اللحظة الحاسمة من هذه الكلاب التي تجد في طلبه ، لترديه صريعا، فيسل عن قرنه الحاد ، وسلاحه القاتل ، ليصوبه بكل قوة ، وجسارة نحو هذا الكلاب الثائرة ، ليرديها صريعة، فيقف في تبخترٍ وحبورٍ ، مزهواً بصنيعه الذي قام به . كل هذا مشابه لحد كبير لوصف ناقته في قصيدته التي مطلعها [2]:

حلـت تماضـر بعـدنا ربـا فـالغمر فـالمرين فالشـعبا.

فالشاعر قد بدأ القصيدتين بذكر محبوبته ، التي رحلت عن الحي والنفس لازالت لم تشف من حاجاتها ، ثم يبدأ الشاعر يستطرد في وصف ناقته ، ثم يختم القصيدة بالهجاء اللاذع . وتشابه الغرض في القصيدتين ، مع وجود فروق لاتخرجها عن حد الاتفاق في رمزيـة الصورة، مع تشابه إلى حد كبير في الحكاية التي ساقها الشاعر في وصف ناقته، ، كل هذا يدعو إلى تعضيد ما ارتآه البحث في تحليل القصيد السابقة [3]. وأن ثمة علاقة وثيقة بـين التشبيهات التي يسوقها الشاعر لناقته ، والغرض الذي يبني الشاعر من أجله القصيدة . مما يجعل الباحث لا يوافق على القول بأنّ تشابه الصور دليل على ضعف الخيال عند الشعراء الجاهليين ، من دون المحاولة لايجاد علاقة تربط مابين تلك الصور، والغـرض ، والايحـاء النفسي التي تبثه تلك الصورة .

حيث يرى الدكتور يحي الجبوري أن بعض الصور ، والمعاني المتشابهه في الشعر الجـاهلي دليل على ضعف الخيال عند الشعراء الجاهليين، فيقول في معرض حديثه عن تقارب ، أو تطابق بعض التشبيهات في مطالع القصيدة ؛ حين يشبه الشاعر الطلل وآثاره بخط الزبور ،

---

[1] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ج٤/٤٥٧.د. عبد الله طيب المجذوب ،مكتبة ومطبعـة مصطفى الحلبي ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٩١م.

[2] ديوانه:ص ١.

[3] ينظر في الفصل الأول من البحث (الصنعة في تشبيهات الناقة وتفريعاتها)في تحليل القصيدة .

أو الكتاب المنمم . :"ولاشك في أن هذا الأثر البدوي الواضح ، الذي ترك وسمه على شعر الشعراء له جرائره على الشعر الجاهلي ، ذلك أنه حدد أفق الشعراء في إطار البيئة الذي لايتجدد، فضعف خيالهم وتشابهت صورهم ، وظهر من جراء ذلك : التكرار في الصور والمعاني و سواء في ذلك المعاني المتكررة عند الشعراء ، أم عند الشاعر الواحد "[1] وهنا صورة أخرى يقف فيها أوس واصفاً ناقته في خاتمة قصيدته بعد أن وصف البرق والسحاب والمطر ،ويشبهها بالصخرة حيث يقول [2]:

عيرانةٌ كأتان الضحل صلبها جرمُ السوادي رضّوهُ بمرضاح

يشبه أوس ناقته ،بالصخرة التي تكون على فم البئر ، فيظهر بعضها ويضمر بعضها الآخر ، وذلك لما بينهما الضخامة والملاسة ، وذلك تزييناً للناقة وإظهار لقوتها وصلابتها .

---

[1] الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه. ص١٩٠.*يرى الباحث أن هذا القول فيه تجاوز على الشعر القديم ، ولم يبن على أساس مثل النظر المستقصي . وقد أثار بعض الباحثين شبهات حول تكوين الصورة في تراث القدماء من الدكتور عز الدين إسماعيل ، والذي حملهم على ذلك التسرع في استنتاج العلاقة والروابط دون الروية ومعاودة النظر وفضل التأمل في طبيعة تكوين أجزاء الصورة ، وقد رد هذه التهمة بعض الباحثين بمايقنع ويمتع . انظر (دراسة في البلاغة والشعر ، ص١٠٠-١١٦،الدكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط١، ١٤١١هـ).

[2] ديوانه :ص ١٨ . وبهامشه :(عيرانة : الناقة الصلبة القوية ، أتان الضحل : ضخرة تكون على فم الركي فيركبها الطحلب ، حتى تملاس فتكون أشد ملاسة من غيرها ، وقيل هي الصخرة بعضها غامر وبعضها ظاهر . الجرم : النوى ، السوادي نخل سواد العراق ، المرضاح : الحجر الذي يرضح به النوى ، أي يدق .

وقال في تشبيه آخر يصف ناقةً له وقد بدا هزالها[1] :

أضرت بها الحاجاتُ حتّى كأنها ... أكبّ عليها جازرٌ مُتعرقُ
تضمنها وهمٌ ركوبٌ كأنهُ ... إذا ضم جنبيه المَخارمُ رزدقُ
على جازعٍ جوز الفَلاة كأنهُ ... إذا ما علا نشزاً من الأرض مُهرقُ
يُوازي من القَعقاع موراً كأنهُ ... إذا ما انتحى للقصد سيح مُشقّقُ
يدُف فُويق الأرض فوتاً كأنهُ ... بإعجاله الطرفُ الحَديدُ مُعلقُ
كأن جهازاً ما تميلُ عليهما ... مُقاربةٌ أخصامُهُ فَهو مُشنقُ
إذا اجتهدا شدّاً حسِبت عليهما ... عريشاً علتهُ النارُ فَهو يُحرقُ

فيصف أوس ناقته وهي منهكة، مهزولة قد أعياها الجهد ، والسير المتواصل في قضاء حوائجه عليها ،حتى قد بدا هزالها ، وقد شبهها بناقة أتى عليها جازر (وهو ما يعرف بالقصاب)وأخذ ما على عظامها من اللحم . وذلك لمابينهما من ضمور والنحول، . وقد صور الشاعر هذا التشبيه عن طريق الكناية عن صفة ، فلم يصرح الشاعر بلفظ المشبه به، كأن يقول :تشبه ناقة لها عظام بلا لحم، بل نقل صورة المشبه به بطريقة أبلغ ، وذلك حين كني عن هزال الناقة بأن أكب عليها جازر ، ولم يكتف عند هذا الحد ، بل أوغل الشاعر

---

[1] الديوان:ص ٧٧-٧٨وبهامشه : (متعرق : يقال عرقت العظم، أي أخذت ماعليه من اللحم . وهم : أي طريق واضح . الركوب : الذي قد ذلله الوطء مرة بعد مرة. المخارم : جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل . الرزدق : السطر من النخل ، والصف من الناس ، وهو معرب أصله فارسي . جازع الموضع : قطعه عرضا . جوز الفلاة : وسطها ومعظمها . المهرق : في الأصل هي الصحيفة ، وهي هنا بمعنى الصخر المستوي الأملس على المجاز . القعقاع: طريق معروف من اليمامة إلى مكة . المور: الطريق . السيح : الماء الظاهر الجاري على وجه العريش : ظلة من ثمام أو غيره . الأرض الفوت : السبق . الجهاز : المتاع . أخصامه : نواحيه . مشنق : مرفوع عليهما).

في المعنى حين وصف هذا الجازر بالمعرق [1]، وهو الذي يصل إلى عظم الناقـة ويأخـذ ماعليه من اللحم، و لفظة (أكب) تفيد معنى الانكباب في تصوير هيئة هذا الجازر علـى الناقة بلا هوادة أو تلطّف .

ثم ذهب ليصف صورة استقامة سير هذه الناقة إذا لزمت الطريق الواضح الذي قد تذلل من كثرة الوطء عليه ، ويشبه حالها وهي تسير في الطريق الوعر ، الملتوي ، ومنعرجـات الجبال ، بحالها وهي تسير في الطريق السهل ، المستقم ، الواضح ،الذي لاا عوجاج فيـه ولا انحناء . والغرض من هذا التشبيه ، هو إظهار استقامة واعتدال سير هـذه الناقـة ، واعتيادها على السير في الأماكن الوعرة . وقد صور الشاعر المشهد عبر تشبيه مركـب حسي ، ومن خصائص التصوير الحسي أنه يجعل المشهد ماثلاً أمام الحواس فيقع الأنس به. ثم نقل لناصورة هذه الناقة وهي تقطع الوادي من إحدى جانبيـه إلى جانبـه الآخـر ، وتخطيها قطع الأراضي النشاز ، وهي في سلاسة ويسر وسهوله، ويشبه حالها وهي تسـير في تلك الأماكن الصعبة ، بالسير على صحيفة أو قطع صخر أملس . وذلك بياناً لقـدرة هذه الناقة على مواصلة السير في جمع الظروف ، والمحافظة على رساوتها ، والقدرة علـى حفظ اتزانها .

فهذه الناقة تمشي بخط موازٍ لطريق القعقاع المؤدي إلى مكة من ناحية اليمامة ، وقد صور الشاعر سرعة سير هذه الناقة، وسلاسة خطوها، حيث شبهها بسرعة جريان الماء علـى ظهر الأرض ، تأكيداً على سرعة سيرها، وسلاسته ، فهي كالماء المتدفق الجاري ، لايشعر راكبها بوعثاء السفر وهو ويجوب فيافيها ، وقفارها . وهذه الصورة الدالة على انسـيابية هذه الناقة في سيرها لا تكون إلا إذا انتحت هذه الناقة للقصد ،.ومن الملاحظ في شـعر أوس كثرة استخدام القيود في تشبيهاته ، فترى المشبه لايشبه المشبه به إلا إذا تحقق القيد الذي اشترطه.

---

(١) الإيغال: وغل في الشيء وغولاً دخل فيه وتوارى ، ووغل: ذهب وأبعد وكذلك أوغل في البلاد ونحوها ، وتوغل في الأرض ذهب فأبعد فيها . والإيغال أحد أقسام الإطناب وهو : " ختم الكـلام نثراً كان أو نظما بمايفيد نكتة يتم المعنى بدونها " . أنظر معجم المصطلحات البلاغية : ص٢١٦.

فيلاحظ ـ مثلاً ـ التشبيهات الثلاث السابقة **(إذا ضم جنبيه المخارم رزدق)، (كأنه إذا ماعلا نشزاً من الأرض مهرق)،(إذا ما انتحى للقصد سيح مشقق)** وهذا الأسلوب المتكرر في تشبيهاته يعد سمة من سمات التشبيه عنده ؛ فهو يدل على مراعاتـه الدقـة في الوصف . ثم يصور سرعة ناقته في السبق وهي متعجلة ،ويشبهها بسرعة طرف لحظ العين . أو تسبق لحظ العين . وقد أورد شارح الديوان الدكتور محمد يوسف نجم شرحا للبيت من كتاب المعاني الكبير يقول :" كأنه من سرعته معلق بين السماء والأرض " ، وعلـى كلٍ فالتشبيه يحمل غرض المبالغة في إظهار سرعة هذه الناقة ، ثم يستمر في رسم صـورة تعبر عن سرعة ناقته ، فبعد أن اعترضها نعام أزعر قليل الريش فانتـهرها فسـبقته ، وإذا تعبت لحق بها هذا النعام .وهو في هذا البيت يستكمل المعنى السابق ، ويشبه حال النعام في عدم سرعته ومجاراته مع ناقته، بحال نعام حملت متاعاً على جناحيها ، وهذه الناقة مرفوعة فوق جناحيها ، والتشبيه هنا عبارة عن صورة مركبة من النعام ، والمتاع المحمـل علـى جناحيها ، و الناقة تعتلي جناحي هذا النعام ،فإذا اجتهدت النعامتان اللتان تحملان المتاع على جناحيهما في السير ، والناقة تعتلى عليهما ، حسبت عليهما عريشـاً : أي يشـبه العريش ، وليس هذا فحسب ، بل عريش قد أحترق وتصاعد النار واللهب من فوقه . وقد أوغل الشارع في المعنى ولم يكتف بتشبيهها "ب**العريش** " ، وذلك على سبيل المبالغة في إظهار المعنى . وهو يذكر بقول الخنساء في إخيها صخر :

وإنّ صـخراً لتـأتمُّ الهـداة بـه كأنـه علـم في رأسـه نـارُ

وهذه الصنعة من سمات أوس في تشبيهاته ، فهو لا يكتفي بنقل الحد الأدنى من الصورة ، حتى وإن أمكن له في ذلك نقل المعنى ، بل لابد له وأن يفصل الصـورة ويجزأهـا إلى أجزاء صغيرة ،ثم يركبها قطعةً قطعة بشكلٍ فني دقيق ، ولعلّ هذه الظاهر في بعض الشعراء الجاهليين هي التي جعلت الدكتور شوقي ضيف يحكم بالخطأ ـ وهو محق ـ لمن ظن أن الحياة الأدبية في العصر الجاهلي كانت ساذجة بسيطة ، يقول وهو يتحدث عـن الحيـاة الأدبية في العصر الجاهلي :" كانت معقدة ملتوية شديدة الالتواء ، لم تكن على هذا النحو من اليسر والسهولة الذي يجعل الشعراء يصدر عنهم شعرهم صدور الفطرة السليمة ، كما

يصدر الضوء عن الشمس والشذى عن الزهرة ، بل كانوا يتكلفون في شعرهم فنوناً من التكلف ، إذ كانوا عمالاً صناعا يعملون شعرهم عملاً ، ويصنعونه صناعةً ويتعبون فيه أنفسهم تعباً شديداً "[1].

والذي حمل شاعرنا على الإجادة والإحسان ،والمبالغة في إصابة المعنى ، هي تلك الحياة الأدبية التي كانت تشجعهم على ذلك التفوق والإجادة ، والذوق العام السائد الذي يدعو الشعراء إلى التجويد والتحبير ، يقول الجاحظ :" وهم يمدحون الحذْق والرفق والتخلص إلى حبات القلوب وإلى إصابة عيون المعاني ويقولون : أصاب الهدف ؛ إذا أصاب الحق في الجملة ، ويقولون قرطس فلان وأصاب القرطاس ، إذا كان أجود إصابةمن الأول ، فإذا قالوا رمى فأصاب الغرة وأصاب عين القرطاس ، فهو الذي ليس فوقه أحد ، ومن ذلك قولهم : فلان يفل الحز ويصيب المفصل ويضع الهناء مواضع النقب"[2]

وذكر أوس الناقة ووصف قوتها ، ووصف مظاهر تلك القوة وشدة التحمل حيث قال [3] :

شرقيّة ممّا تُوارِدُ منهلاً ... بقَرينة أو عَير ذات قَرين

تأوي إلى ذي جُدتين كأنهُ ... كَر شديدُ العصبِ عَيرُ منين

---

[1] الفن ومذاهبه في الشعر العربي :ص ٢٢.

[2] البيان والتبيين ج١٤٧/١. وقولهم : فلان يفل الحز ويصيب المفصل أخذوه من صفة الجزار الحاذق فجعلوه مثلاً للمصيب الموجز ، والهناء : القطران ، كانوا يضعونه على النقب : جمع نقبه وهو أول مايبدومن الجرب في الإبل .

[3] ديوانه :ص١٢٩. وبهامشه : (الشرفية : الشرف ماء لبني كلاب ، ويقصد الشاعر نسبة الناقة إلى إبل أعدائهم . الجدة : الخطة السوداء في متن الحمار الوحشي . الكر : الحبل المتين . منين : واه ، ضعيف)

فيصف أوس هذه الناقة الشرفية : وهي نسبة لماء لبني كلاب ، ويريد أنها من إبل أعدائهم التي يغلبونهم عليها ، فيبين لنا قوة هذه الناقة ، فأخذ يشبه الحبل المشدود على متنها ،و التي تخرج به رشاء الدلو من البئر ، بالخط الأسود الموجود على متن حمار الوحش ، وذلك ليدل على شدة هذه الناقة وصلابتها ، وتحملها المشاق ، والأثقال .

خامساً: تشبيهات أوس التي جاءت في وصف الإنسان:

أ- (الرجل) :

لقد كان أوس شاعراً يغلب عليه الفخر والحماسة ، وكان يلحظ في شعرة ميلاً لإثارة المفاخر والنزاعات ، أليس هو القائل[1] :

وإّني امرُؤ أعددتُ للحربِ بعدما رأيتُ لها ناباً من الشر أعصلا

ويرجع بعض الباحثين تلك الطبيعة لنزعتة البدوية الصرفة التي سيطرت عليه[2]، فكان هو اللسان الذائد عن قبيلته تميم آن ذاك ، فلم يكن كزهير شاعر سلم ووئام ،لذا جاءت معظم تشبيهات الرجل عنده ، في سياق الهجاء والذم والتهكم ، ولم تخرج عن ذلك إلا في رثاء فضالة بن كلدة التي مرت بنا في الفصل الأول ،على العكس من زهير الذي شكل المدح جزءا كبيراً في شعره حتى أصبح المديح ظاهرة عامة عنده .

وهذه أبيات لأوس من قصيدة يهجو فيها قوم بني لبينة ، ويشبههم باليد التي ليست لها عضد فيقول[3].:

أبـ ـني لُبيـ ـنى لستـ ـُتمُ بيـ ـَد إلّا يـدا ليستـ لهـا عضـ ـُدُ
تُنفَونَ عـن طُـرُقِ الكـرامِ كمـا تنفي المَطـارقُ مـا يلـي القَـردُ

والمعنى ، لستم إلا كيد ، فشبه قوم بني لبينى ،باليد التي ليست لها عضد ، وحـذف الأداة ووجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ ، وذلك لمابينهما من الضـعف وعـدم القـوة ، ويبدو أن الشاعر يريد من هذه الصورة أن ينفذ في هجاء القـوم ،ويظهـر ضـعفهم وعجزهم .ثم يواصل أوس هجاءه لبني لبينى فيصور حال القوم وهم ينفَون عـن طـرق الكرام ،ويبعدون عن جملة أهل المكارم ، بحال من يندف القطن ، أو الصوف بالمطارق

---

(1) الديوان : ص٨٢.

(2) انظر : أوس بن حجر ومعجمه اللغوي :ص١٧.

(3) انظر شرح الديوان :ص٢٢. وبهامشه : (المطارق : جمع مطرقة ، وهي عصا النجاد التي يضرب بها الصوف ، والقطن . والقرد: ماتمعط من الوبر والصوف ، وتلبد).

بعد ماتلبدت ،وتمعطت ؛ والجامع بينهما إخراج شيء ضار عالق في شيء نافع ،على وجه الشدة والعسر. ومراد الشاعر هجاء القوم وتقبيح شأنهم .وقد وفق الشاعر ـ في تصـور الباحث ـ في إظهار المعني المقصود عن طريق اختياره الكلمات ذات الدلالة في تشكيل المعنى بصورة جلية ، فكلمة "**تنفون** " في هذا المقام أبلغ من أي كلمة سواها فهي تعني : تعرية الشيء من الشيء وإبعاده منه [1]. كما تذكرنا بحديث الرسول صـلى الله عليـه وسلم :[2]" **أن المدينه تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد** " ،ثم إن كلمة" **مطارق** "، فيها لفظ الطرق وتعني : الضرب ، وهي أكثر مناسبة لغرض الهجاء من غيرهـا مـن الكلمات. والمشبه هنا أمر معنوي ويقصد به ذمهم ووصفهم بالبخل ، وقذفهم بعيداً عن أهل الكرم . والمشبه به صوره حسية مكونة من المطارق وهي تضرب الصوف والقطن لتنقيته من الشوائب العالقة به ، وهو تشبيه معقول بمحسوس .

وقال أوس متهكماً يصف قتلى الحرب وهو ملقون على أرض المعركة ، ويشبههم بجذوع النخل [3]:

وقَتلـى كمثـلِ جُـذوعِ النخيـلِ تغشّـاهُمُ مُسـبِلٌ مُنهـمِر
وفي صـدره مثـلُ جيـبِ القَنـا ة تشهقُ حينـاً وحينـاً تهـرّ[4]
لُنـا صرخـةٌ ثُـم إسكـاتةٌ كمـا طُرقَـت بِنفـاسٍ بِكـر

فهو يصف قتلى الحرب ، ويرسم لهم صورة تمثل حالهم الذي هم فيه فالمشبه هو حـال القتلى وهم ملقون في أرض المعركة ، وقد نزف منهم الدم حتى أحاط بهم ، وغشـيهم ، والمشبه به حال جذوع النخيل الملقاة على الأرض وقد تغشاها مطر منهمر ، ، والجـامع

---

[1] معجم مقاييس اللغة مادة (نفى)ص ١٠٠١.

[2] روى الحديث أبو هريرة ، قال صلى الله عليه وسلم :" أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهي المدينة ، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد " ورد في باب فضائل المدينة ، حديث رقـم (٤٤٣)صحيح البخاري ج٣/٥٠ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٥، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

[3] ديوانه : ص٣٠. وبهامشه : (الجيب : هو فتحة القميص ، أو الدرع عند الصدر .)

[4] تهر : صوت دون النباح،(اللسان ج٤٠٣/٥).

بينهما ظهور أجرام ملقاة على الأرض ، قد غشيها الماء حتى غطّاها . فالمشبه والمشبه به صورتان مركبتان من عدة عناصر ؛ جذوع نخيل ملقاة على الأرض وقد تخشـاها مطـر منهمر. وذلك إظهاراً للقوة ،والافتخار بهزيمة عدو عات مهيب ، وتشبيه القتلى بجذوع النخيل وارد في كتاب الله في سياق السخرية و التنكيل، في قصة هلاك قوم عاد بـالريح الصرصر ، قال الله تعالى : ﴿ **وأما عاد فَأهلكُوا بِريحٍ صرصرٍ عاتية * سـخرها علَـيهم سبع لَيالٍ وثَمانِيةَ أيامٍ حُسُوماً فَترى الْقَوم فيها صرعى كَأنهُم أعجازُ نخلٍ خاوية** ﴾[1] .

يحاول أوس في هذا البيت أن يستكمل الصورة التي ابتدأها لمشهد الحرب ، وذكر وصف أحوال القتلى وهيئاتهم .ويشبه اتساع الطعنة في صدر المقاتل ، بجيب الفتاة وهي: الفتحة التي تكون في القميص عند الصدر ، وذلك لمابينهما من عظم حجم الطعنة واتسـاعها ، وهذه الطعنة لها صوت يشبه صوت الشهيق تارةً ، وتارة أخرى تهـر أي :تقبقـب ، أو تحدث صوتا دون صوت النباح .وتشبيه الطعنة في صدر المقاتل بفتحة القميص التي تلبسه المرأة ، فيه معنى السخرية والتهكم بالقتلى ،. وفي جملة (**تشهق حينا وحينا تهر**) تجسـيد للمشهد ، وإظهار عظم الطعنة وعمقها ، ثم إن الفعل المضارع ساعد على تعلق المشـهد في الذهن واستمراره ؛ لما يعطي الفعل المضارع من معنى التجدد ، والاستمرار في المعنى ، ثم ينتقل أوس فيصور مشهد عمليات الكر والفر مفتخراً بقومه ، ويشبه حال هيجانهم ، وعلو أصواتهم في أرض القتال وقت الكر ،ثم سكونهم وقت الفر ، بصراخ المراة عنـد الولادة ، فيعلو صوتها عند التطريق أي عند عسر خروج المولود ، ثم تسكت عندما تسكن حركة المولود ، والجامع بينهما هو ظهور صوت عالٍ وانقطاعـه فجـأة ثم معاودتـه ، والشاعر إنما خص البكر بالتطريق في النفاس ؛لأن ولادة البكر أشد من ولادة الثيب . وهو تشبيه تمثيلي مكون من صورة المشبه ، وصورة المشبه به . ويبدو أن صرخة المـرأة أثنـاء الولادة تلقى آذاناً صاغية ، من جميع من حولها ، فهم يترقبون ماذا سوف تنجب لهـم ، فكذلك صرخة هؤلاء القوم فلابد ،ان تنتج لهم أمرً أو يحققون بتلك الصـرخة هـدفاً مرجواً ، فلابد أن تكون لها ثمرة .وقد أستجاد النقاد هذا التشبيه لمافيه من الجدة والطرافة

---

[1] سورة الحاقة آية رقم :(٧).

، وعللوا بذلك أن أوس " ولم يرد المشتبه في هذا الموضع نفس الصوت ، وإنما أراد حاله في أزمان مقاطع الصرخات ، وإذا نظر في ذلك وجد السبب الذي وفق فيه بين الصوتين واحداً ، وهومجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد في الصرخة "[1]

وقال أوس يصف قوم أم الحصين ويتهكم بهم ، ويشبه حالهم بحال من وضع عليه جلـد النمر [2]:

كأن جُلود النُمـر جيبـت علـيهمُ إذا جعجعوا بين **الإناخـَة والحَبـس**

لقونا فَضـمّوا جانِبينـا بِصـادقٍ من الطَعن حش النار في **الحَطَبِ اليبس**

جاءت هذه الأبيات بعد مقدمة يعاتب فيها أوس أم الحصين حينما جعلت فراره من بـني عبس ، ورهط بني عمرو، خزاية عليه ، ثم أخذ يشبه هؤلاء القوم بالنمور ، فصور أوس القوم في بطشهم ، وقوة بأسهم في صورة قوم لهم جلود تشبه جلود النمر ، وهو تشـبيه يشبه الكناية عن موصوف ، إذ لم يصرح القول بتشبيههم بالنمور ، والمراد كأنهم نمور ، وذلك إظهارا لبأس هؤلاء القوم ،وصعوبة ملاقاتهم عند النزال ، فحال ملاقاتهم كحال من يلاقي قطيعاً من النمور (**جعجعوا** بين **الإناخة والحبس**) جملة ظرفية ؛جاءت تأكيـدا للمعنى الذي قصد إليه الشاعر، وهو أن هذه النمور في غاية الشراهة والافتراس، للدلالـة على أن هؤلاء القوم في غاية السفك ، و البطش.وتشبيه قوة القوم في بأسهم ، بـالنمور

---

[1] انظر نقد الشعر : ص١١٠، لقدامة بن جعفر ، ت/ كمال مصطفى ، الطبعة الثالثـة ، مكتبـة الخانجي .

[2] ديوانه :ص٥١. وبهامشه : (ومعنى جعجعوا : أي نزلوا موضع لايرعى فيه . والحبس : أن تحبس النمور على غير علف . .وقد ذكر شارح الديوان أنها من قصيدة أختلف في صحة نسبتها ، فمنهم من يرويها لأوس ، ومنهم من يرويها لعمرو بن معدي كرب ، وهي ثابتة في دوانيهمـا .ولم يمـل الدكتور محمود الجادر إلى إقرار نسبتها إلى أوس ، ورجح نسبتها إلى عمرو بن معد كـرب الـذي يصفه بأنه أكثر ميلاً إلى إنصاف خصمه ونعته بما يستحق . (انظر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، لمحمود الجادر : ص٤٢٠-٤٢١) .

الكاسرة المتعطشة للطع الدم ، والانكباب على الفرائس .ثم يصور قوة طعن هؤلاء القـوم لهم ، ،فأخذ يشبهها بحش النار عندما يشتعل في الحطب الجزل ، فالمشبه ، هو الطعـن الذي يوجهه هؤلاء القوم عليهم ، والمشبه به أمر مركب من صورة اشتعال نار في حطب جزل قوي . ويظهر أن الغرض من هذا التشبيه ، هو إظهار شدة هذا الطعن ، وتسـارعه في أجسادهم ، ولايقصد منه إظهار حجم النار ، ولونها مثلاً . وذلـك بقصـد إظهـار سرعتها في الانتشار . وقد جاء الشاعر بهذا التشبيه ليظهر مدى شدة هؤلاء القوم ، وشدة بأسهم وأنهم لا يمكن أن يجاروا في اللقاء ؛ مماجعله مسوغا له في الفرار منهم دون تثريب عليه ، إذ يقول في خاتمة هذه القصيدة :

وليس يُعابُ المرءُ مـن جُـبنٍ يومـه إذا عُرِفَت منه الشجاعةُ بـالأمسِ

وقال أوس من قصيده يهجو فيها قبيلة سليم ويصف حالهم بعد الوقعة التي جرت بينهم ، يشبههم بالخشب الملقاة على الأرض [1]:

كأنهُمُ بيـن الشُمـ ـيط وصـ ـارة وجُرثُم والسُؤبان خُشب مُصـرعُ
لدى كُل أخـدود يُغـادرنَ دارعـاً يُجر كما جُر الفَصيلُ المُقـ ـرَعُ
فَمـا فَتئت حتّى كـأن غُبـ ـارها سُرادقُ يـومٍ ذي رياحٍ ترفـ ـعُ
وكُنتُم كعظمِ الريمِ لـم يـدرِ جـازر على أي بدأي مُقسِمُ اللحمِ يوضعُ

يرسم الشاعر في هذه الأبيات مشهد حسياً متكامل البناء والعناصـر ، مشـهداً تملـؤه السخرية ، وذلك حين صور القوم وهم صرعى على أرض المعركة ، فشبههم بالخشـب الملقاة على ظاهر الأرض .. وكلمة "خشب" توحي بعظم أجسام القوم ، وربما حسنها ،

---

[1] ديوانه ٥٨. وبهامشه : (الشميط ، وصارة ، وجرثم ، والسوبان كلها أسماء أماكن . دارع: حامل الدرع . المقرع : الفصيل المصاب بالبثر ، الجدري. وكانوا إذا أصيبت فصالهم به يبلونها بالماء ثم يجرونها على سبخة أو على أرض رش عليها الملح فتشفى . عظم الريم : النصيب يبقى من الجزور، وقيل هو عظم يبقى بعد ما يقسم لحم الجزور و الميسر ، وقيل هو عظم يفضل لا يبلغهم جميعا فيعطاه الجزار).

فقد ورد هذا اللفظ في القران الكريم في سياق وصف المنافقين والإعجاب بهـم عنـد رؤيتهم ، قال الله تعالى: ﴿ **وإذَا رأيتهُم تُعجِبُك أجسامُهُم وإن يقُولُوا تسـمع لقَـولهم كأنهُم خُشُب مسندةٌ يحسبُونَ كُل صيحة عليهم هُمُ العدُو فَاحذَرهُم قَاتلهُمُ اللهُ أنى يُؤفَكُون** ﴾"[٢].

ثم مضى أوس يتابع ذلك المشهد ، ويصور حجم الاستهانة التي لحق بالأعداء حين صور جندي العدو الذي يحمل الدرع، والخيول تجره في أرض المعركة، ووشـبهه ، بالفصـيل المصاب بالبثور ، أو الجدري فيؤتى به في أرض سبخة ، أو أرض مرشوشة بالملح فَيجـر عليها فيشفى،.وهو تشبيه قائم بين صورتين ،و الغرض ـ كما يبدو ـ إظهـار غايـة التهكم والسخرية.

ثم انتقل ليصف جو المعركة و الغبار التي أثارتها الخيول في ساحة القتال ،وشبهها في مشهد حسي ،بالسرادق، فترفع الرياح أطرافه في يوم عاصف .

وتشبيه الغبار المتصاعد من أرض المعركة بالسرادق، دليل على ضراوة المعركـة ، وحمـى وطيسها، وهو معنى قد ورد عند بعض الشعراء المخضرمين كأمثال نافع بن الأسود [٢] :

ونحنُ كَفَفنا الفُـرس أيـام قـادسٍ ... يُمعترك ضنك كَلـف السُـرادق

ـإذا ناهـدونا رفعـ ـَتهُم سُـ ـيوفُنا ... إلى المأءِ حتّى تُتقى بالعـ ـلائق

وأخيراً يقف الشاعر ليرسم حال المتبقين في أرض المعركة من الخصوم ، ويشبههم بحـال عظم الرئم ، وذلك إظهاراً للحيرة في التصرف معهم وذلك على سبيل التندر والتلطف ، ثم بعد ذلك نلاحظ أن صور التشبيهات السالفة اختلفت في أدوات التشـبيه ، فجـاء التشبيه الأول "ب**كأنّ** "، والتشبيه الثاني ، "**بكما** "، والتشبيه الثالث" **بكأنّ** "، والتشـبيه

---

[١] المنافقون (٤).

[٢] هو نافع بن الأسودبن قطبة بن مالك التميمي،من الصحابة من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، شهد فتوحات العراق ، والشام ، وتوفي في عام ٣٧هـ الأعلام ،٣٥٢/٧،الزركلي، دار العلم للملايـين ١٩٩٥،ط١١،الإصابة في تمييز الصحابة برقم : (٨٨٤٩). ابن حجر العسقلاني ،ت/طـه الـزيني ، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٦هـ .

الرابع "**بالكاف** "، وإذا حاول البحث التدقيق أكثر في التشبيهات وجـد أن التشـبيهين اللذين جاءا بالأداة كأنّ قد استطاعت أن تصور القرب بين صورتي المشبه والمشبه به أكثر من التشبيهين الآخرين ، فهناك وجه شبه ظاهر بين القوم الصرعى في أرض المعركة، وبين الخشب المصرعة ، وكذلك الحال بين الغبار الذي يثار في أرض المعركة ، وبين السـرادق التي تعصف بها الريح من كل جانب . وقد تطرق الإمام عبد القاهر إلى هذه المسألة وهو في حديثه عن الأداة (**كأنّ**)، وأفضليتها على ماعداها من الأدوات البسـيطة كالكـاف، ومثل ، وشبيه، وقد أبان عن مزيتها بحذاقته المعهودة ، وبراعته التي فاقت من قبله ومـن بعده ،حيث يقول[1] :" .. فإنك تقول زيد كالأسد ،أو مثل الأسد ، أو شـبيه الأسـد فتجد ذلك كله تشبيها غفلا ساذجا، ثم تقول كأن زيدا الأسد فيكون تشبيها أيضـا إلا أنك ترى بينه ، وبين الأول بونا بعيدا و لأنك ترى له صورة خاصة ، وتجدك قد فخمت المعنى ، وزدت فيه بأن أفدت أنه من الشجاعة ، وشدة البطش ، وأن قلبه قلب لا يخامره الذعر، ولا يدخله الروع بحيث يتوهم بأنه الأسد بعينه".

ولم يكتف الإمام ببيان أفضلية (**كأنّ**) عند هذا الحد فنجده في موضع أخر يوظف هـذه الأداة في نظريته نظرية النظم التي بنى عليها براعة الكلام ، وترقيه في درجات الكمال حتى يصل إلى غاية تنقطع دونها الآمال ، ويبين السبب وراء هذه الميزة التي منحتها "**كـأنّ**". فقد أبان في الموضع السابق أن في عبارة (زيد كالأسد) و(كأنّ زيدا الأسد) تشبيها إلا أن التشبيه بكأنّ فيه زيادة ليست موجودة في التشبيه بالكاف وهي " أن تجعله من فـرط شجاعته، وقوة قلبه، وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد ، ولا يقصر عنه حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمى ، وإذا كان هذا كذلك ، فانظر هل كانت هذه الزيادة و وهذا الفرق إلا بما توخى في نظم اللفظ ، وترتيبه ، حيث قدم الكاف إلى صدر الكلام ، وركبت مع كأنّ وإذا لم يكن إلى الشك سبيل إلى ذلك كان بالنظم ، فاجعله العـبرة في الكلام كله "[1]

---

[1] دلائل الإعجاز :ص٤٢٥.

[1] دلائل الإعجاز:ص ٢٥٨.

قال أوس بعد أن ابتدأ قصيدته بذكر محبوبته **ليلى** وديارها بأعلى "**ذي معارك** "، وذكر تبدل حال تلك الديار التي عهدها [٢] :

على العُمرِ واصطادت فُؤاداً كأنهُ أبو غَلقٍ في لَيلتين مُؤجلُ[٣].

وراح يرسم حال قلبه وهو متعلق بمحبوبته مرتهن حاله بحالها لايستطيع خلاصه والانفكاك عنها ،فشبهه بحال قلب مؤجل رهانه لا يستطيع الانفكاك عن محبوبته إلا بعد ليلتين .

قال أوس هاجياً قوم بني لبنى [٤]:

خانتك منهُ ما علمت كما خانَ الإخاءَ خليلهُ لُبدُ

وهذا البيت مفصول عن سياق القصيدة ، والقصيدة جاءت في هجاء قوم بني لبنى ،والضمير في الكاف لايعلم صاحبه ، حيث يشبه فيه الشاعر الخيانة التي حدثت على من أسند إليه الضمير ،والمشبه به جارٍ مجرى ضرب المثل ، فقد أورد صاحب اللسان أن لبد آخر نسور لقمان بن عاد ؛ وسماه لبد لأنه بقي لا يذهب ولا يموت كاللبد من الرجال واللازم لرحله لا يفارقه ، "والعرب تزعم أن لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستسقي لها . فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر ، من أظبٍّ عفر ، في

جبل وعر ، لايمسها القطر ، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر . فاختار النسور ، فكان آخر نسوره يسمى لبداً [١]وعلى هذا المعنى يعد هذا التشبيه من تشبيه

---

[٢] الديوان:ص ٩٤.

[٣] أبو غلق : أي صاحب رهن غلق ، لايوجد له تخلص وبقي في يد المرتهن (اللسان (غلق) ٢٩٢/١٠).

[٤] ديوانه : ص٢٢.

[١] اللسان ماد (لبد) ج٣/ ٣٨٥.

المعقول بالمعقول ، فالشاعر يشبه خيانة المسند إلى الضمير ، بخيانة لبد للإخاء ، ظـاهر ، ويبدو أن مراد الشاعر هو الهجاء ، والذم والتحقير .

وقال أوس في تمادي ابن هند في عدم حقن الدماء [٢] .

إن كانَ ظنّي في ابـن هنـد صـادقاً لم يحقُنوها في السِـقاءِ الأوفَـرِ
حتّى يلُـفّ نخيـلَهُم وزُروعُهُـم لهب كناصية الحصـان الأشـقَرِ

يقول أوس مبيناً صدق توقعه في تمادي ابن هند وقومه ،وعدم حقنهم للدماء ، ويبين الغاية والحد التي يمكن أن توقفهم عن هذا التمادي، والعرب تقول :"أما والله لاتحقنها مـني في سقاء أوفر " أي لاتذهب بها مني حتى يستقاد منك[٣]، يريد أنهم لم يذهبوا بمافعلوا سالمين ، حتى تصبح نخيلهم وزروعهم مشابهة لناصية الحصان الأشقر ، يريد أنهم لن يكفوا عـن ذلك حتى تحرق بيوتهم ، ويلفها لهب متوهج شديد الصفار والإضاءة ، يشـبه ناصـية الحصان الأشقر ، في التوهج ، وصفار اللون . فالمشبه هو اللهب ، والمشبه به هو ناصـية الحصان الأشقر ، والرابط بينهما شدة التوهج والإضاءة ، وصفار اللون .وربما يكون في

ذكر الحصان الأشقر مزيد تهديد ووعيد ؛ لأن الحصان هو الحيوان المعتمد عليه في الحرب عادةً ، وقد استجاد النقاد هذا التشبيه ، وعده أبو هلال العسـكري مـن التشـبيهات البديعة[١] .

---

[٢] ديوانه: ص ٤٨.

[٣] مجمع الأمثال ،ج٢/ص٢٣١،لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ،ت / محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ، لبنان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م . انظر شرح الديوان ٤٨.

[١] أنظر الصناعتين : ص٢٦٢ .

قال أوس يصف قوما قد شنت عليهم غارة فيقول ، ويشبهها بسحابة محملة بالدم [٢]:

صبحن بني عبـــس وأفنـاء عـامر ... بصادفة جـود من المـاءِ والـدم
لحينهُمُ لحـي العصـا فطردنهـُم ... إلى سنة جِرذانُها لـم تحلـم
يأرعن مثلَ الطـود غَـير أشـابة ... تنـاجز أولاهُ ولـم يتصـرم

يرسم أوس في من خلال هذه الأبيات صورة الغارة التي أغارها الشاعر على بـني عـبس وبعض بني عامر عن طريق لوحة بيانية يقطر منها الدماء ، وذلك حينما شبه الغـارة في ضراوتها، وشراستها ، وكثرة الدم المسفوك فيها ، بسحابة محملة بالغيث العميم لكن هذا الغيث لا يمطر الماء ، بل الدم الأحمر القاني . و صورة الدم الأحمر حين تمطر من السـماء ،تعد صورة مفزعة تثير الرعب في النفوس من جهة ،و تظهر قوة الجيش ،وإفراطـه في سفك دماء العدو من جهة أخرى . ثمّ بعد ذلك أخذ الشاعر يصور حجم الضرر الذي ألحقه وقومه بالعدو ، ودرجة تمكن الجيش على التغلغل في وسط العدو، والقدرة علـى إبادتهم . فراح يصف ذلك الحال عبر صورة حسية مشاهدة بالعيان ، فشبه حال تمكنـهم من جيش الأعداء ، وإنزال أكبر الخسائر بهم وأفدحها ، بحال من يمسك بعود فيقشر عنها لحاها .

ولعلّ الشاعر أراد بهذه الصورة أن يظهر إحكام قبضة جيشه بالعدو ، وقوة تمكنـهم ، حتى استطاع هذا الجيش أن يطردهم عن أرضهم إلى صحراء قاحلة مجدبة ، لاحياة فيها ، وكنى عن ذلك بأن جرذانها هزيلة لم تسمن .

وقد استطاع أن يصور قوة هذا الجيش وكثرته عن طريق الجملة البيانية ، عندما شبه هذا الجيش في كثرة عدده وقوته بالأرعن: وهو أنف الجبل الممتد إلى أسفل الأرض ، ثمّ حذف المشبه " **الجيش** " وأبقى المشبه به" **الأرعن** " على سبيل الاستعارة التصريحية الأصـلية ، وبعد أن تم من ذلك راح يشبه المشبه به " **الأرعن** " ويقصد به الجيش في امتداده وعـدم

---

[٢] ديوانه : ص١١٩.وبهامشه : الأفناء : الجماعات من الناس .اللحي : القشر . لم تحلم : لم تسمن . أرعن : الرعن، أنف يتقدم من الجبل فينسل في الأرض . الطود : الجبل . غير إشـابة : أي غـير أخلاط).

اختلاط نسيجه ،و انقطاعهم دفعة واحدة ، بالطود:أي الجبل الشامخ الصلب الممتد من كتلة واحدة دون فاصل يفصل بين حصاه .

ب ـ تشبيهات المرأة :

لم يكن ديوان أوس حافلاً بالصور التشبيهة عن المرأة سوى أبيات قلائل قد تناول البحث معظمها بالتحليل في الفصل الأول،و ما بقي من صور للمرأة في ديوانه لايمكن ان يستمد منها حكما لقلتها ، علماً بأن أسماء المرأة قد شاع وتعدد ذكرها في ثنايا ديوانه مثل (تماضر،زينب ، لميس ، دومة ، لمى ، أميمة) - ويبدو أن ذلك يشير إلى حجم الأجزاء

المفقودة من شعره والتي لم تضم في ديوانه [1]- وهي أسماء رقيقة ذات جـرس متميـز ، ويبدو أن أوس كان رجلاً ذا كبرياء وهيبة ، ويرى أن التهالك في الوجد أمر يمس تلـك الهيبة . إذ يقول في أحدى مطالعه عن المرأة [2] :

ودع لميس وداع الصـارم اللاحـي إذ فنّكت في فسادٍ بعد إصـلاح

وهي من المطالع ِالغريبة التي تفرد بها أوس و تحتاج إلى مزيد تأمـل ، وفضـل نظـر ؛ لمخالفتها السائد العام في مطالع القصائد الجاهلية، فقد بدأها الشاعر ببداية تنم عن غضب شديد ، وثورة عارمة ، فبدأها بالوداع ، وذكر الصارم وهـو : القـاطع ،و اللاحـي : هواللائم ، وفنكت: أي لجت في الشر .فالشاعر يصف وداعه وفراقه عن محبوبته لميس ، ويشبهه ، بالسيف الصارم البتار الذي يقطع الأجسام قطعاً دون تردد ، و وجـه الشـبه الجامع بينهما الصرامة والمضاء ، والغرض إظهار الهيبة والكرامة والأنفـة . ولاشـك أن السيف الصارم يعطي دلالة معنوية عميقة لمعنى الافتراق والتجاسر أمام المحبوبة ، ولكن في تصوري أن ذكر السيف الصارم لايتناسب مع هذا المقام ،فأسلوب التجاسر ، وإظهار القدرة على الاستغناء عن المحبوبة، من الأمور التي تتنافى مع الحب الصادق ،فضلاً عن

الذوق الفطري البشري العام . يقول الدكتور محمود الجادر في دراسة له عن شـعر أوس ورواته [1]،:" رغم أن ديوان أوس يعتبر حافلاً نوعاً ما بالمرأة ، وهي شاخصة في لوحات الغزل والنسيب إلا أن حقيقة مهمة تطالعنا عبر تلك اللوحات وهي شدة عزوفـه عـن التهالك في الوجد ، إذ ليس للحبيبة الهاجرة عنده إلا الهجر " .

---

[1] وقد تهيأ للباحث الاطلاع على رسالة الباحث الدكتور / هشام عبد العزيز الشرقاوي عن (البناء التركيبي في شعر أوس بن حجر) رسالة ماجستير مخطوطة ، صادرة عن كلية اللغة العربيـة بجامعـة الأزهر ، وقد حصل الباحث على أبيات عديدة لأوس وجدها في ثنايا الكتب والمصادر لم تجمـع في ديوانه المطبوع . انظر في الرسالة :(ص٢٣-٢٥).

[2] ديوانه : ص١٣.

[1] شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، ص٢٦٣.

سادساً: تشبيهات أوس في وصف الفرس :

اهتم العرب عامة بالفرس اهتماماً كبيراً ،وترجم الشعراء ذلك الاهتمام في أشعارهم ، فوصفوا كل شيء فيها ، وصفوا سرعتها ،وهيأتها ، وأعضاء أجسامها ، وجمالها ، وعبوسها ، وإشراقها ، ولم يدعوا شيئاً يظهر جمالها إلا ذكروه ، وكان المحور الذي تدور عليه أوصافهم وتشبيهاتهم هي الانطلاق والسرعة ، فشبهوها كما يقول أبو هلال العسكري :[1] " بالكوكب ، والبرق ، والحريق ، والغيث ، والسيل ، وانفجار الماء الحوض ، والدلو ينقطع رشاؤها ، ويد السابح ، وغليان المرجل ، والقمقم ، والقطا، والحمام ، والجراد ، وأنواع الوحش ، كالوعل ، والظبي ، والذئب ،والتفل ، ويشبه بالخذروف ولمعان الثوب ، وبالسهم ، والريح وبالحسي".

قال أوس يصف أذن فرس له ويشبهها بورق شجر المرخ [2]

وأذنٌ لها حشرةٌ مشرةٌ كإعليط مرخٍ إذا ماصفر

هذا البيت من قصيدة قالها أوس في حرب كانت بينهم، وبين أسد وقبيلة غني ، وهي قبيلة من بني أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت وعده لامرىء القيس وقال فيه: يشبه أذن الفرس بورق المرخ [3]. وأورد في موضع آخر قولاً لابن بريء يعد فيه البيت للنمربن تولب ، وذكر أنه يصف أذن ناقته ورقتها ولطفها ، وشبهها بإعليط المرخ ، في الحسن والنضارة [4].والحشرة المشرة : يقال إذن حشرة مشرة إي مؤللة عليه مشرة العتق أي نضارته وحسنه ، والمؤللة أي : المحددة المنصوبة الملطفة ويقال إنه لمؤلل الوجه أي : حسنه سهله [5]. وقيل لطيفة وحسنة[6].والإعليط : ماسقط ورقه من الأغصان ، وقيل هو ثمر المرخ ،وقيل وعاء ثمر

---

(1) الصناعتين : ص٨٠.

(٢) ديوانه:ص ٣٠.

(٣) اللسان ج٧/ ٣٥٥.

(٤) اللسان ج٥ / ١٧٤.

(٥) اللسان : (أل) ج٢٤/١١.

(٦) اللسان: (مشر) ج٥ /١٧٤.

المرخ [1]. وقد عد شارح الديوان أن الإعليط من العلاط ، وهي سمة في خد البعير ، ويظهر أن هذا لايتناسب مع ذكر المرخ وهو شجر معروف ، والمعنى الذي ذهب إليه ابن منظور وابن بريء في اللسان أقرب وأرعى لسياق المعنى . فالشاعر يشبه إذن الفرس على الأغلب ؛ لأن البيت السابق في القصيدة جاء في وصف الفرس ، يشبهها ،بورق أو ثمر المرخ عندما يميل لونها في الاصفرار ، وكبر الحجم في الاستدارة ، و ذلك إظهاراً لحسنها ونضارتها ، وقد جاء المشبه به مقيدا بشرط وهو الاصفرار ، واللون هنا شرط أساسي في صحة المعنى الذي يرمي إليه الشاعر ، ، واللون الأصفر في الحيوان دلالة على الحسن والجمال عادةً ، قال الله عز وجل في وصف البقرة التي أمر بني إسرائيل بذبحها :" ﴿ **إنّها بقَرةٌ صفْراء فَاقِع لوُنها تسُر الناظرين** ﴾ [2] فجعل السرور داخلاً على النفس من جهة النظر للونها .

وقال أوس في وصف فرس اسمه(قرزل) لطفيل بن مالك ، وهو شديد الجري سريع ، ويشبه سرعته، بسرعة التهاب الميسم في الوبر [3]:

والله لولا قُرزُلٌ إذ نجا ... لكانَ مثوى خدك الأخرما

نجاك جياش هزيم كما ... أحميت وسط الوبر الميسما

فيرسم صورة ، لسرعة ذلك الفرس (قرزل)، و ينسب الفضل إليه في خلاص الطفيل بن مالك ، يوم " **ذي نجب** " من بني تميم ، التي تغلبت فيه على بني عامر[4] ، ويظهر في هذا التشبيه علاقة دقيقة بين المشبه والمشبه به ، و الشاعر اختار صورة المسيم الذي يحمى

---

(١) اللسان : (علط) ج٧/ ٣٥٥.

(٢) سورة البقرة (٦٩).

(٣) الديوان : ص١١٤، وبهامشه : (جياش : الشديد الجري السريع) .

(٤) انظر السيرة النبوية ج/ ،ص١٢٤،لابن هشام المغافري ، ت / حمدي الدمرداش ،الطبعة الأولى ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. النقائض : ج٢/ص٥٨٧-٥٨٨، باعتناء المستشرق الأنجليزي "بيفان" ، دار صادر .

ليوضع به علامة على جلد الدابة لتميزه عن سائر الأنعام المشابهة ، للدلالة على سرعة الفرس في العدو ، نستشف من خلال هذه الصورة حجم العار الذي سوف يلحق بالطفيل بن مالك لو تمكن قوم مالك بن حنظلة من المساك به ؛ لأنه سوف يوسم بذلك العار الذي لحقه من الهزيمة كما يوسم جلد الدابة .

وقال أوس يذكر بهرب طفيل بن مالك يوم" السوبان "،ويصف فرسه في ذلك ويشبهه في الجرادة ،فيقول [1]:

تقبّلَ من خيفانة جُرشُعية سليلَة معروق الأباجِلِ جُرشُع
وودع إخوانَ الصفاءِ بِقُرزُلٍ يمُر كمَرّيخ الوليد المُقَزع
ولو أدركتهُ الخَيلُ شالَ برجله كما شالَ يوم الخال كعبُ بنُ أصمع

فيرسم صورة تشبيهية لفرسه وهي تعدو ، وشبهها ، بالجرادة في عدوها وخفة تنقلها ،و هذه الفرس تحمل صفات متميزة : عظيمة الصدر ، من سلالة معروفة ، ولها عرق ظاهر في يدها أورجلها ، ثم يستمر في نعت هذه الفرس ويشبهها بمريخ الصبي ، وهو القضيب الذي يلعب به الصبي فيجعل في راسه تمرة ، وطينة لتثبته ، فيرمي به الصبي ، والمقزع : أي من غير ريش ، ووجه الشبه بينهما هو السرعة ، ولعلّ الشاعر يقصد من قوله" مقزع" ، إشارة إلى أن الفرس لارسن له ، أو أنها خفيفة الشعر ، والغرض إظهار سرعة الفرس وبيان حالها .ثم بعد ذلك عادفي البيت الثاني بالضمير في قوله: (**ولو أدركته**) للطفيل بن عامر . ليشبه حاله عند إدراكه الخيل بحال ماجرى في يوم الخال ، والشاعر بنى التشبيه على الشرط ، وهوما يعرف بالتشبيهات المقيدة ، وهذا يعني أن التشبيه لم يقع في الحقيقة ولو وقع لكان كما قال الشاعر ، وقد بنى التشبيه على مضرب المثل وهو أمر عقلي ولايعرف حقيقة ،ويبدو أن الغرض من التشبيه إظهار الخفة والسرعة في الهرب .

---

(١) انظر ديوانه :ص٦١.وبهامشه : (جرشعية : عظيمة الصدر ، الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل أو اليد . القرزل : اسم الفرس . مريخ الوليد : هو قضيب يجعل الصبي في أعلاه تمرة وطينة تثقله ثم يرمي به بغير ريش شال برجله : أي رفع برجله . والخال : يوم من أيام العرب).

سابعاً: التشبيهات المتفرقة في شعر أوس :

وقال أوس قاطعاً على نفسه عهداً بعدم هجائه القوم [1]:

هجاؤُك إلّا أن ما كـانَ قَـد مضـى علي كأثـوابِ الحَـرامِ مُهيـنِم
بنِي ومـالي دونَ عرضـي مُسـلم وقَولي كَوقعِ المَشرفي المُصمم [2].

يصور الشاعر العهد الذي قطعه على نفسه بعدم هجائه القوم ، وراح يرسم ذلك المعنى عبر مشهد ، يومي إلى حس الشاعر الديني ، وذلك حين شبه حرمة الوقوع في الهجـاء وشدة تغليظها عليه ، بحرمة من لبس ثياب الإحرام الطاهرة وأحرم بها فهـو في ذكـرٍ وتسبيح وتهليل . ولعلّ هذه المعنى يرسم صورة مغايرة لمافي أذهاننا عن ذلـك الإنسـان الجاهلي الغارق في العادات القبلية والجاهلية المنافيتين في كثير منـها لتعـاليم الإسـلام السمحى، وتعظيم الشعائر الدينية، فهو لا يمتنع ـ بصورة دائمة ـ عن السمو الروحي في استشعار عظمه وقدسية الشعائر الدينية ، المتمثلة في معتقداتهم ، وتصوراتهم الدينية . ويختم الشاعر صوره الشبيهية في القصيدة ، بعد أن حثّ على صيانة العرض ، والذود عن حياضه ، ويرسم قوة وقع شعره على القوم ، وأخذ يشبه لسانه في صورة سيف صارم بتار يتجاوز وقعه الجلد ويتغلغل إلى العظم ، وذلك عل سبيل المبالغة في تصوير المعنى.

وقال أوس في ذكر الموت والبلى ويصف كفناً .[3]:

ولا محالةَ من قَبرٍ بِمحنِية وكَفَنٍ كَسراة النّورِ وضّاح

يذكر أوس النهاية الحتمية لكل إنسان على ظهر هذه البسيطة ، ويشبه الرداء الذي يغطى به بعد موته (الكفن)، بظهر الثور الأبيض اللامع . وذلك لما بينهما من البياض واللمعان . ويبدو أن اختيار اللون الأبيض اللامع يبعث في روح الشاعر على التفاؤل والارتيـاح ، ويبث الطمأنينة في النفس .

---

[1] ديوانه :ص١٢١.

[2] المصمم من السيوف : الذي يمر في العظام(اللسان (صمم) ج٣٤٧/١٢).

[3] انظر الديوان ١٤.وبهامشه : (، وسراة الثور : ظهره ، ووضاح:أي يتوضح ويلمع).

الفصل الرابع

التشبيهات التي جاءت في شعر زهير ولم تأت في شعر أوس

أولاً: صورة الطلل والديار :

أ- (تشبيهات الطلل والديار).

تظل صورة الطلل والديار والمنازل في ذاكرة الشاعر الجاهلي مدخلاً شعرياً موحياً يستطيع أن ينفذ منه الشاعر إلى حديث النفس ، وإلقاء ما تحمله تلك النفس من زخم ، وذلك من خلال تأمل الماضي وأحلامه الضائعة . ومن المحتمل أن يكون الطلل رمز الزمن الذي يتسم – رغم مايشوبه من قسوة المضي و الانفلات – بالإيجابية الواضحة ، كما يرى ذلك مصطفى ناصف [1]، فمن بين ركام هذه الأطلال تنبعث حياة جديدة ،و"ليس لذكر الرياح والديم ارتباط باختلاف الجو والمناخ فقط ، ولكنه يمتد إلى تأثير هذا الاختلاف على حياة الناس ، واختلاف المشاعر والأفعال المترتبة على اختلاف المناخ الطبيعي "[2].

إذ يقول زهير في وصف طلل قديم عاف قد اندرست معالمه ، ويشبهه بكفي فتاة قد تعاود على معصميها رسم الوشوم [3]

لمَنْ طللٌ بِرامة لايريمُ؟ عفا ، وخلا له عهد قديمُ[4]

يلوح كأنهُ كفا فَتاة تُرجعُ في معاصمها الوُشومُ

فيرسم زهير في هذا التشبيه صورة مركبة للطلل التي كانت تعمره المحبوبة ، ويشبهه برسم الوشم الذي تردد وتحبر على معصم الفتاة ،وترجيع الوشم على المعصم وهو:أن يعيد عليه مرة بعد مرة [5]، ويبدو أن هذا الترجيع ؛ يدل على أن هذه الآثار والمعالم بارزة ظاهرة لدى الشاعر .وتوحي كلمة " **ترجع** " بكثرة تردد الشاعر على هذا الديار زمن

---

(1) قراءة ثانية لشعرنا القديم .ص٦١، مصطفى ناصف ،دار الأندلس للطباعة والنشر ،بيروت ،الطبعة الثانية ،١٩٨١م.

(2) الصورة الفنية في شعر زهير : ص٤٥ .

(3) الديوان ١٥٢.

(4) لايريم : لايبرح (اللسان (ريم) ٢٥٩/١٢).

(5) انظر شرح الديوان : ص١٥٢.

وجود المحبوبة بها ، وقد تكرر هذا المعنى عند الشاعر في عدة قصائد . وربما كانت هناك علاقة بين هذا المعنى حين شبه الشاعر الطللَ بالوشوم المرجعة على المعصم ،وبين غـرض القصيدة التي هي في مدح هرم بن سنان .

فيلاحظ أن القصائد التي جاء فيها هذا المعنى ،كان غرضها الرئيسي مدح هرم بن سنان ،وذكر ما جاء في فضائله . فالوشم رسم جميل ثابت ، والترجيع عليه يزيد من ثباته وجماله ، فربما كان من تلك الصورة ماتوحي بجمال العلاقة وثباتها بين زهير وهرم بن سنان .

ويسترعي نظر الباحث جمال المواءمة اللفظية التي جاءت من خلال المجانسة بين لفظتي" **رام** " و" **تريم** "؛ وكأن اسم المكان الذي نزله الشاعر قد أوحى له معنى الفعل ولفظه فاشتقه منه .

وقال زهير في وصف ديار محبوبته وتشبيه معالمها البارزة بالوشم :[1]

هـاج الفُـؤاد معـارفُ الرسـم قَفر بِـذي الهَضـبات كَالوشـم

فيرسم الشاعر صورة لمعالم الديار التي كان يغشاها ،ويألفها عن طريق تشبيهها بنقـوش الوشم التي ترسم على المعصم ، وقد سبق القول بأنّ الصورة من التشبيهات قد تكـررت عند الشاعر ، والغرض في هذا القصيدة ـ أيضا ـ ذكر فضائل هرم بن سـنان فقـد جاءت في رثائه . ولعلّ استفتاح الشاعر مطلع قصيدته الطللية بقوله: "**هاج الفؤاد** " ما يوحي بحالة الحزن ، وفي كلمة " **قفر** " تأكيداً لهذه الحالة ،وهو ما يمكن تفسيره ، بوجود رابط بين مطلع القصيدة والغرض التي من أجلها أنشئت وهو مايقتضيه الموقف هنا ؛ لأنّ غرض القصيدة هو رثاء هرم بن سنان المري .

---

[1] الديوان :ص٢٨١.

وقال يصف أطلال ديار محبوبته الباليةَ ،ويشبه معالمها بعد أن اندثرت بالرق المحيل وهي:(الصحفية البالية) [1]:

أمـن آل ليلـى عرفـت الطُلـولا بذي حُـرُضٍ مـاثلات مُثـولا
بلـين وتحسِـبُ آيـاتهن عن قَرط حولين رقّـاً مُحـيلا [2]

يرسم زهير صورة،لما بقى من معالم وآثار تلك الأطلال التي بليت مع الزمن ، فيشبه مـا بقي من تلك العلامات والآثار ،بالصحيفة البالية المهترءة التي مضى عليها حول من الزمن ، وذلك لمابينهما من تلاقٍ في انطماس المعالم والأجسام وزوالها ، بياناً لحال هذه الـديار التي طُمست وكادت أن تختفي ، فلا تكاد تعرف إلاّ بصعوبة بالغة ، يشبه حال مايصعب على القارئ معرفة محتوى صحيفة من جلد ، قد مضى عليها حول من الزمان وهي ملقاة قد بليت . "ولعلّ في إيهام الكتابة وعدم وضوحها نوعاً من الطقوس الدينية التي يلجأ إليها الكهنة ورجال الدين ، في طمس ما يكتبون من الرقي والتعاويذ التي يريـد الشـاعر أن يكتنف هذا الطلل ".[3] والشاعر هنا قيد التشبيه ، بمضي حولين على الرق ولم يكتـف بقوله:"**بلين** " في إظهار المعنى للصورة .وهو ما يضبط وقوع المشابهة تحقيقاً ، ويدل علـى تحري الدقة البالغة في نقل المشاهد والصور لما يشابهها .

وقال في وصف ديار محبوبته سلمى ، ويشبهها بالنقوش المكتوبة على حجر ملقى وسط المسيل [4]:

لمـن الـديارُ عَشـيتها بِالقَدفَـد كالوحي في حجرِ المَسيلِ المُخلـد

---

[1] ديوانه :ص١٤٦.

[2] الرق : ما يكتب فيه ، وهو جلد رقيق .اللسان (١٠/ ١٢٣)(رقق)

[3] الصورة الفنية في شعر الشماخ : ص١٧٤، محمد علي ذياب ، عمان ، وزارة الثقافة ، ٢٠٠٣م.

[4] الديوان ١٩٤. وبهامشه : (القدفد : المرتفع فيه صلابه وحجارة . المخلد : المقيم .

يرسم صورة مركبة لديار محبوبته (**سلمى**)، ويشبهها بنقوش قد كتبت على حجر مـن حجارة المسيل ، وهذا الحجر صلب ، قد استقر في الأرض، ؛ وذلك لما بينهما في البقـاء والدوام وعدم الزوال عبر الزمان ، والشاعر اختار حجر المسيل ؛لانها أقوى وأصلب مـن غيرها ،وربما يقصد الشاعر من هذه الصورة أن آثار هذه الديار ظاهرة معلومة لا يمحوها الزمان مهما بعد ، ولعل في تعريف كلمة " **الديار** " مايدل على معرفة الشاعر التامة بتلك الديار والأماكن ، وتوحي كلمة " **غشيتها** " بأن الشاعر قد جاب معظم أنحائهـا إن لم يكن كلها ، وذلك دلالة لمكانة تلك الديار في نفسة ،الأمر الذي جعل الشاعر يؤكد هذا المعنى ،وتتداعى له صورة النقوش والآثار المكتوبة على الحجر العظيم الراسـخ في مجـرى السيل ، وكأن هذا الحجر الذي يغالب مجرى السيل الجارف ، تشبه ذكريات الشاعر في هذه الديار التي تغالب أحداث الزمان ، فهي عصية على النسيان.

وقال زهير في وصف طلل بالٍ قد عفت آثاره، ويشبهه بالكتاب الذي محيت آثـاره :
(١)

لمن طَلَلٌ كـالوحي عـاف منازلُـه عفا الرس منهُ فَالرُسيسُ فَعاقلُه (٢)

يرسم صورة مفردة للطلل ، ويشبهه بالكتاب التي محيت آثاره ،في صورة قـد حشـد الشاعر فيها من أسماء الأمكنة والديار ما يربو عن عشرة مواضـع (٣)، وهـي ظـاهرة تستوقف الباحثين في الشعر الجاهلي ،"وكأن الشاعر يسعى إلى تثبيت مامحته يد الزمن من خلال ذكره لأسماء المواقع التي تؤكد وجودها ،أو كأنه يعوذها من الشـر " (٤)، " وقـد جرى العرف الفني في هذه المقدمات على ذكر أسماء المواضع التي تقع بينـها الأطـلال ،

---

(١) الديوان ١٠٢.

(٢) الرس والرسيس : ماءان لبني أسد . عاقل : واد في بلاد بني عامر (انظر شرح الديوان ١٠٢).

(٣) انظر الديوان ١٠٣.

(٤) الصورة الفنية في شعر الشماخ : ص١٧٤.

وتحديدها تحديداً جغرافياً دقيقاً ، وهي ظاهرة ترتبط من ناحية بواقعية الشعر الجـاهلي ، ومن ناحية أخرى بنفسية الشاعر الذي تمّثل هذه المواضع قطعة من نفسه ففيها عاش أيامه الجميلة ، وفوق رمالها خلف قلبه وشبابه ، فهي مواضع غالية عليه ، حبيبة إلى نفسـه ، فهو لذلك وفيّ لها ، متشبث بها ".[1] ، ورغم تكرار صورة تشبيه الطلل بـالوحي إلا أن الصورة اختلفت في هذا البيت ،ففي البيتين السابقين كانت الصورة تدل على وضـوح معالم الآثار التي خلفتها المحبوبة ، أما في هذا البيت فقد اختلف المعنى ،إذ تدل الصورة على ذهاب معالم تلك الآثار، وانطماسها .

وتشبه الطلل بالوحي من الأمور التي تكررت عند زهير ووردت معان قريبة منها عند غيره من الشعراء الجاهليين في تشبيهاتهم [1] ، ولفظة "**الوحي**" هنا جاءت لتعضد الرأي الـذي ذهب إليه البحث في الفصل الثاني ؛ فربما جاء الشاعر بهذا اللفظ من خـلال إيحـاءات المكان التي أثارتها في النفسه ، فهي توحي إليه كل تلك المعالم والآثار .

---

[1] دراسات في الشعر الجاهلي ، يوسف خليف ١٢٧ ـ ـ ١٢٨

[2] نجدها عند امريء القيس : ص٨٥:

لمنْ طللٌ أبصرته فشـجاني كخط زبور في عسيبٍ يمان

وعند عبيد الأبرص : ص٢١:

لمن الديارُ أقفرتْ بالجنابِ غير نؤيٍ ودمنة كالكـتابِ

وعند حاتم الطائي : ص٨٠:

أتعرفُ أطلالاً ونؤياً مهدما كخطكَ في رق كتاباً منمنماً

وعند الحطيئة تلميذ زهير : (ص٢٦، من رواية حبيب عن الأعرابي وأبي عمر الشيباني ، المؤسسـة العربية للطباعة والنشر):

لمن الديارُ كأنهن سطورُ بلوى زرُود سفى عليها المورُ

وقال يصف منازل وديار محبوبته سلمى ويشبه مابقي منها من آثار بالنقبة الحميرية[١]:

لسلمى بشرقي القنان منازلُ ورسم بصحراءِ اللُبين حائلُ

كأن عليها نُقبةً حميريةً يُقطّعُها بين الجُفون الصيافلُ [٢]

فهذه صورة تشبيهية مركبة لديار المحبوبة " **سلمى**" ، يشبه فيها الآثار الباقية ، بالنقبة التي قُطّعت ووضعت داخل الجفن غشاءً للسيف ، والنقبة الحميرية : نوع من البرود أو اللباس مثل السراويل ، تلبسه المرأة تحت ثوبيها لاكمين لها ، منسوب إلى أهل حمير من اليمن ، وذلك لما بين الصورتين ، من بروز علامات وأشكال متنوعة حسنة المظهر ،وذلك تزيناً لحال المشبه ، وتشبيه أثار الديار بالنقبة يوحي باحتفاء الشاعر بتلك الديار خاصة إذا ماعلمنا أن الغرض من القصيدة هو مدح سنان بن الحارثة .

قال واصفاً بلداً واسع الأطرا ف قد اشتبهت معالمه ، ويشبه فراخ ذلك البلد ، بالشجر الصغير النابت [٣]:

وخرقٍ تهلكُ الأرواحُ فيه بعيد الغورِ مُشتبه المتان[٤]

أفاحيصُ القطا نسق عليه كأن فراخها فيه الأفاني[٥]

يصف الشاعر في هذين البيتين بلداً بعيد الأطراف ، لاتشتد فيها الريح ؛ وذلك لسعتها وتباعد أطرافها ،فتهب فيها على غير استقامة ، وهذه البلد نشاز أرضها ،قد صلبت

---

[١] ديوانه :ص٢١٤.

[٢] النقبة : مثل السراويل ، ثوب تلبسة المرأة تحت ثوبيها لاكمين لها (انظر شرح الديوان ٢١٤)

[٣] ديوانه:ص ٢٦٢

[٤] الخرق : البد البعيد الأطراف ، تنخرق الريح فيه فتهب على غير استقامة . تهلك الأرواح: جمع ريح : أي لايشد فيها هبوبها . لسعته وتباعد أطرافه . والمشتبه :المختلف . المتان : جمع متن وهو مانشز من الأرض وصلب. (انظر شرح الديوان ٢٦٣).

[٥] الأفاني : جمع أفانية وهي الشجرة الصغيرة (أنظر شرح الديوان ٢٦٣).

وتشابهت معالمها . ثم راح ليرسم لنا صورة حسية مفردة تدل على اقفرار أرض هذه البلد، وشدة مابها من جدب ، فأخذ يشبه مواضع بيض القطا وهي مستوية عليـه ، بالشـجر الصغير الذي لم يرتفع عن سطح الأرض . ويبدو أن الشاعر قد جاء بهذه الصورة للدلالة على ماذهب إليه من وصف ، بأن هذه الأرض جرداء لازرع فيها ، وأن هذه الأفاحيص تمثل صورة تعويضية قد نابت في أمكنتها وأشكالها عن الزرع الذي يوجد عادة في سـائر الأماكن .

وقال يصف ديار أم معبد التي درست معالمها ،ويشبه أثافي الكانون التي بها ، بالحمام [1].

عَشـيتُ ديـاراً بِـالنقيع فَنَهمـد ... دوارس قَد أقوين مـن أم معبـد
أربـت بِهـا الأرواحُ كُـل عشـية ... فَلم يبق إِلّـا آلُ خـيمٍ مُنضـد
وغَـيرُ ثَـلاث كَالحَمـام خوالـد ... وهـابٍ مُحيـلٍ هامـد مُتلبـد

في هذه الأبيات يحاول زهير أن يرسم صورة مفصله لآثار الديار التي درست بعد أن ذهب عنها أهل محبوبته (**أم معبد**) ، و يذكر مابقي فيها من الأشياء التي لم تندثر ، وبقي فيها شيء من معالمها،كآل الخيم : وهو عود له شعبتان يعرض عليه عود آخر ثم يلقى عليـه نبات الثمام [2]، والأثافي ، وراح يشبه الأثافي : وهي حجارة القدر ،وقد حال عليها حول من الزمن والرماد يكسوها ، بالحمام ،. وذلك لمابين الصورتين من ظهور أجسام صـغيرة فيها سواد .ويبدو أن الشاعر جاء بهذه الصورة ؛ لكي يدفع الوحشة التي تخيم على المكان ، ويبقي في نفسه شيئاً من الأنس ، والشعور بالحياة .

---

[1] ديوانه ١٦٠.وبهامشه : (ال خيم : جمع آله : وهو عود له شعبتان يعرض عليه عود آخر ثم يلقى عليه نبات الثمام .وهاب : رماد عليه هبوة . محيل : قد أتى عليه الحول ، وهامد : خامد .

[2] انظر شرح الديوان : ص١٦٠.

ب ـ (تشبيهات الطريق والصحراء) .

وقال زهير يصف صحراء واسعة ليست لها معالم واضحة تميزها، ويشبه الفراخ التي فيها ، بجنى الحنظل [1]:

وبيداءَ تيه تحـرجُ العـينُ وسـطها ... مُخفقة عَـبراءَ صـرماءَ سـملق
بها من فراخِ الكُـدرِ زُغـب كأنهـا ... جنى حنظلٍ في محصـنٍ مُتفَلـق
قَطعـتُ إذا مـا الآلُ آض كأنـهُ ... سُيوف تنحّى نسـفَةً ثُـم تلتقـي

يرسم زهير لوحة فنية متكاملة صور فيها الصحراء التي قطعها بكل تفاصيلها ، ودقائقها ، وذلك عن طرق تشبيه مركب ، فبعد أن وصف هذه البيداء بأنها واسعة ، تندهش العـين لسعتها وامتدادها ،وأنها صرماء لاماء فيها ولازرع ،ويشبه الزغب من القطا الموجود في ذلك المكان : وهي فراخه الصغار، بجنى ثمر الحنظل :وهو أيضا صغار الثمر وقد وضـعت في زنبيل وقد تكسرت ، وصغار القطا أول من تخرج من بيضها ، تكون إلى خالية مـن الريش عادةً فهي جرداء ناعمة الملمس مماجعل الشاعر يجد في ثمر الحنظل شبهاً في البنيـة والهيئة الحاصلة ، ثم بعد ذلك راح يستكمل الشاعر بقية عناصر الصورة في مشهد حـي متكامل البناء ، فشبه بريق السراب الذي ظهر له وهو يقطع هذه الصحراء بلمعان وبريق السيوف الذي يظهر تارة ويختفي تارة أخرى ، والبحث أمام هذه اللوحة الطبيعية الرائعة ، يلحظ مقدار مابذل الشاعر فيها من جهد حتى أخرجها لنا في قالب شعري راقٍ ، حقـق فيها الشاعر كل مقاييس الجودة البيانية ، فنقل لنا المشهد الحي بكل دقائقه وتفاصـيله ، بحركاته وألوانه ، ويبدو أن هذه التصوير الدقيق للمشاهد الحية ، وهذا القدر من الصنعة

---

[1] ديوانه ١٧٧. وبهامشه : (تحرج العين : تندهش . صرماء : لاماء فيها . سملق : لانبت فيها آض: صار . نسفة : خطوة.

في العمل الشعري؛ هي السمة التي جعلت النقاد يطلقون عليه وعلى من سار على نهجه من الشعراء بعبيد الشعر ، أو مدرسة الصنعة الشعرية .

وقال يصف طريقاً قطعه على ناقته الضخمة ،ويشبهه بالمجرة [1] :

على لاحبٍ مثل المَجرة خلتهُ إذا ما علا نشزاً من الأرض مُهرقُ
منير هداه ليله كنهاره جميع إذا يعلو الحزونة أفرق

فيرسم زهير صورة مفردة للطريق التي عبرها بناقته الضخمة ، و يشبه ذلك الطريق في وضوحه وسعته ، بالمجرة : وهي مجموعة من النجوم والكواكب لها مسار معلوم محدود واضح ، ثم أخذ الشاعر يفصل صفة هذا الطريق ، ويشبه السير في وسط هذا الطريق ليلاً بالسير فيه نهاراً، وذلك في وضوحه وبروز معالمه وظهورها له .

وقال يصف طريقا قديماً قد سلكه ، ويشبهه بالسيح اليماني وهو: الثوب اليماني المخطط[2] :

وأبيض عادي تلوحُ مُتونهُ على البيد كالسيح اليماني المُبلج
مخوف كأن الطير في منزلاته على جِيف الحَسرى مجالسُ تنتجي
زجرتُ عليه حُرةً أرحبيةً وقَد كانَ لونُ اللّيلِ مثلَ البرندج

---

[1] ديوانه ١٨٤.وبهامشه (: لاحب : طريق واضح . مهرق : صحيفة وهو فارسي معرب . أفرق: متفرق).

[2] ديوانه ٢٣٧. وبهامشه : (الأبيض : الطريق . العادي : القديم . السيح : الثوب المخطط . المبلّج : البين . الحسرى : العيية . البرندج : جلود سود).

في هذه الأبيات يرسم زهير لوحة بيانية ، محاولاً فيها تصوير الواقع كما يختلج في نفسه ، فيبين صورة ذلك الطريق القديم الذي سلكه ، و يشبهه بـالثوب اليمـاني المخطـط ، والجامع بين الصورتين ، ظهور أشكال وعلامات مختلفة وبارزة ، وذلك إظهاراً لمعـالم ذلك الطريق ووضوحه عند الشاعر ، ثم أخذ الشاعر يصف لنا حال هذه الطريق ويـبين أن السير فيها مثير للخوف ، مبعث للفزع ، ويظهر وحشة هذا المكان وهذه الطريـق ، فشبه حال الطير التي فيها بحال الطير التي تتناجى على انفراد وهي جاثمة علـى جيـف الحيوانات المتعبة من جهد الطريق ،و أخذ الشاعر يصف حال تلك الأماكن والديار الـتي قطعها وهو يسير في هذه الرحلة عبر هذا الطريق الموحش ، ويرسم صورة تظهر قتامـة الجو الذي يسير فيه ، وشدة ظلمته ، فشبه لون الليل باليرندج [1]:وهي الجلود السوداء ، والجلود السوداء ،من الأشياء التي تبعث القلق ، وتثير الكآبة والتشاؤم في النفس البشرية ، خاصة وأنها مستخلصة من بقايا الحيوانات الهالكة ، وكأن الشاعر أراد من هذه الصـورة بثّ الفزع في النفس ، وتحريك مكامن الخوف من ملاقاة نفس المصير .

وقال يصف أرضاً نزل بها حمار الوحش ، ويشبه ألوان زروعها في فصل الربيع ، بألوان الوشي [2]:

فَـاعتم وافتخـرت زواخـرُهُ بِتهـاولٍ كتهـاول الـرقم

فزهير يصف أرضاً نزل بها حمار الوحش وأتنه ، وقد أصابها المطر في أول الوسم ، فهـو يصف منظر الربيع ، وجمال النبات ،والزروع ، ويشبه أولوانها المختلفة ، بألوان الوشي ، والجامع بين الصورتين ، تماوج الألوان ، وتعددها واختلاف مابينها ، وذلك تزييناً لحـال الأرض ، ورسم صورة مبهجة لها .

---

[1] انظر شرح الديوان :ص٢٣٧.

[2] ديوانه : ص١٨٩.

ثانياً: تشبيهات الناقة وتفريعاتها :

قال زهير يصف ناقته التي ارتحل عليها قاصداً هرم بن سنان [1]:

فَلَمّـا رأيـتُ أنهـا لا تُجيـبُني	نهضت إلى وجناءَ كالقَحلِ جلعـد
جمالِيّـة لم يُبـقِ سـيري ورحلـتي	على ظهرها من نيها غـير محفـدِ
كَهمك إن تجهد تجِـدها نجيحـةً	صبوراً وإن تسـترخِ عنـها تزيـد
وتنضـحُ ذفراهـا بِجـون كأنـهُ	عصيمُ كُحيـلٍ في المَراجِـلِ مُعقَـد
كخنساءَ سـفعاءِ المَلاطـمِ حُـرة	مُسـافرة مـزؤودة أم فَرقَـد
عَدت بِسِـلاحٍ مثلـهُ يُتقـى بِـه	وَيُؤمنُ جـأش الخـائف المُتوحـد
وسامعتينِ تعـرفُ العتـق فيهمـا	إلى جذرِ مدلوك الكُعـوبِ مُحـدد
ونـاظرتينِ تطحـران قَـذاهُما	كأنهُمـا مكحولتـان بإثمـد
طباها ضحاءٌ أو خـلاءٌ فَخالَقَـت	إليه السِـباعُ في كنـاسٍ ومرقَـد
أضاعت فَلم تُغفَـر لهـا خلواتهـا	فَلاقَت بيانـاً عنـد آخـر معهـد

---

[1] ديوانه ص١٦٠.-ص١٦٥ وبهامشه : (وجناء : ناقة غليظة ضخمة الوجنات . جلعد: شديدة . نيها : شحمها . محفد :أصل السنام . نجيحة : سـريعة . التزيـد : ضـرب مـن السـير فـوق العنق.الذفريان : الحيدان الناتئان في القفا . الجون : الأسود . عصيم : الأثر ، ويقـال : القطـران . معقد : مطبوخ .خنساء : بقرة والخنس : تأخر الأنف في الرأس . السفع : سواد في حمرة . مزؤودة : مذعورة . الفرقد /ولد البقرة .مدلوك الكعوب : قرونه مدلوكة ملس .الكعوب : مابين العقدتين في القرن والقناة . محدد : أي محدد الرأس . شلو : بقية الجسد . مقدد : مخرق .وحشيها : جانبـها الأيمن الذي لايركب منه . رازقي : الكتان . معضد : مخطط. الغوث : قبيلة من طـيء. أنفاقهـا : طرقها .يجشمانها : يكلفانها ويحملنها عليه . تجهد : تسرع . تبذ: تسبق وتغلب نجاء : أنقذها نجاء . مذود : مدافع عن نفسه . دواخن : جمع دخان . غرقد : شجر له شوك . ملتئمـات : القـوائم . الخذاريف : الخرارة التي يلعب بها الصبيان . الأطبة : جمع طبابة وهي السير والطريقة . الصـرف : الصبغ الأحمر . القضيم : الجلد . المصرد : المثقب المقطع).

دماً عند شلوٍ تحجُلُ الطيرُ حولَهُ ... وبضع لحامٍ في إهابٍ مُقَدد
فَجالت على وحشيها وكأنها ... مُسربلةٌ في رازقيٍ مُعضد
وتنفُضُ عنها غَيب كُل خميلة ... وتخشى رُماةَ الغوث من كُل مرصد
ولم تدرِ وشك البين حتّى رأتهُمُ ... وقَد قَعدوا أنفاقَها كُل مقعد
وثاروا بها من جانِبيها كليهما ... وجالت وإن يُجشمنها الشد تجهد
تُبذ الأُلى يأتينها من ورائها ... وإن تتقَدمها السوابِقُ تصطَد
فَأنقَذَها من غَمرة المَوت أنها ... رأت أنها إن تنظُرِ النبلَ تُقصد
نجاءٌ مُجِدٌ ليس فيه وتيرةٌ ... وتذبيبُها عنها بأسحم مذود
وجدت فألقت بينهن وبينها ... غباراً كما فارت دواخن غرقد
يُلُنئمات كالخَذاريف فويلت ... إلى جوشنٍ خاظي الطَريقَة مُسند
كأن دماء الموسدات بنحرها ... أطبة صرف في قضيم مصرد

في هذه الصورة التشبيهية ، يرسم زهير ، لوحة مفصلة ،يبين فيها صفات ناقته التي ارتحل عليها، قاصداً بها هرم بن سنان ، و يظهرها في صورة ضخمة ، فشبهها، بالبعير الفحل ، إظهاراً لعظمها وضخامتها ، وقوتها . ثم انتقل ليؤكد هذه الصورة، ويثبتها في الأذهان ، ، فشبه ناقته ، بالجمل في ذكورية الخلقة ، وشدتها ، وضخامتها ؛ بياناً لقوة تحملها عناء السفر ، والصبر على مشقة الرحلة . فهي كما يريدها صاحبها في السفر . وشبه حالها ، و ما تتميز به من توفر سبل الدعة والراحة ، بحال من يروم غاية المطلب في راحلة السفر ، وأعلى ما تحمله من صفات الراحة ، والرفاهية ، و ذلك ؛ إظهاراً لسرعتها، وعدم تكلفها المشقة ، والعناء في السير ؛ فهي أسرع ما يكون إن طلب منها ذلك ، وإن تركتها لم تبطء في سيرها . ثم انتقل الشاعر ليبين كد هذه الناقة ، ومقدار الجهد الذي تلاقيه، في سبيل الوصول إلى مبتغاها ، فشبه الذفريين : وهي الحيدان الناتئان في قفا الناقة [1]، بعصيم الكحيل [2]: ،هو آثار القير الأسود الذي يخرج من باطن الأرض ، أو القطران

---

[1] انظر شرح الديوان : ص١٦٢.

[2] شرح الديوان : ص١٦٢.

المطبوخ ، الذي تطلى به الإبل الجربى ، والجامع بين الحيدين ، والكحيل هو سواد اللون ، وذلك إظهاراً لما تبذله الناقة من غاية الجهد ، وما تلاقيه من غاية التعب ، والنصب في رحلتها . ويبدو أن زهير في كل يصوره ، وما يظهره ، إنما يصف حاله ، وما يتكبده من العناء ، والنصب ، في سبيل الوصول إلى ممدوحه هرم بن سنان .

ثم ينتقل إلى رسم صورة أخرى يبدو أنها أقدر على وصف الحالة التي كابدها ، فهـي تصور أدق التفاصيل التي مر بها ، ويستطيع أن ينفذ من خلالها إلى التعبير عن كل مادار في خلجاته ، وهمهمات نفسه، التي يصعب على ملكة البيان ، وطاقات التعبير إخراجهـا من دفين النفس البشرية المعقدة . فشبه ناقته ، وحالها وهو مرتحل عليها ، ببقرة وحشـية خنساء ، أي: في أنفها تأخر ، ولون خديها ضارب بين السواد والحمرة ، وهذه البقرة ، حرة ،كريمة ، عتيقة ، تسافر من أرض على أرض ، وهي مذعورة؛ خشية على فرقـدها التي تصطحبه معها . وهي ماضية في سفرها ،ليس لها ما تدافع به من سلاح غير قرنها التي يمكن أن يؤمن جأشها المتوقد ، وأذنيها الدالة على عراقة أصلها، التي تتحسـس بهمـا ماحولها ، وتستشعر الخطر عن بعد قبل أن يحدق بها وبولدها ، وعينيها اللتين ترقب مـن خلالهما سلامة المكان وأمنه ، وخلوه مما يثير الفزع لديها. وشبه الشاعر حال هذه العين ، بحال العين المكحولة بالإثمد ، إظهاراً لقوة ، إبصار هذين العينين ، ونفاذهما إلى مكـامن الخطر . ويحمل هذا التشبيه معنى كنائي عن حدة الإبصار عند هذه البقرة ؛لأن الإثمـد : كحل معروف يستخدم لتجلية البصر ، وتقويته . وهذه البقرة نزلت في مكان يطيب لهـا فيه المآكل ، والاختلاء بنفسها فيه ، وبينما هي ترفل بطيب العيش ، منهمكة في رعـي المكان الخالي ، وهي تبتعد شيئاً فشيئاً عن ولدها ، حتى غفلت عنه فخالفت إليه السباع ، حتى إذا ذكرت ابنها ورجعت إليه ، فإذا السباع قد افترسته ولم تبق منه إلا جلـده ، ودماءه المضرجة عند آخر موضع عهدته فيه . وبقية أشلاءٍ من جسده الممزقـة ، تحجـل حوله الطير . فذهبت هذه البقرة وجاءت ، وهي تسير بسرعة موجهة جانبها الأيمن الذي لايركب منه ، وقد صور الشاعر حال هذه البقرة، وبياض لونها ، وشبهها بحال من يلبس قميصا أبيضاً مخططاً نسج من الكتان ، ويبدو أن الغرض من التشبيه ، بروز لـون هـذه البقرة ، وصعوبة اختبائها عن عيون الصائدين ، الذين يجِدون في الطلب إليها ، فأخذت

هذه البقرة تبحث عن مكان يسترها ، فأخذت تنظر نحو الخمائل الملتفـة ، عسـى أن تختبئ بينها ، وتحمى نفسها من سهام الصائد المتربص لها ، وبينما هي كذلك ، حتى رأت هؤلاء الصيادين قد قعدوا لها كل مرصد ، وأخذوا في في لحاقها بكلابهم ، من كل جانب ، وهي تجهد في طلب النجاة ، والإفلات من هذه الكلاب ، فتسبق ماجاء من خلفها من الكلاب ، ومن استطاع من السوابق منها اللحاق بها ، فإنها تنفذ إليه بقرنها لتنحيه عنها ، فجدت في الفرار عنهم ، ولم تستطع الكلاب اللحاق بها، فصور الشاعر الغبار الحاصـل من مقدار المسافة ، والبعد التي تركته بينها وبينهم ، وشبهه بالدخان المنبعث من شـجر الغرقد ، وهو شجر ذو شوك ، والغرض هو إظهار نشاط هذه البقـرة ، واستشـعارها الهلاك ، حتى نفذت بسرعة فائقة خلفت وراءها كل هذا الحجم مـن الغبـار. ثم انخـذ الشاعر يؤكد عل سرعة هذه البقرة ، وقوة احتمالها ، ونشـاطها ، و يصـور قوائمهـا ويشبهها ، بالخذروف ، وهو عود أو قصبة مشقوقة ، يفرض في وسطه ، ثم يشد بخـيط فإذا أمر ، دار وسمعت له حفيفاً ، يلعب به الصبيان [1]. وذلك إظهار للمبالغة في وصف البقرة بالسرعة ، فعادة ما يوصف الحصان بالخذروف لسرعته، فكان إحساس هذه البقرة بدنو أجلها ، لقرب نبل الصائدين منها ، وقوة تحملها ، و نشاطها ، حـتى اسـتطاعت الفرار . وكذلك واستخدام قرنها الأسحم في الذب عن نفسها . ثم انتقل الشاعر لمشهد تصويري آخر، يختم به حكاية هذه البقرة ، وقصة معاناتها وانتصارها التي حققتـه بعـد حزنها على فقدها ولدها ، فشبه دماء الكلاب المخضبة على نحرها من جراء قرنها الـتي تصطاد به الكلاب ، بالصباغ الأحمر ، في الجلد الممزق المثقوب ، ،وذلك إبرازاً للحالـة التي وصلت إليه هذه البقرة ، والمهالك التي مرت عليها ، حتى كادت أن تلقى حتفهـا ، بعد أن لقيه فرقدها الصفير ، فهي صورة تحمل في طياتها رمزا ، للمعاناة ، والتضـحية ، ورباطة الجأش .

---

(١)اللسان : (حذف) ج٩/ ص ٦٢ .

قال يصف بعيره ،ويشبه صوت صريفه بصوت طائر الأخطبان [1] :

كـأن صـريف نابيـه إذا مـا أمرهُم ـا تـ ـرنمُ أخطبـ ـان

يرسم زهير في هذه الأبيات صورة تشبيهية مفردة لبعيره الذي ارتحل عليه ، بعد أن بـين في أبياتٍ سابقة وصفاً لعظمته و ضخامته ، ويصف صوت صريفه ، ويبرز قوته، فيشبهه بصوت طائر الأخطبان ، والجامع بين الصورتين ، صدور صوت عالٍ مـنظّم. إظهـاراً لعظم صوت هذا البعير الدال على عظم هيئته ، وكبر حجمه .

وقال يصف إبلاً قد غصبت على مرأى ومسمع الناس [2] :

فَـإن تـكُ صـرمةٌ أخـذَت جِهـاراً كغـرس النخـل أزرهُ الشـكيرُ

فَـإن لكُـم مـآقط عاسـيات كيـوم أضـر بالرُؤسـاءِ إيـرُ

فيصف زهير هذه الإبل المغصوبة التي أخذت جهاراً ، ويرسم صورة لها ، فشـبه حـال الإبل ومعها صغارها ملتفةً حولها ، بحال طوال النخل ، التي التفت حولها صغار النخـل ،والجامع بين الصورتين ظهور أجسام كثيرة ملتفة حول بعضها البعض ، وذلك إظهـاراً لكثرتها وبروزها للعيان، الأمر الذي يدل على استخفاف القوم ، وعدم الاكتراث بهم ؛ وفي ذلك إذلالاً وإهانةً لهم . وقد بنى الشاعر صورته على الجملة الشرطية ، وجاءت في جوابها ،صورة ترد عليها ، محملة بالوعيد والتهديد ، فهذه الإبل التي أخـذت جهـاراً ، سوف يكون مقابلها أمور لن يسكت عنها وسوف تولد النزاع والحـروب ، ويكـون

---

[1] ديوانه ٢٦٢.وبهامشه : (الأخطبان : اسم طائر ، سمي بذلك لخطبـة في جناحيـه ،الخطبـة : الخضرة).

[2] ديوانه ٢٥١.وبهامشه : (الصرمة : من الإبل : مابين العشرين أو دون العشرين . أزره : أحاطه . الشكير : صغار النخل مآقط : مضايق للحرب . عاسيات : يابسات . إير : موضع وقعة .

وقعها قاسٍ على الأعداء ، تشبه في وقعها وأثرها ، يوم إير : وهو جبل كانت به وقعـة ، وقيل جبل بأرض غطفان [1]) .

وقال يصف سرعة بعيره ، واتساع خطاه في المسير [2]:

وكُـل عُريـري كـأن فُروجـهُ إذا رفعت منـهُ فُـروجُ حصـان
كـأن جسـيمات القَعائـد حولـهُ من الخَيل كُمـت قُربـت لرهـان
كـأن كُحـيلاً خالطتـهُ عنيـةٌ يـدفين منـها اسـترخيا ولُبـان
تظُـل تمطّـى في الزمـام كأنهـا إذا بركت قَـوس مـن الشـريان

فيصف، سرعة بعيره ، ورحابة مابين رجليه وقدميه ، وذلك عن طريق رسـم صـورة مركبة ، فشبه حال اتساع فروجه ورحابة مابين رجليه وقدميه إذا أسرع في السير ، بحال فروج الحصان ، و إعطاء وصف دقيق عن سرعة هذا البعير ،ورحابته . ثم بعـد ذلـك انتقل الشاعر ليصف ضخامة هذا البعير وعظم حجمه ، فشبه البعير وحوله ضخام القعائد :وهي القعائد التي يقتعدها الرجل ليركب عليها ، بحال الأفراس من الخيل التي صـفت ، وعدت للسباق والمنازلة وكسب الرهان ، وهو هنا لا يريد إظهار كبر حجم بعيره قياساً بغيره من الإبل ؛ لأنه وصف بعد ذلك بعيره إذا برك وشبهه بالقوس المتخذ مـن شـجر الشريان ، وتشبيه البعير بالقوس يظهر منه الدلالة على نحول الناقة ودقتها ، مـا يجعـل الحديث في وصف الناقة في السرعة أنسب للمقام ؛ فهو ـ على مايبـدو ـ يريـد أن

---

[1] الأمكنة والمياه والجبال ، ص٥، لجار الله محمود الزمخشري ، ت/ إبراهيم السمرائي ، ١٩٦٨م، ينظر معجم البلدان : ج١/٣٤٤. ياقوت الحموي ، ت/فريد عبد العزيز الجندي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

[2] ديوانه ٢٦٧-٢٦٨وبهامشه :(غرير : منسوب إلى غرير وهو اسم فحل كريم .القعائد جمع قعود ، وهي التي يقتعدها الرجل ليركبها . كمت: جمع كميت : الفرس وهو الفرس بين الأحمر والأسـود .عنية : البول يجعل في القطران . لبان : الصدر).

يستظهر سرعة هذا البعير وتجاوزه القعائد التي حوله والتي رسم لهـا صـورة وشـبهها بالأفراس وهي مستعدة للانطلاق ، والمنافسة في كسب الرهان ، وهذا المعنى الذي رمـى إليه الشاعر معنى دقيق يحتاج إلى عمق في ربط بعض عناصر الصورة بـبعض ، .ثم بعـد ذلك انتقل الشاعر ليستكمل قصة رحلته على الناقة فوصفها عبر صورة مركبة ، وشـبه حالها ، بحال ناقة قد صب عليها سائل الكحيل ـ وهو سائل أسـود يشـبه الـنفط يستخرج من باطن الأرض ـ و خلط معه بولها مع القطران، وصب على جنبيها ،وعلى صدرها ، ثم أخذ الشاعر يصف الناقة وقد امتطت في حبلها ، فشبهها في حالـة كونهـا باركة ، بالقوس المتخذ من شجر الشريان (وهو شجر معروف يتخذ منـه القسـي)، والجامع بين الصورتين الهيئة الحاصلة في التقوس بين حال الناقة ، وهيئة القوس ، وربمـا عمد الشاعر إلى اختيار القوس لمشابهتها له في المتانة ، والمرونة .وذلك بياناً لصلابة هـذه الناقة وقوتها .

وقال يصف سرعة واتساع خطا ناقته في المسير ، ويشبهها بالنعامة [1]:

هـل تُبلغنّـي إلى الأخيـار ناجِيـةٌ تخدي كوخد ظليمٍ خاضبٍ زءـر

فزهير يفتتح قصيدته ، بأسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى الترجي ، والترغيب في السير على وجه السرعة ، إلى ممدوحه هرم بن سنان المري ، و يرسم تلك الرغبـه في السـير ،بأقصى سرعة ممكنة ، فوجد أفضل وسيلة لذلك ، تشبيه ناقته ، بـذكر النعـام الـذي تخضبت ساقاه من نبات الربيع ، وهو في غاية النشاط ، يسير هذا الظليم في يوم غائم وهو في عجل ، من أن يسقط المطر فقطع الطريق عليه ، ليحول دون الوصـول إلى غايتـه ، فأوى إلى (جبل حضن) ليحتمي فيه حتى يصحو الجو ، فكان المشبه مفرداً ، والمشبه بـه صورة مركبة ، والمراد من ذلك ، بذل غاية السرعة في طلب الممدوح والوصول إليه ، مما يدل على حسن ملاقاته ، وكرم وفادته ، وطيب أصله . وقد تحمل هذه الصـورة في

---

[1] ديوانه، ص٢٣٢.وبهامشه :(الناجية: الناقة السريعة .تخدي : تسرع وتوسع خطاهـا. الزءـر :النشيط) .

طياتها دلالات رمزية ، فكأن الجو الغائم المؤذن بنزول المطر ، يرمز إلى نكبات الـدهر ، وصروفه اللائحة في الأفق ، والذي يجد الشاعر في ممدوحه ملاذاً آمنا يخفف عنـه تلـك الصروف ، فهو كالجبل الذي يلتجأ إليه إذا حزب الأمر .

وقال في وصف الناقة ـ أيضاً ـ مبيناً صلابتها وقوة تحملها ، ويشبهها في ذلك بحافـة الجبل ،ثم يستطرد في وصفها ([1]):

حـرف عُـذافرةٌ تجِـد بِراكـبِهِ وكأن حاركهـا كثيـب أحـدبُ
وكأنهـا إذ قُربـت لقُتودهـا فَدنٌ تطـوفُ بِـه البُنـاةُ مُبـوبُ
وكأن أعيُـنهُن مـن طـول السُـرى قُلُـب نـواكزُ مـاؤُهُن مُنضـبُ

يصف زهير ناقته وصفاً دقيقاً ، حيث شبه ناقته ، بالحرف ، والحرف : حافـة الجبـل ، وذلك إظهاراً لقوة الناقة وصلابتها ، ثم أتبعها صورة أخرى ،جاءت تتميمـا وتأكيـداً للصورة التي ابتدأها ، فشبه أعلى كاهلها ،بالكثيب الرملي المحدب ، وذلك تأكيداً على ضخامة ناقته ، وشدتها ، وصلابتها ، ثم انتقل في البيت الذي بعده ليصف لنا ميزة أخرى من مميزات ناقته ، عن طريق صورة مركبة ، فشبه حال ناقته وقد استعدت للمسير بعد أن وضع عليها خشب الرحل ، بالفدن : وهو القصر المشيد ، وذلك محاولة لإظهار سـلامة سيرها ، وسلاسته ، وشعور راكبها بالراحة أثناء الارتحال عليها، ويبدو أن القصر المشيد ، يعطي دلالة وشعورا بالفخامة ، والراحة ؛ مما جعل الشاعر يوفق في دلالة الصورة علـى المعنى . وبعد ذلك انتقل الشاعر ليصف لناصورة أخرى من صور ناقته التي تـدل علـى جدها وجهدها في المسير بلا انقطاع ، فشبه عيون ناقته ، وحالها من طول السفر المتواصل ، والجهد الذي لم ينقطع ، بحال البئر القديمة التي قد جف ماؤها ونضب ولم يبق منـه إلا القليل الغائر ، وهو بهذا التشبيه، قد رسم مشهدا ، ولوحةً فنية مليئة بالتصوير والرسومات

([1]) ديوانه٢٧٦.وبهامشه : (عذافرة : العظيمة الشديدة . الحارك : أعلى الكاهل. الفـدن : القصـر المشيد . قلب: جمع قليب وهي البئر القديمة . النواكزة : جمع ناكزة ، وهي القليلة الماء . منضـب : البعيد).

، والشاعر قد أحسن في التقاط الصور ، وبناء وتشكيل الصورة البيانية ، ممايـدل علـى براعته في استثمار المشاهد التي قد تبعد عن منزع الخاطر الاعتيادي ، ولا يفطن لهـا إلا شاعر لمّاح مرهف ، قد رزق خيالاً شاطحاً ، وموهبة فذة في تشكيل الصور الفنية البيانية .

وقال يصف ناقته وقد جدت في السير [1] :

كـأن بِضـاحي جِلـدها ومقَـذها نضيح كُحيـلٍ أعقَدتـهُ المَراجِـلُ

يصور زهير ناقته ،وهي تجد في السير، ويشبه حالها والعرق ينضح من قفاها ومابين أذنها ، بسائل القطران المطبوخ الذي تطلى به الإبل في معاقدها ، والجامع بين الصورتين ،هـو البلل الحاصل في قفاها ورقبتها، وذلك إظهاراً للجهد ، والتعب الذي تبذله الناقة في المسير . ويبدو أن مقذ الناقة يحمل خصوصية في جسم الناقة : وهو موضع مابين الأذنين مـن القفا حيث هو المكان الأبرز الذي يظهر سلاسة مشي الناقة وسرعتها . ويتبين من خلاله جد الناقة في قطع المسافات الطويلة .

وقال يصف سرعة ناقته ويشبهها بالنعام [2]:

مثـلُ النعـامِ إذا هيجتهـا ارتفَعـت على لُواحب بيضٍ بينهـا الشـركُ

فيصف زهير سرعة ناقته ، ويشبهها في ذلك بالنعام أذا تهيج، وهو يسير علـى الطريـق الواسع الواضح ، وذلك إظهاراً لسرعة هذه الناقة، وخفة سيرها على الطريق .

وقال _ أيضاً _ ، يصف سير ناقته ويشبهها بالنعام [3]:

---

[1] ديوانه : ص٢١٦.وبهامشه : (ضاحي جلدها : ظاهره . المقذ : مابين الأذنين من القفا. النضيح : رشاش العرق والماء) .

[2] ديوانه،ص١٣٠.

[3] ديوانه :ص٥٧-٥٨وبهامشه : (جؤجؤه : صدره . هواء : لامخ فيه) .

كـأن الرحـلَ منـها فَـوق صـعلٍ ... مـن الظلمـان جُؤجُـؤُهُ هـواءُ
أصـك مُصـلم الأذُنـين أجـنى ... لـهُ بالسـي تنـوم وآءُ

يحاول الشاعر إظهار صورة مفصلة ، تدل من على طريقة سير ناقته ، وسرعتها . فشـبه الناقة التي ارتحل عليها الشاعر وعليها الرحل ، بالصعل ،: وهو الظليم الـدقيق العنـق ، صغير الرأس ، لاعقل له . وقد عرف عن الظليم بأنه كالمجنون في تصرفاته ، وتسـرعه ، وعدم اتزانه ، وجاء الشاعر بهذه الصورة التشبيهية ؛ لبيان خفة وسرعة هذه الناقة الـتي تشبه الظليم ، في الخفة ونشاط الحركة والسرعة .

وبعد فراغ الشاعر من وصف ناقته وتشبيهها بالظليم ، انتقل - على عادته وعادة أغلب الشعراء الجاهليين - ،إلى وصف حمارالوحش ، والانتقال بهذه الطريقة وهذه الصورة تمثل حالة أخرى توازي الحالة الأولى في الدلالة الرمزية التي ترمي إلى إبراز حجم مابذل الشاعر من جهد في رحلته التي لاقى فيها كثيراً من المتاعب ، والمصاعب ،و التي كاد أن يهلـك فيها . فبعد الانتهاء من العرض المفصل عن وصف ناقته ، وتشبيهها ، بـالظليم ، راح ليحكي لنا قصة أخرى تمثل المعاناة من منظور أخر:

أذَلـك أم أقـب الـبطن جـأب [1] ... عليـه مـن عقيقتـه عفـاءُ
أقـب كصـدر أسـر ذي كعـوب ... لـه مـن كـل ملمعـة إبـاء
تربـع صـارةً حتّـى إذا مـا ... قَـنى الـدُحلانُ عنـهُ والإضـاءُ
ترفـع للقَنـان وكُـل فَـج ... طبـاهُ الرعـيُ منـهُ والخَـلاءُ
فَأوردهـا حيـاض صُـنيعات ... فَألفـاهُن لـيس بهـن مـاءُ
فَشـج بهـا الأمـاعز فَهـي تهـوي ... هُـوي الـدلو أسـلمها الرشـاءُ

---

[1] عقيقته : وبره : عفاء : صغار الوبر . الملمعة : الأتان أشرقت ضروعها للحمل .
صارة: موضع . الدحلان :البئر الجيدة الموضع . طباه الرعي : دعاه مافيه من الرعي .
شج: علا. أسلمها : خذلها . الوعث: الرمل التي تغيب فيها الأرساغ . خاذمته : عارضته .
(هامش الديوان ٦٠/٥٩).

فَلَيس لَحاقُهُ كَلَحاقِ إلف ... ولا كَنجائها منهُ نجاءُ
وإن مالا لوعث خاذَمتهُ ... بِألواحٍ مفاصلُها ظماءُ
يخر نبيثُها عن حاجِبيه ... فَلَيس لوجهه منهُ غطاءُ [1]
يُغردُ بين خُرمٍ مُفضيات ... صواف لَم تُكَدرها الدلاءُ
يُفَضلُهُ إذا اجتهدا عليه ... تمامُ السِن منهُ والذَكاءُ
كَأن سحيلهُ في كُل فَجرٍ ... على أحساءِ يمؤود دُعاء
فَآض كَأنهُ رجُلٌ سليب ... على علياءَ لَيس لَهُ رِداءُ
كَأن بريقَهُ برقانُ سحلٍ ... جلا عن متنِه حُرُض وماءُ
فَلَيس بِغافلٍ عنها مُضيعٍ ... رعيتهُ إذا غَفَلَ الرِعاءُ

ينتقل الشاعر إلى وصف الحالة الثانية الموازية أو المكملة والمستوعبة للحالة الأولى ، والتي تمثل ناقته ، ورحلته عليها ، فرسم صورة وصفيه بيانية مفصلة يمكن أن تكون رمزاً للمعاناة التي لاقاها في رحلته إلى ممدوحه . فالموصوف هو حمار ضامر البطن ، غليظ الخلقة ، يكسو جلده وبر قصير ، ثم يشبه هذا الحمار بالرمح المعقود ، إظهاراً لمدى ضموره ، وشدته ، ثم انتقل بعد ذلك ليحكي لنا قصته ، وكيف انتقل من "**صارة**" ، و"**الدحلان**" بعد أن فنى منها الربيع ، ونزل با"**لقنان** "ليتربع هناك ، وقد طابه الرعي فيها ، وبعدها وخلاؤها من الناس ، وبعد أن فرغ من الرعي، أراد أن يرد هذا الحمار بأتنه ، موارد الماء " **بحياض صنيبعات** " فتفاجأ بعدم وجود الماء فيها ، فعلا بها بعد ذلك إلى مكان صعب غليظ ، كثير الحصى ، ثم ذهب الشاعر لينقل لنا صورة الأتن وهي تتهاوى من هذا المكان الغليظ ، وذلك عن طريق صورة حسية مركبه ، فشبه حالها وهي كذلك تتهاوى ، وتتساقط من ذلك المكان الغليظ ، وقد امتلأت به ، بحال الدلو حين يملأ ، ثم

---

[1] نبيثها : ماحفرته بحوافرها فألقته على وجه الحمار . خرم : غدران. مفرطات: مملوءات .
سحيله : صوته . أحساء يمؤود : مواضع يكون فيها الماء . آض : صار . سليب: عاريان .
سحل : ثوب يمان أبيض .(هامش الديوان ٦٣/٦١)

يرفع ، فينخذل الحبل ،لينقطع ويهوي الدلو مرة أخرى في البئر ، والشاعر قد برع حـين صور المشهد بصورة حسية دقيقة ، نقل فيها إحساسه ، ومشاعره ، وصورة الخذلان التي أحستها هذه الأتن وهي تهوي ، وقد استطاع أن ينقل للمتلقي، الحالة النفسية للأتن ،من خلال الصورة الحسية ، ،وأن يشعر بصورة هذا الخذلان، جراء سقوط الدلو بعد أن ملأه الساقي ، واستشرفه ، ليتناوله بيده ، فإذا بالحبل ينقطع ،يعود إلى مكانه وقد انهدم فـرح هذا الساقي ، وقد أصابه الخذلان من انقطاع الحبل .فأخذ الشاعر يصور لحاق هذا الحمار لأتنه ، ويقول :أن لحاق هذا الحمار لأتنه ،لايمكن أن يوصف في السرعة ، حـتى لحـاق الإلف لإلفه ، وذلك مبالغة من الشاعر في حرص هذا الحمار على نجاة أتنه ، ثم عطـف عليها جملة ، ينفي فيها وجود شبيه لهارب يهرب من هذا الحمار ، يشبه هرب هذه الأتان منه ، وقد بنى الشاعر التشبيه على النفي ، وذلك مبالغة منه في تثبيت المعنى في ذهن المتلقي ، ثم أخذ الشاعر يستكمل الصورة ، فيقول: إن ازدحمت الأتان والحمار ، في مكان رمل لين تغيب فيه أرساغهم ، جاهدته هذه الأتان في عدوها ، وعارضته فيها ، وهذه الأتـن تلقي ماحفرته بحوافرها ، على وجه الحمار ، وحاجبيه ، وهو لايرد ذلك ، فظلت هـذه الحمير تصوت (بين خرم)، وهي مملوءة فرحاً ، قد ا نخرم بعضها إلى بعض ، وهيه صافية لايستقى منها ، فيكدرها الدلاء .ثم انتقل ليتفرد في وصف هذا الحمار ، ويظهر محاسـنه ،فهو يفضل هذه الأتان في السرعة ، و في تمام السن ، وذكاء النفس ، ثم يتعمق الشاعر في وصف الحمار ، فيرسم له صورة مركبة ، فيشبه صوت هذا الحمار في ساعة السحر من الفجر ، وهو واقف على أرض فيها ماء ، بصوت إنسان يدعو صاحبه . ويبدو أن اختيار الشاعر وقت الفجر تحمل في طياتها دلالة مقصودة ، تنبيء عن دقة الشـاعر في وصـفه ، وتحريه في نقل الصورة ، فالحمار أكثر مايكون نهيقاً ساعة السحر .وقد كرر الشعراء هذا المعنى بصورة مختلفة عما جاء به زهير [1].

---

[1] فقد صور امرئ القيس صوت الحمار ساعة السحر و شبه الحمار وهو يردد النهيق ويطيل فيـه ويقصر ، بشارب خمر يتغنى . حيث يقول :

يغردُ بالأسحارِ في **كل سدفة** ٍ **تغرد مياد الندامى المطرب** (ديوان امرئ القيس ،ص ٤٥).

وكذلك جاءت صورة نهيق الحمار عند لبيد بن ربيعة حيث يقول [2]: ===

ـ ثم انتقل زهير ليصور لنا هذا الحمار في مشهد حسي ، وشبه حاله بحال رجل مسلوب ، واقف بمكان عالٍ وليس له رداء يستره ، والغرض من هذه الصورة ، ربما يفهم منها بروز هذا الحمار وظهوره بشكل لافت ، ثم راح الشاعر يبرز مظهر هذا الحمار، وصـورته ، في تأنقه ، وجمال مظهره ، فشبه لمعان ظهره ، وبريقه ، بثوب يمانٍ أبيض ، قد انجلا عنه الحرض ، والماء ، والحرض :هو الشنان [1]:، والمراد من إبراز هذه الصورة هو إظهار تأنق هذا الحمار ، وجمال مظهره ، وصفاء لون ظهره ، الذي يدل على دعته وقلة اسـتخدامه وركوبه . ثم يختم الشاعر وصف هذا الحمار بالصفة الأكثر أهمية ، وخصوصـيه لديـه ، وهو الغيرة على أتنه ، وعدم الغفلة عنها ، فلم يضيع أتنه أثناء رعيه معها.

=== **يطرب آناء النهار كأنه غوي سقاه** في **التجار نديمُ** (ديوان لبيد بن ربيعة : ص٩٦)

[1] الشنان : من الحمض فيه يسوى القلي الذي تغسل به الثياب ، ويحرق الحمض ، وتغسـل بـه الأيدي بعد الطعام . (اللسان : (حرض)٧ /١٣٥).

ثالثاً: تشبيهات زهير التي جاءت في وصف الإنسان:

أ ـ (الرجل) :

كان زهير شاعراً متحضراً ، وقد تهيأ له أن ينشأ في كنف حكيم من حكماء العـرب : خاله " بشامة بن الغدير " فلم يرث عنه الشعر والمال فحسب بل ورث عنه الخلق الكريم أيضاً .والرأي الصائب ، والحكمة والتعقل .[1] فلم يكن هجاءً ولا شاعر مفـاخرات ، وما كانت أبياته القلائل التي قيلت في الهجاء إلا انتصافاً للمظلومين ، أو دفاعاً عن حق من الحقوق ، أو من أجل مراعاة حقوق الجار ، كقصيدته التي هجا فيها آل حصن عندما نزل بأرضهم الغطفاني فنهبوا أمواله [2]:

ومـــا أدري وســـوف إخـــالُ أدري أقَـــوم آلُ حصـــنٍ أم نِســـاءُ

" فكان زهير بذلك شذوذاً على ذوق الجاهليين وأشعارهم التي تدور بفكرة الأخذ بالثأر ، والترامي على الحرب ترامي الفراش على النار " [3].

يقول زهير واصفاً صاحبه الذي سار معه في رحلته إلى هرم بن سنان [4] :

وأشعثَ قَـد طـارت قَنـازعُ رأسـه دعوتُ على طول الكَرى ودعـاني
مطـوتُ بِـه في الأرض حتّـى كأنـهُ أخو سببٍ يُرمـى بِـه الرجـوان
كـأن ذَوي الحاجـات حـولَ قبابِـه جِمالٌ لدى مـاءٍ يحُمـن حـواني

---

(1) انظر : "زهير شاعر الحق والخير والجمال" ، ص ٤٦.

(2) الديوان : ص٦٥.

(3) الشعر الجاهلي ، ص٣٠٨ ،د.شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة التاسعة عشرة .

(4) الديوان : ٢٦٩.وبهامشه : (القنازع : شعر رأسه . الرجوان : جانبا البئر . حواني : مفردهـا ، حانية ، وهي التي لوت عنقها من العطش).

يصور حال صاحبه الذي يسير معه في الرحلة إلى هرم ابن سنان ، بعد أبيات زيدت عن التسعة في وصف بعيره ، وما يتسم به من ميزات في السير . فراح يرسم صورة حال هذا الصاحب الناعس الذي يركب معه في السير، ويشبهه ، بحال من تعلّق بحبل البئر يتأرجح به ، وذلك لمابينهما من الميلان والتأرجح ، والغرض من الصورة التشبيهيه ، هو إظهـار السلاسة في سير هذه الناقة ، والتي يشعر الراكب عليها بالانسيابية والراحة حتى تغشـاه النعاس ، ويبدو أن وجهة الرحلة إلى هرم بن سنان ،قد ساهمت في انبعاث هذا الشعور ، وهذا الاطمئنان.وهي فكرة يمكن الربط من خلالها بين وصف الرحلة والغرض الذي أنشأ الشاعر من أجلها القصيدة ،ثم انتقل الشاعر ليرسم صورة للممدوحه هرم بن سنان ، تبين عظيم كرمه ، وجزيل عطاياه، و يشبه ازدحام ذوي الحاجات حول بيته ، بحال الجمـال التي قد تجمعت حول مورد الماء ،وقد تلوت أعناقها من شدة العطش ، وذلك لمابينهما من التجمهر حول مصادر الحياة والرزق، فالماء مصدر الطبيعة الأول الذي لا يمكن لكائنٍ حي الاستغناء عنه ، وهذه الجمال قد بلغ منها العطش والتعب الحد الذي أشرف بهـا علـى الهلاك ، وكذلك أصحاب الحاجات الواقفين بباب هرم ، قد بلغ بهم الجوع والفاقة الحد الذي جعلهم يتلمسون حاجاتهم ،فلم يجدوها إلا عند هرم ، فكأن هرم بن سنان كـان مصدراً للرزق ـ بعد الله ـ لايقل شأناً ـ في نظر زهير ـ عن الماء مصـدراً للعـيش بالنسبة لهذا الجمال الملتوية من شدة العطش .

وقال يصف أصوات قوم قد تعصبوا عصابات : [1]

تـداعت عُصـبةٌ مـن وُلـد نَـور كأسـد مـن مناطقهـا الـزئيرُ
كـأن علـيهُمُ بِجُنـوبِ عسـر عَماهـ ـأ يسـ ـتهل ويسـ ـتطيرُ

جاء هذان البيتان عقب أبيات حملت صوراً من صور التهديد ، والوعيد بالحرب ،للقـوم الذين سلبوا الإبل جهاراً . فهددهم زهير بالدفع بهم إلي مضايق الحرب ،وأن يعمل بهـم

[1] ديوانه : ص٢٥١.

مثل ما عمل بالرؤساء في موقعة (**إير**) : وإير (موضع بالبادية كانت به وقعة . أو موضع في بلاد بني غطفان) [1]، فشبه الشاعر ، أصوات القوم ، وقد تداعوا ، وتعصبوا عصابات ، بأصوات زئير الأسد ، وذلك في العلو والهيبة ، وإلقاء الفزع في قلوب سامعيهم ، و إبراز القوة والسطوة على الأعداء . ولقد اعتمد الشاعر في بروز صورة المشبه به على حاسة السمع التي طغت على بقية الحواس ، ،و اكتفى الشاعر بها في إظهار بأس القوم .ثم انتقل إلى أرض المعركة ليرسم مشهد الدماء وقد تصببت ، فشبه الدماء وهي تسيل من الأعداء ، بالسحاب المحمل بالماء ، والبرق يستهل بها ويستطير ، لمابينهما من الانصباب والكثرة ، وذلك بياناً لشجاعة القوم ، وقوة فتكهم بالأعداء .

قال زهير يمدح حصن بن حذيفة بن بدرالفزاري (٢):

وأبيض فياضٍ يداهُ غَمامةٌ على مُعتفيه مأتغب نوافله

تراه إذا ماجئته مُتهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

يرسم زهير في هذه الأبيات صورة تمثل غاية الكرم والجود في وصف ممدوحة ، فهو أبيض فياض ، والبياض هنا أمر معنوي يحمل دلالات ظاهرة في وصف الممدوح كالنقاء والصفاء ، وكلمة (فياض) تدل على أعلى درجات العطاء من خلال ماتمثله الكلمة من معنى من ناحية ، ومن خلال التركيب الدال على المبالغة في صيغة (فعال) من ناحية أخرى ، ثم يشبه الشاعر يدي الممدوح بالغمامة ، وذلك لمابينهما في سعة العطاء وكثرة الفضل ، ولم يكتف بهذا القدر بل بين حالة هذا العطاء فهو دائم لاينقطع على من يطلبه ، والمعتفون : الذين يطلبون ماعنده .(الهامش) ، ثم ينتقل بعد ذلك ليرسم صورة أخرى ليكمل بها لوحته التي بدأ رسمها ، فهو يصور حال ممدوحه إذا كان متهللاً وقد جاءه طالب الحاجة راغباً في قضائها له فإنّ الشعور الذي يعتري صاحب الحاجة عند قضائها له يكون هو شعور ممدوحه ، فهو لا يثرب على من يطلبه ،ولا يسر فقط بل يمتليء سروراً تماما كما يمتليء صاحب الحاجة عندما تقضى له ، وهذا غاية الجود والسخاء .

---

(١) ينظر: معجم البلدان : ج١/ ٣٤٤ . الأمكنة والمياة والجبال :ص٥.

(٢) الديوان : ص١١١-١١٣.

وقال زهير يصف فتىً هب في نجدة رجل يطلبً العون ، ويشبهه بالسيف في قطع الأمور[1]:

فَقُلتُ لَـهُ أنقـض بِصـحبك سـاعةً فَهب فَتى كَالسـيف غَـيرُ مُـزلج

كان هذا البيت من قصيدة يهجو فيها زهير رجلاً من فزارة ، وقد جاء البيت عقب أبيات صور فيها الشاعر الطريق الذي قطعه بالسيح اليماني ، وجاء هذا البيت ليصور الفتى الذي هب في نجدة المصوت له ، حيث شبهه ، بالسيف ، لمابينهما من المضـاء ، والحـدة ، والسرعة في قطع الأمور ، وذلك إظهاراً لسرعة قطع الفتى للأمور ، دون تأخير أو رجوع إلى أحد ، و جاء ت جملة (غير مزلج) تأكيداً لهذا المعنى .

وقال يصف فتية جدوا السير إلى هرم بن سنان ، ويشبههم بالسيوف الهندية [2]:

بِفتيـــة كَسُـــيوف الهنـــد يبعـــثُهُم هـــم فَكُلُهُـــمُ ذو حاجـــة يقـــدُ
مُبـــاركُ البيـــت ميمـــونٌ نقيبتُـــهُ جزلُ المَواهبِ من يُعطي كَمن يعـدُ

يرسم الشاعر صورة للفتية الذين جدوا السير للذهاب إلى سنان ، وابنه هرم ، ويشـبههم بالسيوف الهندية ، وذلك لما بينهما من المضاء ، والحدة ، والقوة ، إظهاراً لعظيم فضل سنان بن هرم ، وسرعته في قضاء حاجات الملهوفين . ثم يرسم صورة معنوية تظهر مدى كرم سنان ، وابنه هرم ، وعظيم جودهما ، فشبه حال من وعد منهم بالعطاء ، بحال مـن

---

[1] ديوانه : ص٢٣٧. وبهامشه : (المزلج : الذي يدفع عن الأمر لأن ليس له رأي).
[2] ديوانه : ص٣٠٢.

أعطي هبته، وقد تملّكها ، والجامع بين الحالين تحقق وقوع العطاء لامحالـة دون قيـد أو شرط . وذلك مبالغة من زهير في وصفه بالجود والسخاء .

وقال زهير يتهدد قوم الحارث بن ورقاء ويعرض بهم ، ويشبههم بحال أقوام لايرتدعون عن فعل الشر حتى يوقع الشر بهم فيرتدعوا بعد ذلك [٢]:

ولا تكـ ـونن كـ ـأقوامٍ علمـ ـتُهُمُ يلُوونَ ما عندهُم حتّى إذا نُهكـوا
طابت نُفوسُهُمُ عـن حـق خصـمهمُ مخافَةَ الشر فَارتدّوا لمـا تركـوا

يخاطب زهير قوم الحارث بن زرقاء الصيداوي ، الذين سلبوا إبله وراعيه يسـاراً ، وراح ويتهددهم بالهجاء المقذع ،ويطلب منهم إرجاع ما سلبوه ، و إلا يتمادوا في الباطـل حتى لا يبلغهم الهجاء ، ولاتعم البلوى بهم ، ، ويطلب منهم ، بألا يشبهوا قوماً يمتنعون عن أداء الحق الذي سلبوه ، ولايرتدعون عن فعل الشر ، حتى إذمـا هجـوا وبولـغ في إقذاعهم بالهجاء ، أدوا ماعليهم من الحقوق التي سلبوها وليس ذلك إلا مخافة الشر الذي سوف يقع بهم ، ، والغرض من هذه الصورة تهديد القوم ووعيدهم .

---

[٢] ديوانه : ص١٣٦. وبشرح الديوان : نهكوا : شتموا وبلغ منهم في الهجاء .

ب ـ (تشبيهات المرأة):

الذي يتتبع صور وتشبيهات المرأة في ديوان زهير ، راصداً لطبيعة علاقته مع المرأة ، يجدها قد تباينت وتنوعت ،وقد اشتملت على أنواع الغزل الثلاث [1]قلة وكثرة ، فقد نـدرت عنده صور الغزل العفيف ، والغزل الحسي ، و شاع عنده الغزل التقليدي كالتي تطالعنـا في مطالع قصائده ، وقد تعدد اسم المرأة عنده كـ " **أميمة ، وأم أوفى ، وفاطمة وليلى** " .وكان **لاسمي " أسماء " و "سلمى"** النصيب الأكبر من الذكر والتكرار ، وصـدق العاطفة؛ الأمر الذي يدل على أن حبه لهما كان أمراً حقيقياً ربما، ومن تلك الصور حيث يصف تهيج ذكراه بمحبوبته (**سلمى**) ويشبه وسع عينيها بعيون الظبية [2]:

وأذكُرُ سلمى في **الزمان الـذي مضـى كعينـاءَ ترتـادُ الأسـرةَ ءـوهج**

فيصف زهير تهيج ذكراه بمحبوبته سلمى في الزمان المنصرم ، فتبعث في خيالـه أجمـل الصور، فراح يشبهها ، بالظبية العيناء : وهي ذات العيـون الواسـعة [3]، وذات العنـق الطويل ، والجامع بينهما ، جمال العيون ، والجيد . ، وذلك لتزيين المشبه وإظهار حسنه .

وقال يصف مشاعره تجاه محبوبته **سلمى** ، ويشبه حاله وهو يتخيل طيف خيالها ، بحـال الدائن الذي يتطلع لغريمه [4]:

تُطالعُنـا خيـالات لسـلمى كما يتطلعُ الـدين الغـريمُ(١٥٢)

---

[1] المقصود بأنواع الغزل الثلاث (الغزل الحسي، والغزل العفيف ، والغزل التقليدي) .

[2] ديوانه : ٢٣٦.

[3] (.شرح الديوان :ص٢٣٦).

[4] ديوانه : ص١٥٣.

يصور الشاعر لهف مشاعره ، وهوسه بمحبوته سلمى التي لاتفتأ تبرح عنه، فهي دائماً ما تطل عليه بخيالها في كل موقف ، وفي كل حين ، فشبه الشاعر حال إطلالة محبوبته على خياله في كل حين ، ، بحال الد ائن الذي يطلب من غريمه الدين ، فهو يترصد له في كل وقت ، عسى أن يظفر بدينه ،وذلك عبر صورة تشبيهية معنوية. وذلك بجامع الترصد والمتابعة والإلحاح. والشاعر قد استطاع أن ينفد بخياله الواسع إلى صورة غير مألوفة ولاتفطن إليها البديهة الخيالية ، وهي صورة الغريم الذي يطلب دينه ، وهي لا تتناسب مع ماعرف من أخبار في صفات زهير وكرمه وجوده، هذه الصورة تمثل خيال رجل مغرم بالمال وجمعه ، وجاءت هذه الصورة لتبين مدى تعلقه ،وهيامه بمحبوبته.

وقال زهير واصفاً ملامح محبوبته سلمى ، ويشبه سمار لثتها بالثغر الذي خالطت منابت أصوله رضيض الأثمد [1] :

ومُؤشر حُمش اللثات كأنما شركت منابتُهُ رضيض الإثمد

فهو يستكمل رسم ملامح محبوبته سلمى ، بعد أن وصف حسن جيدها ، وجمال لونه ، راح يستكمل بقية أوصافها الحسان ، فشبه ثغرها القليل اللحم ، وفي أطرافه سمرة ، بالثغر الذي خالطت منابت أصوله مادق من حجر الأثمد ، لمابينهما من ظهور احمرار في أطرافه سمرة ، وذلك إظهاراً لجمالها .وكانت العرب تستملح هذه الصفة كثيراً ؛ فكلماً كانت اللثة أكثر اسمراراً كلما كانت أكثر إبرازاً لبياض الأسنان .

---

[1] ديوانه : ص ١٩٥.وبهامشه : (مؤشر : ثغر فيه تحزيز . حمش اللثات : قليل اللحم دقيق . شركت : خالطت . منابته : أصوله . رضيض الأثمد : مارض ودق من الكحل).

و قال يصف بنان محبوبته (**أسماء**) يوم الرحيل ، ويشبهه بالبردية : وهو النبـات النـاعم الطري [1]:

وكأنهـا يـوم الرحيـل وقـد بـدا منـها البنـانُ يزينُـهُ الحنّـاءُ
برديـةٌ في الغيـل يغـذو أصـلها ظـل إذا تلـع النهـارُ ومـاءُ
أو بيضـةُ الأدحـي بـات شـعارها كنفـا النعامـة جُؤجُـؤ وعفـاءُ

يرسم الشاعر لوحة بيانية يصور فيها محبوبته يوم الفراق والرحيل ، وقد بدا منها بنانهـا المخضوب بالحناء ، ويشبهها ، بالبردية ، والجامع بين الصورتين ـ كما يظهر ـ ليس احمرار اللون الناجم من اختضاب الحناء ، بل رخص بنانها ،و لين ونعومـة ملمسـها . ويعضد هذا الرأي صورة المشبه به الثانية ، فالشاعر يرسم صورة أخرى تدل كما يبـدو على ذات الغرض ، وهي صورة بيض النعام ، التي تحنو عليها أمها بريش كنفيها الناعمين ، وذلك إظهار لنعومة ملمسها .

وقال زهير واصفاً جيد محبوبته **أسماء ،** ويشبهها بجيد ظبية خالصة البياض [2]:

بجيـد مُغـزلة أدمـاءَ خـاذلة من الظباءِ تُراعـي شـادناً خرقـا

يصور الشاعر جيد محبوبته أسماء ، وهي تبديه له ، بجيد ظبية خالصة البياض ، معها غزال ، صغير السن ،قد بدأ لحمه يشتد ولايزال الضعف يعتريه ، لمابينهما من حسن التلفت ، وذلك إظهارالحسن جيد محبوبته وتزيينه .

---

(١) ديوانه : ص٢٥٤.وبهامشه : (البردية : ضرب من النبات ناعم طري .)
(٢) ديوانه : ص٣٩.
(٣) ديوانه : ص٩٨.وبهامشه : (أجواز : أوساط . النواتي : الملاحون . الغمار : الماء الكثير)

وقال يصف ظعن صاحبته **أسماء** وهو يقطع أوساط الصحارى والفلوات، ويشبهه بحال السفينة [٢]:

يقطعن أميـالَ أجـواز الفَـلاة كمـا ... يغشى النواتي غمار اللُج بالسُـفُن

يخفضـــها الآل طـــوراً ثم **يرفعهـــا ... كالدوم يعمدن للأشراف أو قطـن**

يصف زهير حال ظعن صاحبته أسماء وقد قطع المسافات ، البعيدة في وسط الفلـوات ، ويشبهه ، بحال السفينة التي تشق عباب البحر ، ولجج الموج تضرب بها، والملاحون عليها ، ثم يصور تفاصيل حركة الهودج أثناء السير في وقت الضحى وقد تغشى السراب منظر ذلك الهودج المرتحل ، ويشبهه بشجرة الدوم حين تضربها الرياح فتتحرك تارة لناحيـة الأرض ، وأخرى لناحية الجبل . لما بينها من تماوج الحركة ، وذلك بياناً وإظهاراً لشـدة سرعته في السير وقطعه الفلوات .

وقال زهير في وصف ظعائن النساء ، ويشبهها بصغار النخل تلعب بها الرياح [١] :

تبصر خليلي هل تـرى مـن ظعـائنٍ ... كما زالَ في الصُبح الأشاءُ الحَواملُ

فيرسم الشاعر صورة حسية ،لتلك الظعائن التي تمشي بها محبوبته، ويشـبهها ، بالنخـل الصغار التي حركها الريح ، وزعزعها فهي تتمايل يمنة ويسرى .وذلك لما بينـهما مـن الحركة والتمايل ، وذلك لبيان وإظهار سرعة سير الظعينة. ويبدو أن الصورة تحمـل في طياتها بعداً نفسياً، تظهر مدى تعلق الشاعر بالظعينة وهي ترتحل عنه . وليس أجمل مـن تعلّق العين بصغار النحل المحمل بالرطب . فلم يشبهها بالسفين التي تعوم وسط أمواج بحر

---

[١] ديوانه :ص٢١٣.

عميق ـ مثلاً ـ ،و تضربها الأمواج والرياح ، فتتأرجح يمنة ويسرة في مياه نهر دجلة ، كما فعل عبيد بن الأبرص حين قال في أبيات مشبها لهذا المعنى[1] :

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ ـ يمانِيةٍ قد تغتدي وتروحُ
كعوم السفين في غواربِ لُجةٍ تُكفئُها في ماءِ دجلةَ ريحُ

فالجو النفسي مختلف بين الشاعرين ،برغم أن المشبه واحد ـ تقريباً ـ ، وهناك تطابق في الشطر الأول ، ربما يدل على تأثر اللاحق منهما بالسابق .

وقال يصف ظعائن النساء ـأيضاً ـ، وفي هذه المرة يحاول وصف الحواشي التي وضعوها على أعلى المتاع ويشبه لونها الأحمر ، بلون الدم [2] :

علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكلّةٍ وراد حواشيها مُشاكهة الدمِ
بكرنَ بُكوراً واستحرنَ بِسُحرة فهُن لوادي الرس كاليد للفَمِ
كأن قُتات العهنِ في كُل منزلٍ نزلن به حب القَنا لُم يُحطمِ

يصف الشاعر ظعائن النساء ، ويشبه لون حواشي الأنماط التي افترشوها أعلى المتاع ، بلون الدم ، وربما ويقصد الشاعر من إظهار اللون الأحمر ، إظهار فخامة هذه الأمتعة ، وغلاء ثمنها .ثم انتقل ليصف دخول هذه الظعائن لوادي الرس ، فهن لايخطينه في الدخول

---

[1] ديوان عبيد بن الأبرص :ص٣٠ـ ٣١. وبهامشه : الغوارب : الأمواج . اللجة : الماء الكثير . تكفئها : تميلها .جنوح : مائلون .

[2] ديوانه : ص١٩.

،ولايجزنه في العبور ،يعرفنه معرفة تامة ، تشبه معرفتهن له ، معرفة اليد للفم ، وذلك لما بينهما من المعرفة التامة بالطرق المؤدية إلى الغاية المقصودة ، إظهاراً لألفتهم ، وعشـرتهم لذلك المكان. ثم انتقل ليصف ما بقي من فتات الصوف العالق بالهودج ، ويشبهه بالفنا [1]: وهو شجر ثمره حب أ حمر ، وفيه نقطة سوداء . والجامع بين الطرفين ظهور جسـم مكور أحمر اللون ، فيه نقط سوداء ، والغرض بيان حال المشبه .

[1] شرح الديوان : ص٢٢.

رابعاً : تشبيهات زهير في وصف الفرس :

لقد اهتم زهير بذكر الفرس في أشعاره ، ـ وكذلك معظم الشـعراء الجـاهليين ـ ، فجاءت أوصافها وتشبيهاتها في شعره على نفس المنوال الذي نسجه الجاهليون ، وهـي متعددة كما يقول أبو هلال العسكري :[1] " فشبهوها ..بالكوكب ، والبرق ، والحريق ، والغيث ، والسيل ، وانفجار الماء الحوض ، والدلو ينقطع رشاؤها ، ويد السابح ، وغليان المرجل ، والقمقم ، والقطا، والحمام ، والجراد ، وأنواع الوحش ، كالوعل ، والظـبي ، والذئب ،والتفل ، ويشبه بالخذروف ولمعان الثوب ، وبالسهم ، والريح وبالحسي".

يقول زهير مادحاً سنان بن أبي حارثة ، و يصفه حين يغزو الأعـداء ،ويطيـل الغيـاب متابعتهم ، فلايؤوب ألا بعد زمن ، ويصف الخيل التي غزا عليها العدو وهي خيـل لـه خالية من الأرسان ، قد نفش شعرها فيقول [2]:

يشُـــعث مُعطلاـــة كالقـــداح غَـزونَ مخاضـاً وأدّيـن حـولا

فيرسم الشاعر صورة للفرس ، وقد تغير لونها ، ونفش شعرها ، وهي خالية من الأرسان ، وشبهها ، بالقداح ، وفي شرح الأعلم بـ" القسي "، والقداح : هو السهم بلاريـش ، ولانصل ، وذلك لما بينهما من تجرد كلٍ منهما ، مما تكسيان بهما عادةً ، والخفة مما يثقل بهما ، إظهاراً لمقدار التعب ، والكد التي بلغته هذه الخيل .

---

[1] الصناعتين : ص٨٠.

[2] ديوانه ، ص١٤٧.

ثم تابع زهير وصف هذه الأفراس في الكتائب وهي تتبع فلول العدو للقضاء عليهم :

جـــوانح يخلجـــن خلـــج الـــدلا ـءِ يركُضن ميلاً وينزِعـن مـيلا [1]

فيصف زهير الفرس وهى تكر في الحرب ، وتطارد ما تبقى من الفلول المنهزمة ، ويصور سرعتها في اللحاق بالأعداء ، فيشبهها ، بجذب الدلو من البئر ، وذلك أظهاراً لسرعتها. وجاءت في رواية أخرى(يخلجن **خلج الظباء**) وهي أيضا تدل على معنى شدة العـدو والسرعة في الانقضاض على الأعداء ، ويبدو أن جملة" يخلجن **خلج**" أرعى لسياق المعنى وأنسب لـ "**لدلاء** " .فقد ذكر ابن فارس أن الخاء واللام والجيم أصل واحد يدل على لي ،وفتل ،[2]وقلة استقامة .فمن ذلك الخليج وهو ماء يميل ميلة عن معظم الماء فيستقر .

وقال زهير يصف فرسه في رحلة صيد ، ويشبهه بالفضة [3]:

ولَقَد غَدوتُ علـى القَنـيص بِسـابِحٍ مثـــلِ الوذيلـــة جُرشُـــعٍ لُـــأَمِ
قَيـــد الأَوابِـــد مـــا يُغَبِّهـــا كالســـيد لا ضـــرعٍ ولا قَحـــمِ
صـــعلٍ كَســـافِلَة القَنـــاة مـــن ال مُـــرّان ينفـــي الخَيـــلَ بِالعـــذمِ

يصف زهير رحلة الصيد ، و يرسم صورة للفرس الذي كان يعتمد عليها في صـيده ، مبيناً تماسكها ، وبريقها ، وصفائها ،وشبهها، بالفضة في ذلك بياناً لطيـب معدنـه ، وعراقة نسبه . ثم انتقل ليصف سرعة هذا الفرس الكريم ، فكأن الوحوش مقيـدة عنـد انطلاقها، لا تستطيع اللحاق بها من شدة سرعتها ، وهو إذا طرد طريداً ، أو صيداً ، فإن

---

(١) الديوان : ص١٥١: وبهامشه : (جوانح : أي مائلة في العدو . يخلجن : يسرعن . الميل :القطعة من الأرض . ينزعن : يكففن).

(٢) معجم مقاييس اللغة : (خلج)/٣٠٨.

(٣) ديوانه ،ص١٨١-١٨٢،وبهامشه : (جرشع : الضخم الجنبين . واللأم : الملتئم الشديد . والوذيلة : الفضة . قيد الأوابد / الوحش المقيدة . السيد : الذئب الصعل : الدقيق العنق ، الصغير الرأس . المران : شجر تتخذ منه الرماح . ينفي الخيل يطردها. العذم : العض).

تلك الطريدة لاتغيب عنه ، حتى يطرحها ، ثم أخذ يظهر أوصاف هذه الفرس الجسدية ، و يشبهها بالذئب في ذلك ، فهو متوسط الحجم ليس بالصغير ، ولا بالكبير ،وأما رأسه الدقيق فهو يشبه رأس أسفل الرمح المتخذ من شجر المران لما بينهما من الدقة ،القوة ،والصلابة ؛ لأن أسفل الرمح أغلظ كعوباً ،و أشد من أعلاه ، والشاعر خص شجر المران بالرمح ؛ لأن المران معروف بصلابة عوده ، ومتانته .

وقال زهير يصف فرساً حديثة السن ، حسنة المظهر والملمس ، ويشبه جلدها بالأديم قد أصابه المطر [1]:

قطعتُ بملبون كأن جِلالَهُ نضت عن أديمٍ ليلةَ الطل أحمرا
كشاةِ الكناس الأعفَر انضرجت لهُ كلاب رآها من بعيد فأحضرا

فيصف زهير فرسه حديث السن ،فهي لا تزال صغيرةً تسقى اللبن ، فأخذ الشاعر يرسم صورة حسية ، تظهر طيب ملمسها، ولين جلدها ، وحسن مظهر لونه ، ويشبهه ، بالأديم ، أي: الجلد الأحمر الذي مسه الطل، أي :المطر الخفيف ، وقوله (مسه) ولم يقل بللاه ، وذلك ليبين لطافة ملمسه ، ثم أنتقل الشاعر ليصور سرعة هذا الفرس ، فشبهها ، بثور وحشي أعفر اللون ، قد انقضت عليه الكلاب لتفترسه ، وصورة الكلاب حين تنقض على الثور ، أبلغ في وصف السرعة . واختيار الشاعر للون الأعفر يدل على بروزه و ووضوحه لهذه الكلاب ، فلا يمكنه الاختباء عنها ، فهو يبذل غاية الإسراع ، لكي لاتصل إليه هذه الكلاب .

وقال زهير ـ أيضاً ـ يصف سرعة فرسه، ويشبهها بالقطا في ذلك [1] :

---

[1] ديوانه ، ص١٨٩.

[1] ديوانه ،ص١٧٢. وبهامشه :(.مران : موضع . جانئة : تدني صدرها من الأرض منعطفة للماء .الأعداد : كل ماء له ماادة فهو عد . عاقص : صقر يلوي عنقه . منصلت : ماض .

كأنهـا مـن قطـا مـرّانَ جانِئَـةٌ ... فالجد منها أمام السربِ والسـرعُ
تهوي كـذَلك والأءـدادُ وجهُتهـا ... إذ راعها لحفيـف خلفَهـا فَـزعُ
من عافصٍ أمغـر السـاقين مُنصـلت ... في الخَد منـهُ إذا اسـتقبلتهُ سـفَعُ
مُسـتجمعٍ قَلْبُـهُ طُـرقٍ قَوادمُـهُ ... يدنو من الأرض طوراً ثُـم يرتفـعُ
أهوى لها فانتحت كـالطرف جانِحـةً ... ثُم استمر عليهـا وهـو مُختضـعُ
من مرقَـبٍ في ذُرى خلقـاءَ راسـية ... حُجنُ المَخالبِ لا يغتالُـهُ الشـبعُ
جونيـةٌ كَقَـري السـلم واثقَـةٌ ... نفساً بما سـوف توليـه وتتـدعُ
ما الطرفُ أسرعُ منها حـين يرعُبهـا ... جِد المُرجّي فَـلا يـأس ولا طمـعُ
حتّـى إذا قبضـت أولى أظـافره ... منها وأوشك بما لم تخشـهُ يقَـعُ
حث عليهـا بصـك لـيس مُؤتليـاً ... بل هو لأمثالها مـن مثلـه يـدعُ
كذاك تيك وقَـد جـد النجـاءُ بهـا ... والخَيلُ تحت عجاج الروع تمتزعُ

يصف سرعة فرسه ، ويشبهها بالقطاة ، وذلك عبر تصوير مفصل ، مشابه إلى حد بعيد في تصويره ، وسياق أحداثه ،التشبيه الذي مر في الفصل الثاني [٢]، وهي صورة مألوفة ، ومتكررة في الشعر الجاهلي ، نجدها عند غيره من الشعراء الجاهليين [٣] ،وتبدأ الحكايـة حين شبه الشاعر فرسه ، بقطاة من أرض "**مرّان** "،قد أدنت صدرها من الأرض للنزول إلى مورد الماء لتشرب ، وبينما هي متهيئة للشرب، إذ تنبهت لصقر متربص بها ، وهـو يلوي عنقه ، فأصابها الفزع منه . وهذا الصقر أحمر الساقين ، لاريش فيهما ، تعلو خديه حمرة بسواد، قد استجمع قوى قلبه وتهيأ للانقضاض على القطاة ، ومقدمة ريشه الطوال الأمامية مطّرقة بعضها فوق بعض ، فأنقض عليها، من مرقب عال ، على ضخرة ملساء ،

مختضع : مد رأسه وعنقه لأخذها . خلقاء : صخرة ملساء . حجـن المخالـب : أي في مخالبـها اعوجاج بمنزلة المحجن . تتدع : لاتجهد نفسها وتترك بعض طيرانها. جد المرجى : أي ليس هو ببعيد ولاقريب ، فاليأس منها ولا يطمع فيها .
المؤتلي : المقصر.)

[٢] انظر الفصل الثاني من البحث :" صنعة زهير في تشبيهات الفرس " .

[٣] ديوان النابغة الذبياني : ص١٧٦ ـ ـ ١٧٨.

وقد أبرز مخالبه المعوجة ، وقد كان في حالة من الجوع تجبره على البحث عن فريسـة ، فأنقض هذا الصقر على القطاة بكل ما أوتي من قوة ، وجهد ، فانتحت عنه القطاة بسرعة فائقة ، فراح الشاعر يصف لنا قدر هذه السرعة، وشبهها بسرعة لمح البصر أو الطـرف حين تنظر إلى موضع ثم تنتقل إلى موضع آخر ، الجامع بينهما سرعة التنقل من مكان إلى أخر ، وذلك إظهاراً للسرعة الهائلة التي تمتلكها ثمّ أخذ هذا الصقر في اللحاق بالقطاة ، وقد مد رأسه وعنقه للإمساك بها ، وهذه القطاة جونية ، أي: من نوع يغلب على لونهـا السواد، فراح الشاعر يصف هيئتها ، فشبهها بقري السلم ، أي: دلو الماء ،

وفي رواية أخرى للبيت ، شبهها (بحصاة القسم)ـ وقد سبق للشاعر أن شبهها بـه [1] ـ ، وفي رواية لأبي عمرو: :"**كغراد السلم** " [2]، والغراد : هي ثمرة مدحرجة واحدتها غردة ، تشبه بها القطاة في لونها ، والغرض من تشبيه القطاة ،بقري السلم ، إظهار اعتدال خلقتها ،واستوائها ، ثم ينتقل الشاعر ليصف سرعة القطاة ، حين يجد في طلبها الصـقر ، ويرعبها ذلك، وذلك من خلال صورة تشبيهية قائمة بين طرفين ، المشبه : وهو سـرعة القطاة حين ترعبها مطاردة الصقر الراجي لاحاقها ، والطرف الثاني المشبه بـه : طـرف العين ، فالشاعر بنى التشبيه ،على نفي تفضيل المشبه به " **الطرف** " على المشبه "**سـرعة القطاة المرتعبة** " وذلك بجامع المشابهة بينهما في السرعة ،وذلك بياناً لحـال القطـاة في سرعتها .وقد أطلق المتأخرون على هذا النوع من التشبيه "التشبيه الدائري "[3] .

ثم يستكمل الشاعر قصة القطاة ، فهذا الصقر قد أوشك على اللحاق بالقطاة ، وكاد أن يقبضها بأطراف مخالبه ، فإذا به يقع ، وقد كانت القطاة تظن أن الصقر بعيـداً عنـها ،

---

[1] ينظر الفصل الثاني نفس البحث ، باب :" الصنعة في تشبيهات الفرس " .

[2] شرح الديوان ، ص١٧٤.

[3] هو المشابهة التي يحدثها الشاعر بين شيئين أو أشياء في تركيب فاتحته نفي بحرف (مـا) خاصـة ، وخاتمته إثبات بحرف (الباء) واسم التفضيل الذي على وزن (أفعل) وغالباً مايكون بين الفاتحة والخاتمة وصف للاسم المنفي وهو - المشبه به عادةً - ينظر :التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي ===
===د. عبد القادر الرباعي ـ دراسة في الصورة ـالمجلة العربية للعلوم الانسـانية ـالعدد السـابع عشر ، المجلد الخامس .١٩٨٥م.

ولايشكل لها تهديدا ، فنجت منه بأعجوبة . فحث الصقر بجناحية مقصراً عـن القطـاة ليبحث عن غيرها ، بعد أن عجز عن اللحاق بها . وبعد أن فرغ الشاعر من ذكر أحداث هذه القصة، انتقل يشبه حال هذا الصقر بكل مادار له من أحداث مثيرة مـع القطـاة ، بفرسه ، وذلك في محاولة من الشاعر لوصف هذا الفرس، وإظهار مالديه من مواصفات ، ومميزات ووصفها بكل تمكن ، واقتدار . ووصفه بأجمل ، وأمتع مايمكن وصـفها بـه ، فقصة القطاة مع الصقر ، يمكن أن تحمل في طياتها إشارات رمزية ، لما كان عليه الشـاعر من أحوال ، ومعاداة ، فهو يسعى للاطاحة بمناوئيه وخصومه .

خامساً : تشبيهات زهير التي جاءت في وصف الوحش والنعام :

جاءت تشبيهات زهير لحيوان الوحش و الظليم بصورة مقتضبة عند وصفه لها بشكل مباشر ، وقلما يتصدى الشاعر الجاهلي لوصف بقر الوحش أو حمار الوحش أو الظليم بوصف مباشر كغاية لذواتها ، بل يستطرد إليها من خلال وصف الناقة فيتفرع إليها ثم يتسطرد في وصفه لها عبر التشبيه - كما مر [1]- مبرزاً من خلال ذلك قوة الناقة ، وصلابتها ، وشجاعتها ، أو سرعتها ، أو يعرض لحيوان الوحش والظليم لمحاً من خلال حديثه عن الديار والمنازل . ومن ذلك قول زهير يصف بقر الوحش ، بعد أن ذكر أرض محبوبته وقد عفت معالمها ، ويشبهها بأردية الملاء ، إذ يقول [2]:

فَذروةُ فَالجنابُ كأن خُنس ال ... نِعاج الطاويات بها المُلاءُ

كأن أوابِد الثيران فيها ... هجائنُ في مغابِنِها الطلاءُ

فهو يذكر أرض محبوبته ، بعد أن عفت معالمها ، ودرست ، ثمّ مضى يعدد في ذكر الأماكن التي مر بها أرضاً تلو أرض ، دون التفريط في ذكر اسم من أسمائها ،الأمر الذي يدل على ولائه لتلك الأماكن و شدة انتمائه، وتعلقه بها . ثم بعد ذلك ينتقل بنا الشاعر ليصف مناظر بقر الوحش الخنس التي تنزل تلك الأماكن ،ويشبهها بالملاء :وهي أردية الحرير ، وذلك لمابينهما من صفاء اللون وبياضه ، ونعومة الملمس ، وذلك إظهاراً لحسن ،وجمال هذه البقر ، والتي تذّكر الشاعر بمحبوبته . ثم ينتقل زهير لعرض صورةأخرى للحيوانات التي تنزل تلك الأماكن ،هذه الصورة لا تخرج في جوها النفسي عن الصورة

---

[1] انظر في " الصنعة في تشبيهات الناقة وتفريعاتها ، و التشبيهات التي جاءت في وصف الناقة وتفريعاتها " من الباب الثاني من هذا البحث .

[2] ديوانه ، ص٥٣-٥٤.وبهامشه : (ذروة والجناب : أرضان . النعاج : إناث البقر . خنس : قصار الأنف . الملاء : أردية الحرير ، مفردها ملاءة . الأوابد : الثيران الوحشية . الهجائن : إبل بيض كرام . المغابن : الأرفاغ . الطلاء : القطران)

السابقة ، فشبه الشاعر الثيران الوحشية التي كانت في تلك الديار ، بالإبل البيض الكرام ، وقد طليت في أرفاغها : ـ وهي الآباط وأصول الأفخاذ ـ بالقطران ، الجامع بينـهما ظهور بياض في جوانبه سواد ، وذلك لتزيين صورة المشبه(بقر الوحشي)،وإظهار كمال حسنها .

وقال يصف أتناً راتعات مع الحمار ، ويشبهها بالقوس [1]:

ثَلاثٌ كَـأقواسِ السـراءِ ومسـحلٌ قَد اخضر من لَس الغميرِ جحافلُه[2]

فـأتبع آثـار الشـياه وليـدُنا كَشُؤبوبِ غَيث يحفشُ الأكم وابِلُه

يرسم في هذا البيت مشهداً حسياً من مشاهد رحلة الصيد ، فراح يصور مشهداً لثلاث أتن راتعات ،ومعهم حمار ناشط ، وشبه هذه الأتن الثلاث ، بالقوس المتخد من شـجر السراء ، وهو شجر معروف ، يتخذ منه القوس ، وذلك لما بينهما مـن دقـة الخلقـة ، واستوائها ، إظهاراً لاعتدال المشبه (الأتن)وجمال خلقتها .

. ُثم استمر زهير في وصف رحلة الصيد ،وتتابع مشاهدها ، فشبه تتبع الغلام لآثار الشياه (الأتن) في الصيد ، بالشؤبوب : أي الحفيف الذي يصدر عن دفعة المطر ، وذلك عن طريق صورة حسية سمعية ،و الجامع بين تتبع آثار الشياه، وشؤبوب الغيث ، هو صـوت الحفيف الصادر عنهما . وربما يكون هناك وجه آخر يجمع بينهما وهو تحقّق الإدراك في كلٍ ، فالغلام مدرك الشياه لامحالة ، كشؤبوب المطر الذي سيصيب من تحته بالبلل لامحالة .

---

[1] ديوانه :ص ١٠٦-١٠٨وبهامشه : (ناشط : يخرج من بلد إلى بلد . اللس: الأخذ بمقدم الفـم . الغمير : نبت يطول ثم يصيبه مطر فيخرج تحته نبت أخضر فيكون غميراً لهذ الطويل .

[2] السراء : شجر ينبت في الجبال ، يتخذ منه القسي .(اللسان : (سرا) ج١٤/ص٣٨٠).

قال زهير في وصف النعام ويشبهها بالخباء بعد أن غارت قدماها في الرمل [1]:

وظــل يوعســاءِ الكثيــبِ كأنــهُ خباءٌ على صـقبي بِـوان مُـروقُ

تحــن إلى مثــل الحَبــابيرِ جُــثمٍ لدى منتجٍ مـن قَيضـها المُتقَلـقِ

فزهير في هذه الأبيات في مساجلة شعرية مع ابنه كعب ليختبر قدرته الشعرية ، وانتقل من وصف الناقة إلى وصف النعام تعسفاً ، ليضيق الخناق على ابنه،فهو يشبه النعام وقد غارت قدماها في الرمل ، بالخباء التي نصبت على مؤخرة الأعمدة في البيت ، وذلك لمابينهما من اضطراب الهيئة ، وتغلل أجسام في باطن الرمل ، بياناً لحال المشبه .

ثم انتقل الشاعر في صورة أخرى ليصور هذه النعام وقد اشتاقت لصغارها ، فهـو يشـبه صغار هذه النعام ، وهي جاثمة لدى وكرها ، وقشر البيض من حولها ، بطيور الحبارى ، الجامع بينهما هيئة الخلقة ، وذلك بياناً لحال المشبه أيضاً .

---

(١)ديوانه : ١٨٥.وبهامشه : (صقبي بوان : عمودين في مؤخرة البيت . الوعساء : الرملة التي تغيب فيها أخفاف الإبل).

سادسا: التشبيهات المتفرقة التي جاءت في شعر زهير :

تتركز براعة التشبيه عند زهير في تنوع صوره التشبيهية ، والتي تعد مقوماً من مقومـات صناعته الفنية ، كما أنه لون من ألوان البناء الفني عنده .ويستمد زهير أصباغه من البيئـة الصحراوية التي يعيش فيها ، ويشتق عناصره الأولية من المشاهد الحسية التي يقع عليهـا بصره . وقدكان دقيقاً قدامة بن جعفر حين قال : إن " التشبيه من أشرف كلام العرب ، وفيه تكون البراعة " [1]، ولقد فطن عبد القاهر ـ رحمه الله ـ لما هو أبعد من ذلك حين قال : " إن الأشياء المشتركة في الجنس ، المتفقة النوع ، تستغني بثبوت الشبه بينها ، وقيام الاتفاق فيها ، عن تعمق وتأمل في إيجاب ذلك وتثبيته بها" [2] .

ومن جملة ماجاء في تشبيهات زهير وهو يصف **عهد شبابه** الذي ولى منه ، حتى أصبح ثقيلاً على العذارى ويرغبن عنه ، [3]:

وقالَ العـذارى إنمـا أنـت عمنـا وكانَ الشبابُ كـالخَليط نُزايلُـه

فيصور ذلك العهد، عهد شبابه الذي ولّى وانقضى ، فلم يعد ذا مطمح لدى العذارى ، وصرن يرغبن عنه حتى أصبحنَ ينادينه عما ، لكبر سنه ، وذهاب ظرفه ، وحلول الشيب فيه، ويحاول زهير تجسيد ذلك الزمان المحبب إلى النفس ،ويجعله شاخصاً بهيئتـه البشـرية ،حيث شبهه ، بالصديق الحميم المخالط . والجامع بينهما الولوج والانغماس في لج فتـرة الشباب وعنفوانه ، والأخذ والأسراف على النفس بكل ملذاتها ؛ إظهاراً لمدى إغـراق الشاعر في المتع والملذات في ذلك العهد المنصرم .

---

[1] نقد النثر : ص٥٢، قدامة بن جعفر ،مكتبة الخانجي ، ١٩٦٣م.

[2] أسرار البلاغة : ص١٤٨.

[3] ديوانه : ص١١١.

وقال يصف **جدولاً** ينبض بالحركة ، وترتسم عليه علامات الحياة ، ويشبه ضفادعه ، بالجواري [1]:

يُحيلُ في جدولٍ تحبو ضفادعُهُ حبو الجَواري ترى في مائه نُطَقا [2]

يصف زهير منظر ذلك الجدول ، حيث لم ينضب ماؤه ،ولم تيبس أرضه ، ويرسم له صورة عن طريق التعريض الكنائي ، و(تحبو ضفادعه) ويشبه حبو هذه الضفادع ، بحبو الفتيات الصغيرات اللاتي يلعبن على جدول الماء ، والجامع بين الصورتين ، القفز والتنقل من مكان إلى مكان . وذلك إبرازاً المظهر الحياة ،والمرح.

وقال يصف **مكاناً** قد قطعه بفرسه يكثر فيه السباع ، ويشبه طنين الذباب فيه بصوت ترنم رجل سكران [2]:

ومُستأسدٍ يندى كأن ذُبابهُ أخو الخَمر هاجت حُزنهُ فتذكرا

يرسم في هذا البيت صورة قائمة على العنصر الصوتي، وهي تظهر حال المكان الذي قطعه الشاعر بفرسه ، وذلك عبر تشبيه حسي سمعي ، لصوت الذباب المجتمع على نبات كثيف ، ويشبه طنينها ، بترنم السكران إذا طرب وغنى ، والجامع بين الصورتين تفاوت موجات الصوت وتباينه دون تناسق في النغم . وذلك إظهاراً لوحشة المكان الذي قطعه الفرس .

وقال يصف **المنايا** وهي تصيب من قضى عليه الأجل، -وذلك بعقلية الإنسان الجاهلي – ويشبهها بالناقة العشواء التي تصيب ما أمامها دون أن تراها [3]:

رأيتُ المَنايا خبطَ عشواءَ من تُصب تُمتهُ ومن تُخطئ يُعمر فيهرم

---

(1) ديوانه :ص٤٣.

(2) ديوانه :ص١٨٩.

(3) ديوانه : ص٣٤.

فيصف اخترام المنايا للنفوس ، ويصورها ـ بعقلية الرجل الجاهلي ، ونظرته السـائدة في المجتمع ـ فيصف اختيار من وقع عليه الأجل ، ويشبه حالها ، بحال ناقة عشواء لاتبصر ، ولاتهتدي إلى ما تقصد ، فهي تقتل من وطأته ، والجامع بين الصورتين ، عدم الاهتـداء للمقصد ،والوقوع فيه دون سابق ترتيب أو تنظيم . ولاشك أن هذه النظـرة القاصـرة مخالفة لنظرة الإنسان المسلم الذي يؤمن بأن لكل أجلٍ حسـاب، فـإذا جـاء أجلـهم لايستقدمون ساعة ولايستأخرون .

وقال في وصف **مدة زمنية** قضاها في مكان قفر، ويشبه تلك المدة بصفقة الكف ً [1]:

وعرفـتُ أن لبسـت بِـدار تئيـة فكصفقة بِـالكف كـانَ رُفـادي

يصف مقدار الزمان الذي مكثه في مكان قفر ، قد نزل به ليبيت ، فراح يرسـم صـورة حسية تظهر مقدار ذلك الوقت الذي بات فيه ،أنه برهة لاتكاد تذكر ، فشبهه نومـه في ذلك المكان ، بمقدار زمن صفقة الكف ، والجامع بين الصورتين ،الوقت اليسير ، وقلـة الزمن ، وذلك إظهاراً لوحشة المكان ، وعدم الأنس فيه.

وقال يصف **واقع حاله** وقد خارت قواه وأنهكه الزمن ، ويشبه حاله بحال من انخلع منكبيه عن ردائه [2]:

كأني وقـد خلفـتُ تسـعين حجـةً خلعتُ بِها عـن منكبـي ردائيـا

فيرسم زهير صورة حسية لواقع حاله الذي قضاه ، وسني عمره التي مرت به ، وطويـت فيها الأحداث طياً ، فلم يعد يذكر شيئاً عن ذلك الزمان الذي امتدبه، ولم يعـد يشـعر بشيء من حوله ، بعد أن بلغ التسعين من عمره ، وشبه حاله ذلك ، بحال من خلع الرداء من منكبه . والغرض من هذه الصورة نقض آثار أحدث الزمان التي قد دارت به جميعها.

---

[1] ديوانه : ص٢٤٤. وبهامشه : (تئيه : إقامته ومكثه).

[2] ديوانه : ص٢٠٧.

،فقد أظهر الشاعر أمره المعنوي ، بصورة حسية ظاهرة ، لاجلاء ذلك المعنى ونقله من معنى متقرر في الأذهان ، إلى صورة حية ظاهرة للعيان ، وهذا لاشك أبلغ في أداء المعنى وبروزه .

وقال يصف **أثر النبت** ، ويشبهها بآثار نبت الحنظل ، [1]:

كأن مُدهدى حنظلٍ حيثُ سوقَت بأعطانِها من جزها بالجَحافل

وقد قال زهير هذا البيت وهو يريد من يجيزه ، وهو بيت مقطوع عن سياقه .

وقال في وصف **حال عينيه وهي ترقب فراق محبوبته** ، ويشبهها بدلوين ضخمين قد ملآ ماءً ، وقد حملتا على ظهر ناقة من أجل سقاء جنة نخيل ، فيقول [2]:

كأن عيني في غربي مقتلةٍ من النواضح تسقي جنةً سُحُقا

يصف عينه بعد فراق محبوبته ، وقد كان يرقب فراقها وهي على الظغينة ، فراح يصور حالة الحزن التي أصابته ، ويشبه كثرة دموع عينه المنسكبة ، بحالة دلوين ضخمين تحملانهما ناقة مذللة ماهرة في السقاء ، تريد أن يسقي بها جنة من نخيل قد أصابها العطش وكادت أن تبلى . وقد أجاد الشاعر في وصف هذا التشبيه من عدة وجيه ، **أولا** :من ناحية الدلالة على المعنى ؛فالصورة تظهر مدى الجزع الذي أصاب الشاعر وهو يرقب فراق محبوبته على الهودج ، **ثانيا:** كثر تفاصيل الصورة المحسوسة ،التي تدل على المهارة ، والبراعة الفائقتين في الوصف ، فكل هذا المشهد الحي المتحرك جاء من خلال بيت واحد ، ليؤكد على قدرة غير عادية على تصوير الأشياء بكل تفاصيلها في قول موجز بليغ .

---

[1] ديوانه : ص٢٦٠، وبهامشه : مدهدي : مدحرج . سوفت : شمت ، أعطانها : مباركها .

[2] ديوانه : ص٤١. وبهامشه : (الغربان : الدلوان الضخمان . المقتلة : المذللة).

وقال يصف **لوم امرأته** (أم كعب) ، ويشبه ذلك اللؤم بالإبر حين تحز في الصدر [٣]:

فـــيم لُحـــت إن لُومهـــا ذُعُـــرُ أحميـــت لومـــاً كأنـــهُ الإبـــرُ
والإثمُ مـــن شـــر مـــا يُصـــالُ بِـــه والبِـــر كالغيـــث نبتُـــهُ أمـــرُ

فحاول زهير رسم تلك الحالة التي يعانيها من لوم امرأته ، ويبرز ذلك اللـوم وألمـه في صورة حسية ، فيشبهه بالإبر التي تحز في الصدر ، الجامع بين الطرفين ، هو مقـدار الألم الحاصل في كلٍ . وذلك وإظهار لمقدار الندم مما بدر منه .ثم ينتقل الشاعر في موضع آخر من القصيدة ذاتها ،لتتجلى حكمة الشاعر ،وتقديره لحقائق الأمور، ليـوازن مـابين الإثم والخير ، فيذكر أن الأثم شر مايفتخر به ، ويشبه البر ، بالغيث الذي يصيب أرضاً فينبت الزرع الكثير . وذلك لمابينهما من النفع الحاصل من كلٍ ، بياناً لحال الغيـث ومـدى نفعه.

وقال زهير [٢]:

---

[١] ديوانه : ص٢٢٩.

[٢]

إذا جمحـــت نِســـاؤُكُمُ إليـــه أشـــظ كأنـــهُ مســـدٌ مُغـــارُ
كطفـــلٍ ظُـــل يهـــدجُ مـــن بعيـــد ضـــئيل الجســـم يعلـــوهُ انبهـــارُ
إذا أبـــزت بِـــه يومـــاً أهلـــت كمـــا تُبـــزي الصـــعائدُ والعشـــارُ
فلـــو كنـــتم بـــني الأحـــرار قـــيس لأنعمـــتم كمافعـــل الخيـــار

هذه الأبيات قالها زهير يهجو بني الصيداء حين اعتدو اعلى إبلٍ له، وأسروا راعيها الذي يدعى (يسار) ، وقد حملت في معانيها صوراً تنافي كمال الذوق والأدب ، فضلاً على خلوها من التصوير الفني الراقي ، وخير للبحث حصرها في الصور التشبيهية دون الخوض في تفاصيلها .
ديوانه : ص٢٢٠. وبهامسه: (أشظّ : أنعظّ أي قام . مغار: مفتول).

وقال في **وصف الخمر** ، ويشبهها بدم الغزال [1]:

ذاك وقَــد أصــبحُ الخَليــلَ يصــه ... بــاءَ كُميــت صــاف جوانِبُهــا

مثــل دمِ الشــادن الــذَبيح إذا ... أتــأق منــها الــراووق شــاربُها

يصف زهير شراب الخمر الذي يحتسى وقت الصباح ،ويحاول أن يصوره ، ويشبهه بدم غزال قد اشتد لحمه ، وقوي ، وذلك لما بينهما من احمرار اللون وصفائه ، والغرض تزيين الخمر في عين متعاطيها .ولاشك أن هذا الوصف كان يختص بقوم الجاهليـة ، ويمثـل ماكانوا عليه من عادات كانت ليست معيبة آن ذاك ،ولاتقدح في مـروءة الرجـل ،أو تنقص من أمر المروءة شيئاً .

وقال **يصف حقيقة الموت** التي لا ينجو منه أحد [2]:

حياضُ المَنايا لَـيس عنـها مُزحـزح ... قَمُنتظــر ظمــأ كَــآخر وارد

خبــالٌ وسُــقم مُضــنِئٌ ومنِيــةٌ ... وما غائـب إلّـا كَـآخر شـاهد

فيحاول أن يرسم صورة لحقيقة الموت ، و يثبت فكرته اليقينية في الإذهان ، فهو يشـبه حال حقيقة الموت ،وحتمية وقوعه على سائر الأحياء ، وأنه لاسبيل عن الحيد عنـه ، بحال الظمآن ، وقد سبقه وارد على مورد الماء فأصبح ينتظر موعد وروده من بعـده .ثم تلى هذه الصورة بصورة أخرى تؤكد الحقيقة التي استيقنها ، ويشبه من غاب عنه الموت ولم يحضره بعد ، بمن حضره الموت وشهده ، وذلك بغرض استيقان وقع الموت وتحققـه لامحالة ، والشاعر يريد أن يثبت حقيقة أيمانية ملموسة ، وسنة كونية مشاهدة من سنن الله في الخلق ، غابت حقيقتها عند أهل الجاهليته ، وغاب عنهم كنهها ، الذي أدركناه نحن

---

[1] ديوانه : ص١٩٢. وبهامشه : (الشادن : الغزال حين يقوى ويمشي . الراووق : مصفاة من القطن .

[2] ديوانه : ص٢٤١.

معاشر المسلمين ، ونعلم أن الحياة متاع الغرور ، ودار زائلة ، وأن المعاد ، والحياة الآخرة هي دار الحيوان .

قال زهير **يصف هجاءه للحارث بن ورقاء الصيداوي** [1]:

ليأتينـــك منّـــي منطـــق قَـــذَع باقٍ كما دنّس القُبطيـةَ الـودكُ

يصف الشاعر هجاءه للحارث بن ورقاء الصيداوي ، حين أغاروا على إبله ،وراعيه يسار ، ويشبه حال قوله المقذع فيه ، والعار الذي لحقه منه ، بحال الدسم والأوساخ التي أصابت ثوباً أبيضاً ، وذلك لما بين الصورتين من ظهور العيب وعدم القدرة على إخفائه أو إزالته . وذلك لبيان افتضاح أمر الحارث بن الزرقاء ، وجعله سبة لدى سائر العرب .

وقال يخ**اطب امرأة نظرت ابناً له يدعى "سال**م " وقد هلك من تلك النظرة [2] :

لعلـــك يومـــاً أن تُراءـــي بفـــاجعٍ كما راعني يـوم الُنتـاءَة سـالمُ

فيخاطب زهير تلك المرأة التي كانت سبباً رئيسياً بعد قضاء الله حين نظرت ابنه (سالم) بعينها [3]،فأصابته ، فتعثر وسقط على رقبته فمات ، وزهير يتنمنى ويرجـو أن تصـاب تلك المرأة بيوم فجيعة ، يشبه اليوم الذي فجع فيه بولده ، والجامع بين الصورتين الهـلاك ووقع المصيبة على النفس، وذلك رغبة في الانتقام والتشفي .

---

[1] ديوانه : ص١٣٧. وبهامشه : (وبهامشه القذع : القبيح . القبطية : كل ثوب أبيض وقيـل هـي ثياب الشام البيض . الودك : الدسم .)

[2] ديوانه : ص٢٥٥.

[3] انظر القصة في الديوان ، ص٢٥٥.

[4] ديوانه : ص١٧٨.

وقال **يصف قوة وقع لسانه** ، ويشبهه بالسيف [٤] :

بِرجمٍ كَوقـعِ الهُنـدُوانِي أخلَـص ال صياقلُ منهُ عـن حصـيرٍ ورونـقِ
تطـيحُ أكُـف القَـومِ فيهـا كأنمـا تطيحُ بِها في الروعِ عيدانُ بروقِ[١]

يصور قوة وقع لسانه ، ونفاذه البالغ ، ويشبهه ، بحال ضرب السيف إذا ماسلّط علـى كتائب الأعداء ، ثم راح يوغل في الصورة ، ويفصل المزيد منها ، فأخذ يصور حال هذا السيف وهو يطيح بأكف القوم وأرجلهم والأعناق والمفاصل ، وشبه ذلك بحال من يقطع البروق ، وهي : بقلة تشبه النرجس ، ضعيفة الساق ، وذلك لما بينهما من الإحكـام ، والتغلل في العمق ، وعدم إمكانية الرد أو المقاومة . بياناً لقوة حجته، وبيانه .

وقال **يصف حال من يجرم في حقه** ، ويشبه مصيره بمصير الحبارى [٢] :

ومـن يتجـرم لي المَنـاطق ظالمـاً فَيجـرِ إلى شـأوٍ بعيـد ويسـبحِ
يكُن كَالحُبـارى إن أصـيبت فَمثلُهـا أصيب وإن تُفلت من الصقرِ تسلَحِ
كَعوف ابنِ شـمّاسٍ يُرشـحُ شـعرهُ إلَي أسدّي يـا منِـي وأسـجِحي

يصف حال من يجرم في حقه ، و يجتريء عليه قول الظلم ، ثم يحاول البعد والانفكاك عما أقدم ، ويشبهه بحال الحبارى التي يطردها الصقر فيقضي عليهـا إن أمسـك بهـا ، وإن استطاعت الهرب أو الانفكاك منه ، فسوف يصيبها السلح ، وهي كنايـة عـن حجـم الخوف الذي أصابها من هذا الصقر ، فكذلك من يجتريء على زهـير ، والجـامع بـين الصورتين حصول الخوف والجزع المفضيين إلى أذى النفس ، وذلك إظهاراً للقدرته وتمكنه من إلحاق الأذى بالمعتدي ووقع أشد الضرر به .

---

[١] الروع الفزع . البروق : بقلة ضعيفة الساق تشبه النرجس . (شرح الديوان ١٧٩).

[٢] ديوانه : ص٢٥٩ وبهامشه : (الشأو:الطلق من الجري يرشح شعره : يهيئه ، ويصنعه . أسجح : أحسن.).

الفصل الخامس

مسالك صنعة زهير في تجديد تشبيهات أوس

أولاً : مسلك صنعة زهير في تجديد تشبيهات أوس في وصف الطلل والديار والصحراء :

تبين من خلال البحث في التشبيهات التي كون بها الشاعران صورهما عدة في مواطن التقاء واستطاع زهير في كثير منها الإفادة من الرواية عن أستاذه أوس فيها ،وذلك عندما سلك طريقه في تصوير العديد من المعاني التي جاءت في تشبيهاته ، والبحث في هذا الفصل بصدد الكشف عن تلك اللمحات التي أضافها زهير في تشبيهاته في وصف الطلل والديار والصحراء ، بعد أن سلك طريق أوس فيها ، و حاول التجديد فيها بشكل من الأشكال .

و من خلال البحث عن تلك الروابط ، والوشائج في وصف الطلل والديار والصحراء وجدنا أن أوساً أثناء حديثه عن محبوبته "**تماضر**" قد عرض لوصف ديارها التي كانت تنزل بها ، وشبه آثار تلك الديار وعلاماتها البارزة ، بالزخارف الجديدة التي لم تتغير، ولم تندثر ،وحاول أوس إضفاء شكل من أشكال الحياة لتلك الأماكن ، وإشعال روح الأنس والألفة فيها ، لدفع الوحشة عنها؛ حينما وصف تلك الديار وقد خلا أهلها واستوحشت حتى صارت مألفاً ومرتعاً للحيوانات ، فقد شبه النعام التي يميل لونها إلى السواد وهي تمشي في تلك الديار ، بالنساء اللاتي يلبسن الجبة ، فقال [1]:

حلت تُماضرُ بعدنا ربـبا ... فَالغمر فَالمُرّين فَالشُعبا
حلت شآميةً وحل فَساً ... أهلي فَكانَ طلاُبها نصبا
لَحقَت بِأرضِ المُنكَرين ولَم ... تُمكن لحاجة عاشقٍ طَلَبا
شبهتُ آيات بقين لها ... في الأولين زخارفاً قُشُبا
تمشي بها رُبدُ النعام كما ... تمشي إماءٌ سُربِلت جُببا

---

[1] ديوانه ١. وبهامشه :(الزخارف القشب : أي الجديدة التي لم تندثر . الربدة : لون مائل بين السواد والغبرة . الجبب : جمع جبة ، وهو نوع من الثياب).

وقد استفاد زهير من هذا المعنى الذي صوره أوس في وصف ديار محبوبته "**تماضر** " ، وهو يصف ديار محبوبته " **أم أوفى** " .

حيث يقول زهير واصفاً ديار محبوبته " **أم أوفى** " [1]:

ديـــار لهـــا بـــالرقمتين كأنهـــا مراجعُ وشـــمٍ في نواشـــر معصـــم
بهـــا العـــينُ والأرآمُ يمشـــين خلفَـــةً وأطلاؤُها ينهضن من كُـــل مجـــثم
وقَفتُ بها من بعـــد عشـــرين حجـــةً فَلأياً عرفتُ الـــدار بعـــد التـــوهم
أثـــافي سُـــفعاً في مُعـــرسٍ مرجـــلٍ وُنؤياً كَجِذمِ الحَـــوضِ لَـــم يتـــثلم
فَلمّا عرفـــتُ الـــدار قُلـــتُ لربعهـــا ألا عم صباحاً أيها الربـــعُ واســـلم

فقد ألمح زهير إلى ما ذكره أوس في وصفه بأن تلك الديار لم تتغير ولم تندثر حين قال :

أثـــافي سُـــفعاً في مُعـــرسٍ مرجـــلٍ وُنؤياً كَجِذمِ الحَـــوضِ لَـــم يتـــثلم

ففي قوله :"**ونؤياً كجذم الحوض** لم **يتثلم** " إشارة إلى بقاء تلك الدار على حالها ولم تتغير ، وقد استفاد زهير من أوس - أيضاً - في كيفية دفع الوحشة عن تلك الديار ، حينمـا وصفها بأنها صارت مألفًا لبقر الوحش حين ترتع مع أبنائها ، ثم تعقبها الضباء التي تغشى ذلك المكان - أيضاً - . وهذه الحيوانات من طبيعتها أنها تنفر من مساكن الآدميين .- وقد حاول البحث في الفصل الثاني ،إظهارالصنعة التي تميز بها زهير في هـذا التشـبيه ، ويحاول هنا أن يعرض ماأضافه زهير في تصويره لذلك المكان أوحاول التجديـد فيـه-. فأول مايسترعي النظر فيما أحدثه زهير في تصوير هذه المعاني ، أن زهيراً قد تعـرض

---

[1] ديوانه .ص١٦.وبهامشه : الرقمتان : موضعان أحدهما قرب المدين ، الآخر قرب البصرة . مراجع : ترديد . النواشر: عصب . سفعاً : سواد تخلطه حمرة . المراجل : كل قدر يطبخ فيها . النؤي : حاجز يرفـع حول البيت من تراب لئلا يدخل البيت الماء من الخارج . جذم الحوض : حرفه وأصله . لم يتـثلم : ذهب أعلاه ولم يذهب أسفله .

لذكر الديار بطريقة تفوق فيها على أستاذه أوس؛ وذلك من حيث الإحساس بقيمة ذلك المكان من خلال التنكير الموحي بمعنى التعظيم في كلمة " **ديار**" ، وقد فاق في طريقة الوصف والتفصيل ـ أيضاً ـ ، وإضفاء روح الحياة في الإماكن في قوله " **يمشين خلفة** " ، وقد شبه ديارها ، بمراجع الوشم التي نقشت على عروق المعصم البادية ، وهي صورة جديدة أضافها زهير لمعجمه الشعري حتى أصبحت تعرف به لكثرة ترددها في مطالعه حين قال : [1]

لمنْ طللٌ بِرامة لايريمُ؟ عفا ، وخلا له عهد قديمُ[2]

يلُوح كأنهُ كفا فَتاة تُرجعُ في معاصمها الوُشوم

وفي قوله:[3]

هاج الفُؤاد معارفُ الرسم قَفر بِذي الهَضبات كَالوشم

ويبدو أن زهيراً قد استفاد هذا المعنى من طرفة في معلقته المشهورة فقد كان سابقاً له فيه [4] :

لخولَةَ أطلالٌ بِبُرقَة ثَهمد تلوحُ كَباقي الوشم في ظاهر اليد

فيمكن القول بأن زهيراً حاول التجديد في تشبيهات الطلل والديار التي تناولها أستاذه أوس ، ويمكن الحكم- أيضاً - بأن زهيراً قد نجح في ذلك التجديد من ناحيتين ، **أولاً :** الإضافة في الصورة التشبيهية وبث مشاهد أكثر حركة ونماءً داخل تلك الصورة ، **ثانياً :** حسن العرض ،واختيار ألفاظ وجمل موحية تعطي تلك الأماكن روحاً وإحساساً ،جعلها أكثر ألفةً وقابلية للحياة مثل :"**يمشين خلفة** " و" لم **يتثلم** ".

---

(1) الديوان ١٥٢.

(2) لايريم : لايبرح (اللسان ٢٥٩/١٢).

(3) الديوان ٢٨١.

(4) ديوان طرفة بن العبد ، ص١٩، دار صادر ، بيروت .

ثانياً : مسلك صنعة زهير في تجديد تشبيهات أوس في وصف الناقة وتفريعاتها :

١ـ تشبيه الناقة بحمار الوحش :

لقد استطاع زهير الوقوف على عديد من المعاني التي سبق إليها أستاذه أوس في تشبيهاته وذلك في وصف الناقة، وماتفرع عن ذلك الوصف من ذكر لحمار الـوحش ، أو ثـور الوحش ، ومايتبعه من وصف لحكاية الصائد وكلابه . وقد استطاع زهير ـ أيضـاً ـ في كثير من الأحيان تطوير تلك التشبيهات وتجديدها ، أو محاولة تلميع تلك الصور التي في التشبيهات وإعطائها منظراً أكثر بريقاً . ومن تلك التشبيهات التي استطاع البحـث تلمسها والوقوف عليها ، تشبيه الناقة بحمار الوحش ، ومايتبعه من ذكر لوصف الأتـان المصاحب لذلك الحمار ،والجهد الذي يبذلونه في سبيل الوصول إلى مورد ينهلون منه الماء ، إلى أن يفجؤهم الصائد الذي يغشى ذلك الورد وهو في فزع منه ، حيث يقول زهـير :[1]

دعها وسـل الهَـم عنـك بِجسـرة ... تنجـو نجـاءَ الأخـدري المُفـرد
كُمصلصـلٍ يعـدو علـى بيدانـة ... حقباءَ من حُمُـرِ القَنـان مُشـرد
صافا يطوفُ بِها على قُلَـلِ الصُـوى ... وشتا كَذَلق الـزُج غَـير مُقَهـد
خافـا عمـيرةَ أن يُصـادف وردهـا ... وابـنُ البُليـدة قاعـد بِالمَرصـد
فَأجازهـا تنفـي سـنابِكُهُ الحَصـى ... مُتحلب الوشلَينِ قـارب ضـرغَد

فقد شبه زهير ناقته بحمار الوحش ، واستطرد في ذكر حكاية هذا الحمـار مـع أتنـه ، وحاول أن يصف تلك الأتن المصاحبة لهذا الحمار وهي تطوف معه الأماكن صيفاً وشتاءً باحثةً عن مورد يردون الماء منه ، حتى نحل عودهم ، وأصبحوا يشبهون في ضـمورهم ونحولهم الحديدة التي أسفل الرمح ، فوصلوا إلى مورد الماء وهم في خوف شـديد مـن الصائد الذي يحيط بهذا المورد .

---

[1] ديوان زهير : ص١٩٥-١٩٦.

و كل هذه المعاني التي وردت في تشبيه زهير مع حكاية هذا الحمار ، قد سبق إليها أوس في نفس السياق مع اختلاف في غرض القصيدة، فالقصيدة عند زهير كانـت معـدة في مدح سنان بن أبي حارثة ، أما قصيدة أوس، فقد كان الغرض منـها التأمـل في الحيـاة والموت ، وكانت تدور في بيان قيمة هذه الحياة ، وحتمية الموت الذي لامفر للإنسان منه .حيث يقول أوس [1]:

كأنّي كسوتُ الرحلَ أحقَـب قاربـاً ... لهُ يجُنـوبِ الشـيطين مسـاوفُ
يُقلّــبُ فيــوداً كــأن ســراتها ... صفا مُدهُنٍ قد زحلقَتهُ الزحـالفُ
يُقلّـبُ حقبـاءَ العجيـزة سـمحجاً ... بهـا نـدب مـن زره ومناسـفُ

إلى قوله :

فأوردهـا التقريـبُ والشـد منـهلاً ... قطاهُ مُعيد كـرةَ الـورد عـاطفُ
فلاقى عليهـا مـن صُـباح مُـدمراً ... لناموسه مـن الصـفيح سـقائفُ

فنحن نلاحظ مدى التشابه بين الصورتين ،والإفادة التي حققها زهير من أستاذه حـتى لم يكد يجاوزها [2]، حيث شبه أوس ناقته بحمار وحش نشيط ، وأن هذا الحمار قد سـار بأتنه حقباء العجيزة ، وهو يمضي بها في البحث عن مورد يردون منه الماء ، حتى وصـلوا إلى مورد كثير القطا ، وهم في فزع من الصائد الذي يغشى ذلك المورد . و إذا حـاول البحث أن يضع يديه على نقاط التشابه بين الصورتين ، ومحاولة إبراز الجودة عند كل منهما ؛ فأول مايلاحظ الفرق في **الصورة الأولى**: إن كلاً من أوس و زهير يجعلان مـن الناقة منطلقاً للحديث عن وصف حمار الوحش ، فهو عند أوس " **أحقب قارباً** " أي : في بطنه بياض ، ويعجل ليلة الورد[3] ،أما حمار الوحش عند زهير فهو "**مصلصل** " أي عير مصوت؛ وكلا الشاعرين يرميان من وصفهما إلى قوة ذلك الحمار ، وشدة غيرته ، غير

---

[1] ديوان أوس : ص٦٧-٦٩.
[2] تكررت هذه المعاني عند العديد من الشعراء الجاهليين .
[3] شرح ديوان أوس : ص٦٧.

أن أوس – كما يظهر – استطاع أن يراعي الحس الذوقي والجانب الجمالي أثناء وصفه للحمار عندما ذكر بأنه " **أحقب** " .

أما زهير فقد كان أقل احتفاءً في حسن عرض ذلك الحمار ، وإن كان قد نجح في وصف قوته، وشدة غيرته ؛وذلك عندما اعتمد على الجانب الصوتي في قوله " **كمصلصل** " وحرف الصاد من أحرف الصفير التي من خواصها أنها تسري في الآذان وتستمر لفترة طويلة وهي عالقة بها ، أما عن قوة ذلك الحمار فيقول الدميري [1]: " ويقال للحمار الوحشي الحاد الصوت صال وصلصال ، وكأنه يريد الصحيحة الأجساد ، الشديدة الأصوات ، لقوتها ونشاطها ".

ثم ينتقلان إلى سرد حكاية ذلك الحمار ومعاناته في تجميع الأتن والسير بها في سبيل البحث عن مورد الماء ،وهو في جهد جاهد ، **ثانياً** : نلاحظ مقدار التشابه بين الوصفين لهذه الأتن الذي يسوقها هذا الحمار ، فهي عند أوس "**حقباء موضع العجيزة ، كانّ سراتها صفا المدهن** "، أي أنها :بيضاء موضع العجيزة ، ناعمة الظهر [2].

وهي عند زهير " **حقباء من حمر القنان مشرد** " أي في موضع الحقيبة منها بياض[3].

وهو نفس الوصف السابق عند أوس ـ تقريباً ـ ، إلا أن زهيراً لم يفصل القول في عرض صورة تلك الأتان ، ويبين طولها ، ونعومة ظهرها الأمر الذي تفوق فيه أوس .

وهناك أمر **ثالث** وقع فيه تشابه بين الصورتين : وهو خوف هذه الحمير من الصائد الذي يغشى ذلك المورد ، وهو يتربص بهم ، وهم في توجسٍ وحذرٍ بالغين من الوقيعة في سهامه .

وقد تفوق أوس على زهير هنا – أيضاً - ، وذلك في حسن العرض ، وبث الصورة الناقلة للإحساس بسخونة الموقف ، والشعور بمقدار الفزع الذي ألمّ بذلك الحمار وأتنه ،

---

(1) حياة الحيوان الكبرى . ج١/ص٢٣١.

(2) انظر شرح ديوان أوس : ص٦٧-٦٨.

(3) انظر شرح ديوان زهير : ص١٩٥.

عندما أبان عن صورة تلك الحمر التي لم تنقطع عن السير الحثيث باحثةً جاهدةً عن مورد للماء ؛ لتبلّ ظمأها وتستريح فيه ، فإذا بالصائد المتربص يفجؤها عند ذلك المورد . والذي ساعد في إظهار ذلك المشهد المفاجيء والإبانة عنه ؛حرف الفاء ،وتعاقبـه في الجملـتين المعطوفتين ، في قوله : " **فاوردها التقريب والشد منهلاً** "، "**فلاقى عليها من صـباح مدمراً** " بالإضافة الى تنكير كلمة " **منهلاً** " وما يحمله التنكير من إبراز لقيمة ذلك المنهل بالنسبة لذلك الحمار وأتنه .

أما الصورة عند زهير فقد كانت مباشرة ، ولم تستطع أن تحمل ذلك الشعور والأحساس بالموقف الذي حملته صورة أوس ،وإن استطاعت أن تحمل المعنى دون إخلال فيه ، فبعد أن " **صافا يطوف بها على قلل الصور وشتا**" " **خافا عميرة أن يصادف وردهـا ، وابـن البليدة قاعد بالمرصد** " .

وقد تفوق أوس على زهير- أيضاً - من خلال عرضه لمجريات قصة ذلك الحمار مع أتنه ، ونقل كافة المشاهد بدقائقها ، وتفاصيلها ،وما تحمله تلك المشاهد من نقل للإحسـاس بتلك المواقف المثيرة ، وهو الأمر الذي خفت قليلاً عند زهير ، وربما غاب عن قصـيدته كثير من مجرياتها . وسوف يكتفي البحث هنا بعرض الأبيات التي تفوق فيها أوس فقط – فقد تم العرض والتحليل لها في الفصل الأول - إذ يقول أوس [1]:

قَأضـحى يقـارات السِـتار كأنـهُ ... ربيئَةُ جيشٍ قَهـو ظُمـآنُ خـائفُ
يقولُ لـهُ الـراؤونَ هـذاك راكـب ... يُؤبنُ شخصاً قَوق علياءَ واقـفُ
إذا استقبلتْهُ الشـمسُ صـد بوجهـه ... كما صد عن نار المُهـول حـالفُ
تـذَكر عينـاً مـن غُمـازةَ ماؤُهـا ... لَهُ حبب تسـتن فيـه الزخـارفُ

وقوله :

وجـالَ ولَـم يعكـم وشـيع إلقَـهُ ... بِمُنقَطِع الغضـراءِ شـد مُؤالـفُ
فَما زالَ يفري الشـد حتّـى كأنمـا ... قَوائمُـهُ في جانِبيـه الزعـانِفُ
كأن بِجنبيـه جنـابين مـن حصـى ... إذا عـدوُهُ مـرّا بِـه مُتضـايفُ

---

[1] ديوان أوس : ص٦٨-٧٣.

تُواهِــقُ رجلاهــا يديــه ورأســهُ ... لها قَتَـب فَـوق الحَقيبَـة رادفُ
يُصرفُ للأصـوات والـريح هاديـاً ... تميم النضـي كَدحتـهُ المَناسـفُ
ورأساً كَـدن التجـر جأبـاً كأنمـا ... رمى حاجِبيـه بِالحجـارة قـاذفُ

٢ ـ التشبيه الثاني :

لم يكن تأثر زهير بأستاذه أوس قاصراً على معنى أو غرض محدد ، أو قصيدة معينة ، بل رأى البحث أن ذلك التأثر يتكرر عنده في غير موضع ، وفي نفس الغرض والمعنى ـ تقريباً ـ ، فقد تأثر زهير مرة أخرى بأستاذه أوس في ذات الغرض للقصيدة السـابقة، الـتي يصف فيها ناقته ،وذلك عن طريق تشبيهها بحمار الوحش ، والاستطراد في الحديث عـن تفاصيل ذلك الحمار ، حيث يقول زهير [1]:

أذَلـك أم أقـب الـبطن جـأب ... عليـه مـن عقيقَتـه عفـاءُ
أقـب كصـدر أسـر ذي كُعـوبٍ ... لـه مـن كـل مُلمعـة إبـاءُ
تربـع صـارةً حتّـى إذا مـا ... قَـنى الـدُحلانُ عنـهُ والإضـاءُ
تربـع بالقَنـان وكُـل قَـج ... طَبـاهُ الرعـيُ منـهُ والخَـلاءُ
فَأوردهـا حيـاض صُـنيعات ... فَألفـاهُن لَـيس بِهـن مـاءُ
فَشـج بِهـا الأمـاعز فَهـي تهـوي ... هُـوي الـدلو أسـلمها الرشـاءُ
فَلَـيس لَحاقُـهُ كَلحـاق إلـف ... ولا كَنجائهـا منـهُ نجـاءُ
وإن مـالا لوءَـث خاذَمتـهُ ... بِـألواحٍ مفاصـلُها ظمـاءُ
يخـر نبيـذُها عـن حاجِبيـه ... فَلَـيس لوجهـه منـهُ غطـاءُ
يُغـردُ بـين خُـرمٍ مُفضـيات ... صـواف لَـم تُكَـدرها الـدلاءُ
يُقَضـلُهُ إذا اجتهـدا عليـه ... تمـامُ السِـن منـهُ والـذكاءُ
كَـأن سـحيلهُ في كُـل فَجـر ... علـى أحسـاءِ يمـؤود دُعـاءُ
فَـآض كأنـهُ رجُـلٌ سـليب ... علـى علياءَ لَـيس لَـهُ رداءُ

---

[1] ديوان زهير : ص٥٩.

كَـــأن بريقَـــهُ برقـــانُ ســـحلٍ ... جلا عـن متنِـه حُـرُض ومـاءُ
قَلَـــيس بغافـــلٍ عنـــها مُضـــيعٍ ... رعيتـــهُ إذا عَقَـــلَ الرعـــاءُ

فالأفكار العامة في هذا الوصف هي ذات الأفكار العامة عند أوس والتي عرضنا لبعضها في الموازنة السابقة حيث يقول أوس [1] :

كأنّي كَسوتُ الرحلَ أحقَـب فاربـاً ... لَهُ بِجُنـوبِ الشـيطين مسـاوفُ
يُقَلّـبُ قَيـدوداً كَـأن سـراتها ... صفا مُدهُنٍ قَد زحلَقَتهُ الزحـالفُ
يُقَلّـبُ حقبـاءَ العجيـزة سـمحجاً ... بِهـا نـدب مـن زره ومناسـفُ
وأخلَقَـهُ مـن كُـل وقـط ومُـدهُنٍ ... بِطاف فَمشروب يبـاب وناشـفُ
وحلأهـا حتّـى إذا هـي أحنقَـت ... وأشرف فَوق الحالبين الشراسـفُ
وخـب سـفا قُربانِـه وتوقـدت ... عليه مـن الصـمّانتين الأصـالفُ
فَأضـحى بِقـارات السِـتار كأنـهُ ... ربيئَةُ جيشٍ فَهـو ظُمـآنُ خـائفُ
يقولُ لَـهُ الـراؤونَ هـذاك راكـب ... يُؤبنُ شخصاً فَوق عليـاءَ واقـفُ
إذا استقبلَتهُ الشـمسُ صـد بِوجهـه ... كَما صد عن نار المُهـول حـالفُ
تـذكر عينـاً مـن عُمـازةَ ماؤُهـا ... لَهُ حبب تسـتن فيـه الزخـارفُ
لَـهُ نَـأد يهتـز جعـد كأنـهُ ... مُخالطُ أرجاءِ العُيـون القَراطـفُ
فَأوردهـا التقريـبُ والشـد منـهلاً ... فَطاهُ مُعيد كَـرةَ الـورد عـاطفُ

فيلاحظ أن أوساً يشبه ناقته بحمار وحش قوي قد أدركه الحر ، حيث تشح المياه ، فهو يجوب بأتنه الصحراء بحثاً عن الماء ، فيسوقها ، ويشتد في سوقها ، وهذه الأتن مطيعة له ، خاضعة لمشيئته ، أما هو فيرعى شؤونها ، ولايقصر في مسؤوليته نحوها [2].

وكذلك شبه زهير ناقته بحمار الوحش ، وقد اتخـذ كـلا الشـاعرين مـن التشـبيه الاستطرادي وسيلةً ، لسرد الحكاية والانتقال من وصف الناقة إلى وصف الحمر ، فهـذا

---

[1] ديوان أوس : ص٦٨-٧٣.

[2] أمراء الشعر في العصر الجاهلي ،ص: ٤١٥، د. صلاح الدين الهادي ، مكتبة الشباب ، ١٩٤٥م.

الحمار الذي شبه به زهير ناقته ، كريه الوجه غليظ ، سمين ، قد تربع في مكان خصيب ، حسن الرعي ، حتى إذا أقبل الصيف ، وجفت مياه الحفر والغدران و اعتلى الجبل ، وارتاد الفجاج الخصبة الخالية من الناس للرعي فيها ، وأخذ يسوق أتنه سوقاً عنيفاً ، لـيرد بهـا مواضع الماء ، وهو لايغفل عنها ، فهي تجد في السرعة وهو في أثرها يلحق بها ، فهي تثير الغبار في وجهه ، فإذا ما أتم له ما أراد، وانتهى بأتنه إلى حيث تتوافر المياه النقية الصافية ، أخذ يرفع صوته غرداً نشيطاً ،وهو لتمام سنه ، وحدة نفسه ، وكمال خلقته ، يسـبقها حين تباريه في الجري بالأرض الغليظة ، و الطريق الوعر ، ثم هو لا يفتأ يدعو أناثه عنـد الفجر ، حيث يشتد هياجه ونشاطه ، ويجاوبها ، ويرعاها ، فلايقصر في رعايتها . [1]

لقد استطاع زهير إكساب الصورة مزيداً من النماء في حركة المعاني ، ولم يقتصر على الحدود التي وقف عندها أستاذه أو يقصر فيها كما في النص السابق ، وذلك إذا حـاول البحث التدقيق في النقاط الأتية، **أولاً** : أوس يقتصر في التعبير عن شدة الحمار في سـوقه أتنه إلى الماء عن طرق التقريب والشد وهما ضربان من ضروب العدو حيث يقول :

فَأوردها التقريـبُ والشـد منـهلاً قَطاهُ مُعيد كَـرةَ الـورد عـاطفُ

بينما نجد زهير لا يكتفي بهذا القدر من الإيضاح ، بل يحاول أن يوغل في المعنى عن طريق رسم صورة حسية له،تمثل ذلك المشهد بكل ما يحمل في طياته من شعور ، فيشبه تلـك الأتن في انقضاضها وسرعة عدوها نحو مورد الماء، ومفاجأتها بنضوب الماء في ذلك المورد ، بصورة الدلو إذا انتزعت من البئر وهي ملأى فانقطع حبلها ، حيث يقول :

فَشـج بهـا الأمـاعز فَهـي تهـوي هُـوي الـدلو أسـلمها الرشـاءُ

---

[1] الفكرة والصورة في شعر زهير ، ص: ٢٧٦-٢٧٧.

ولايخفى ما لهذا التشبيه من قيمة في تصوير الجانب الشعوري، والتجلي في النزعات النفسية ، فالجانب الأول ، صورة الأتن التي بذلت كل مافي وسعها من جهد ؛ لتصل إلى أقرب مورد لتطفيء لهيب ظمئها ، حتى إذا ما بلغت ذلك المورد ،إذا بها تفاجأ بنضوب ذلـك المورد ، وبين الإنسان الظامئ على فم البئر ، قد اجتهد في انتزاع الدلو من بـاطن البئـر ليهم بالشرب منه ويطفيء ظمأه ، فإذا بحبل الرشاء قد انقطع وعاد الدلو في باطن البئر .

ويزيد زهير من نماء هذا المعنى ، وذلك من خلال تصوير حركة الحمار وهو يطرد أتنه في صورة طردية بين اللحاق والنجاء، وهي صورة تثبت سرعة كلٍ من هذا الحمار ، وأتنـه في شكل تناسبي - أيضاً - ، فهو يلحقها لحاقاً قاسياً لا تبدو منه صفة الترفق والرحمة بهذه الأتن ، وهي تنقاد لهذا اللحاق ، ـ وفي نفس الوقت ـ لاتستسلم له فهي تنجو مـن قسوته ، حيث يقول :

فلـــيس لحاقُـــهُ كلحـــاق إلـــف ولا كنجائهـــا منـــهُ نجـــاءُ

ثم يلاحظ أن زهيراً قد تفرد بصورة لطيفة ، وذلك من خلال تشبيهه لذلك الحمار وقـد سقط من جسمه الشعر ،وجعله في صورة رجلٍ عار ،ٍ قد وقف على مرتفع من الأرض ، وذلك محاولة من الشاعر لإبراز كمال خلقه وطوله ، ثم يعود لينقض ذلك المعنى بصورة أخرى ، حين يشبه بريق جسد ذلك الحمار وهو في المكان المرتفع ،ببريق الثوب اليمـاني الأبيض ، وهي صورة في غاية الطرافة والظرف ، حيث يقول زهير :

قَـــآض كأنـــهُ رجُـــلٌ ســـليب على عليـــاءَ لـــيس لـــهُ رداءُ
كـــأن بريقَـــهُ برقـــانُ ســـحلٍ جلا عـــن متنِـــه حُـــرُض ومـــاءُ

ويمكن القول بأن زهيراً قد برع وأجاد غاية الإجادة في هذين التشبيهين ؛ وذلـك مـن خلال وضع صورة جدلية لهيئة هذا الحمار فهو سليب ليس له رداء في مكان مرتفع ، وهو

في ذات الوقت له جلد براق تشبه الثياب اليمانية البيضاء ، وهذا دالٌ دلالة واضحة على عقلية زهير العميقة في تصويرها الأشياء ، ومحاولة صياغة رؤاه بنظرة لا تخلو من الجانب الفلسفي ، للإحاطة بالصورة من شتى الجوانب .

ويظل زهير شاعرا مستقلاً بذاته ، مؤمناً بأن التأثر والإعجاب بالأستاذ لا يعني التقليد الأعمى له ، فقد استطاع أن يسلك طريقاً مغايراً غير الذي سلكه أستاذه أوس في تشبيهاته هذه المرة عند وصفه لناقته وتشبيهها بحمار الوحش ، فيلاحظ أنه يشبه ناقته بالحمار الوحشي ، وينسى ناقته ، ويدخل إلى عالم الحمار فيكشف أبعاد ذلك العالم بصورة شعرية غنية بالدلالات والإيحاءات ، حيث يقول : [1]:

وكأنها صحلُ الشحيجِ مُطرد ... أخلى لهُ حُقبُ السوارِ ومذنبُ
أكلَ الربيع بها يُفَزعُ سمعهُ ... بمكانِه هزجُ العشية أصهبُ
وحداً كمقلاءِ الوليد مُكدم ... جأب أطاع لهُ الجَميمُ مُحنبُ.
صُلبُ النسور على الصُخور مُراجِم ... جأب حزابيةٌ أقَب مُعقربُ
حتّى إذا لوحُ الكواكبِ شفهُ ... منهُ الحَرائرُ والسفا المُتنصبُ
ارتاع يذكُرُ مشرباً بثماده ... من دونِه خُشُع دنونَ وأنقُبُ
عزم الوُرود فَآب عذباً باردا ... من فَوقه سُد يسيلُ وألهُبُ

---

[1] ديوان زهير : ص٢٧٧، وبهامشه (صحل : الحمار في صوته بحة . الشحيح : صوت الحمار . مقلاء الوليد : عود يضرب به الصبيان . مكّدم : معضعض . الجميم : النبات الكثير . المحنب : الذي في يديه وصلبه انحناء .النسور: جمع نسر : مشخص من باطن الحافر . الراجم : الذي يرجم الأرض بحافره . الحزابية : الحازم المتيقظ . المعقرب : المحكم الخلق . لوح : عطش . الكواكب : القيظ . الحرائر : جمع حرور وهي الرياح الحارة . السفا: شوك البهمى . المتنصب : القائم المنتصب . الثماد : الماء القليل . خشع : الجبل الطويل . أنقب: جمع نقب ، وهو الطريق في الجب. [7] الجفرة : الحفرة المستديرة . جمامهن : أمواجهن وفوران مائهن).

جفـر تفـيضُ ولا تغـيضُ طوامياً ... يزخرنَ فَوق جِمـامهن الطُحلُـبُ
فَاعتامـهُ عنـد الظـلامِ فَسـامهُ ... ثُم انتهـى حـذَر المَنِيـة يرقُـبُ
وعلـى الشـريعة رابِـئٌ مُـتحلس ... رامٍ بِعينيـه الحَظـيرةَ شـيزبُ [٢]
معـهُ مُتابِعـةٌ إذا هُـو شـدها ... بِالشرعِ يستشزي لَـهُ وتحـدبُ
ملسـاءُ مُحدلـةٌ كـأن عنادهـا ... نوّاحـةٌ نعـت الكـرام مُشـبِبُ
قَنـواءُ حصّـاءُ المُقَـوسِ نبعـةٌ ... مثلُ السبيكة إذ تُمـل وتُشسـبُ
عُـرش كحاشـية الإزارِ شـريجةٌ ... صفراءُ لا سـدر ولا هـي تألـبُ
ومُنَقـف ممّـا بـرى مُتمالـك ... بِالسيرِ ذو أطُـرٍ عليـه ومنكـبُ
قَرمـى فَأخطـأهُ وجـالَ كأنـهُ ... ألم على بـرزِ الأماعزِ يلحـبُ

فأول مايظهر أن زهير يعتمد كثيراً في بداية هذه الصورة ، ويتوكأ فيها علـى الحاسـة الصوتية ؛ لإبراز جانب القوة في ذلك الحمار – وقد تكرر معنا ذلك في صورة سـابقة " **كمصلصلٍ يعدو على بيدانة** " - فهو ذو صوت مبحوح ، قد طرده الصيادون أو الحمير حتى استفرد بنفسه في مكان خال عند روضة غناء ، ذات نبات كثيف ، لايسمع فيه إلا صوت الذباب ، وظل وحيداً في هذا المكان ، ففصل الربيع ،والنبات الكثيـف أعطـى جمالاً وبهجة يعكس الحالة التي يحسها الحمار ، ثم يشبه هذا الحمار بمقلاء الوليد : وهـو العود الذي يضرب به الصبيان ، ويقصد من ذلك وصف ضموره ونحالة جسده ، وهـو

---

[١] الديوان :(٢٧٨- ٢٧٩) وبهامشه : لرابيء: الحارس . المتحلس : المقـيم . سـيزب : اليـابس الضامر . المحدلة : التي أعلاها أوسع من أسفلها ، نعت الكرام : أخبرت بموتهم ، ومكتهم . المشبب: النائحة تشبب الحزن ،وتؤرثه .قنواء : المحدودبة . الحصاء : الجرداء . نبعة : مصنوعة من شجر النبع . السبيكة : القطعة من الفضة ذزبت ز وأفرغت في قالب . : تملّ : تعالج بالنار . وتشسـب: تضـمر وتيبس .العرش : الطويلة . شريجة : فلقة العود ، إذا شق فلقتين متسـاويين . السـدر و التألـب : شجران ضعيفان متمالك : أي شديد .برز الأماعز : المرتفع الصلب ، يغطيه حصى سود . يلحب : يقطع الارض بالعدو قطعا).

مايدل على صلابة عوده ، ثم راح الشاعر يستطرد في أوصاف الحمار الدالة على صلابته وقوة بأسه ، مؤكداً على قوة،وشدة تحمله ، فهو مكدم من آثار عضات الحمير التي يعترك معها ، وكذلك هو غليظ قد انحنى صلبه من كثرة ما يلاقي من المواجهـات . وهـذا الحمار خفيف وقع الحافر . وهو ما يدل على سرعته ، وهو غليظ ، ضامر البطن ، حازم متيقظ ، قد أحكمت خلقته .

وبعد أن استكمل الشاعر فضائل هذا الحمار الخلْقية ، راح يذكر لنا قصة مغامراته مـع الصائد أثناء وروده الماء . فحينما ارتفعت درجة الحرارة ، وأصاب هذا الحمار لفح القيظ ، شعر بالعطش ، واحتاج للماء ، فرجع يبحث عن مكان فيه ماء ، فتذكر مكانـاً وراء جبل ذا ماء قليل ، فعزم على ورود هذا المكان ليلاً ، وهذا الماء في شق الجبل ، في حفرة مستديرة منه ، قد عمها الطمي والطحلب ، فأخذ هذا الحمار يرقب هذا الماء ، ويتأمله في حذر ، وبينما هو كذلك إذ رأى الصائد عند مورد الماء وهو متربص به يتحين الفرصـة لاصطياده . وقد عرض في الفصل الثاني من البحث مظاهر الصنعة في هذا النص ، ويشير البحث إلى بعضٍ منها فمن ذلك: الجمال الموسيقى في قوله : " **جفر تفيض ولاتغيض** "، وبثّ روح الحذر داخل النص بقوله : " **حذر المنية يرقبُ**" .

ثم ينتقل بنا زهير إلى عرض الأحوال المفزعة والمثيرة التي واجهت الحمـار .فيـذكرلنا حكاية الصائد ويعرض تفاصيل المواجهة بينه وبين هذا الحمار ، ، فعند ما اقترب الحمار من مورد الماء ، إذا بالصائد المقيم على هذه الماء متربص للفريسة ، ومعه قوسـه الـذي لايبرح عنه ، ثم أخذ زهير يحكي لنا تفاصيل القوس ، ويذكر مراحل نسجها ، وإحكـام صنعها ، فهي ملساء لاشق فيها ولانتوء فيها ولاميل ، وأعلاها أوسع من أسفلها ، ثم أخذ يشبه صوت وتر القوس إذا رمى عنها ، بصوت النائحة التي تشبب بالحزن ، وتؤرثه وهي تنعى الكرام وتخبر بموتهم ،وتبكيهم .ويقصد من ذلك سداد رمي هذه القوس ، وإصابتها مقتل العدو،ونكايتها بهم عند اللقاء ، فكأن صوتها يوحي لزهير ، ويذكره بذلك ، وقـد برع الشاعر في خياله حينما ارتسمت له صورة النائحة الثكلى ، عند سماع صوت وتـر القوس ثم أخذ الشاعر يفصل كل جزء صنع في هذه القوس، فهي جرداء ، محدودبـة ، صنعت من شجر النبع : وهو أصفر العود ثقيله ، قد صارت ملساء من كثـرة صـقلها

والعناية بها ، ثم أخذ زهير يشبه حالها وهي بهذه الصفة ، بحال السبيكة من الفضـة قـد ذوبت في قالب ، ثم تعالج بالنار ، ثم تضمر وتيبس ، ويريد الشاعر من عرض هذه الصورة المركبة ، إظهار طيب معدن هذه القوس ونفاسته ـ والتي هي كالفضة في ذلك،وفي صفاء عودها وسلامته من الشوائب والعلل ـ .وهذه القوس طويلة تشبه جانب الإزار الـذي لاهدب فيه ، وعودها قوي مفلوق فلقتان متساويتان ، ثم انتقل الشاعر ليصف لنا مشهد السهم وهو يخطيء رميته . فأطلق هذا الصائد سهمه المنكب بريش العقاب ، والملفـوف عليه بالعصب ، ـ وفي هذا إشارة إلى جودة السهمّ ـ فأخطأ هذا الصـائد في رميتـه ، فدار دورة من شدة التحسر والألم ، فراح يشبه الشاعر حاله بحال من يقطع أرضاً صلبة ، وعليه حصى سود : وهي حادة الملمس . وهو يعدو على هذه الأرض عدواً ، ويتحسس من شدة الألم . و الشاعر أراد أن يظهر من هذه الصورة شدة الندم ، والتحسر الذي حل بهذا الصائد الضامر المتربص بهذ الحمار ، والذي ربما ضاعت عليه فرصته التي قد لاتعوض أو لاتتكرر ثانية .

وهكذا يظهر زهير- من خلالا هذا النص الشعري الراقي ، الذي تملؤه الصـور البيانيـة الرائعة عن طريق حكاية ذلك الحمار ، وما قاساه من معاناة ، مودعاً فيها أسلوب فنـه البديع ، وصنعته المعهودة - شاعراً مجدداً للصور التي أفادها من أستاذه ، مستقلاً بذاتيته يحاول أن يسلك له طريقاً مغايراً يبرز من خلاله تجربته الخاصة الناضجة في شتى منـاحي الحياة الواسعة .

* * *

ب ـ تشبيه الناقة بثور الوحش :

١ـ التشبه الأول :

سلك زهير مسلك أستاذه أوس في وصف ناقته وتشبيها بثور الوحش ، ولقد بـدا تـأثر زهير واضحاً جلياً بأستاذه في العديد من الجوانب التصويرية ، وذلك من خلال وصـفه لهيئة ذلك الثور ، ويحاول البحث أن يبرز التجديدات التي نشأت عند زهير من خـلال إضافته في تشبيهات أوس ، فأوس يقول في وصف ناقته ، وتشبيهها بثور الوحش [١]

وكـأن أقتـادي رميـتُ بِـ ـ ـها ... بعـد الكـلال مُلمعـاً شبـا

من وحـش أنـبط بـات مُنكرسـاً ... حرجـاً يُعـالجُ مُظلمـاً صـخبا

لهـ ـقاً كـ ـأن سـراتهُ كُسِـيت ... خرزاً نقـا لـم يعـدُ أن قَشُـبا

حتّـى أتيـ ـح لـهُ أخـو قنـ ـص ... شـهم يُـ ـطر ضـواريا كُثُـ ـبا

يُنحـي الـدماءَ علـى ترائبِـ ـها ... والقـد معـ ـقوداً ومُنقضـ ـبا

قَذَأونـهُ شـ ـرفاً وكُـ ـن لـ ـهُ ... حتّـى تُفاضـلَ بينـ ـها جلبـا

حتّـى إذا الكـ ـلّابُ قـالَ لهـا ... كاليـ ـوم مطلوبـاً ولا طلبـا

ذَكـر القتـ ـالَ لهـا قَراجعـ ـها ... عـن نفسِـه ونُفوسـ ـها نـدبا

قَنـ ـحا يشـ ـرته لسابقـ ـها ... حتّى إذا مـا روقُـهُ اختضـ ـَبا

كرهـت ضـواريها اللحـاق بِـه ... مُتبـ ـاعداً مـعهاومُقتـ ـربا

وانقَـ ـض كالـ ـدرّيءِ يتبـ ـَعُهُ ... نقع يثـ ـورُ تخـ ـالُهُ طُـ ـنبا

يخفـى وأحيـ ـاناً يلـوحُ كمـا ... رفَع المُنـ ـيرُ بِكـ ـفه لهـ ـَبا

---

[١] ديوانه :ص٢.وبهامشه (والرحل : مايوضع على ظهرالبعيرللركوب. والملمع :هو الثور الـذي في جسمه بقعة تخالف سائر لونه .و الشبب: هو الثور الذي تم تمامه وذكاؤه منكرساً : أي متجمعـاً منقبضاً،. حرجاً : لجأ إلى مضيق من الأرض . والمظلم الصخب : صفة الليل ، وصخبه لاشتداد وقع المطر فيه ، أو تذؤب الريح بين ورق الشجر . وحش أنبط : وهو مكان يكثر فيه ثور الوحش .لهق : أي ابيض اللون ليس بذي بريق ولا موهة . لم يعد أن قشباً ؛أي : أنه حديث عهد بالجلاء).

فالمعاني والأفكار في هذا التشبيه تنطلق من تشبيه الناقة بثور الوحش ، وهذا الثور من وحش أنبط : وهو مكان يكثر فيه ثور الوحش ، يتميز بلون أبيض ليس بذي بريق ولاموهة ، قد بات ليله منقبضاً صاخباً ، يشبه ظهره حبات الخرز ، - أي: منتقى من خيار ثور الوحش -.ثم يدخل في ذكر قصة هذا الثور وما صادفته من أحوال مروعة مع الصائد وكلابه ،فقد صادف الثور صياداً شهماً يسوق كلابه ويدفعها أمامه وهي مجتمعة متقاربة ،وقد قد له سوطا من جلد ،هذه الكلاب تسيل دماؤها على ترائبها من جراء فعل السوط الذي يضربها به الصياد ، فطردته هذه الكلاب نحو مكان مشرف مرتفع ،مكشرة عن أنيابها الشر ، وتتحين الفرصة لتندفع إليه دفعة واحدةً ، تشبه في اجتماعها الأنعام من الأبل والأغنام التي تجلب لتجتمع في مكان محدد من أجل البيع ، وهذا الصياد عندما رأى الثور والكلاب تطردنه ، اندهش من شدة طلب هذه الكلاب لهذا الثور ؛ فلم ير مثل ذلك الطلب من قبل ! ،ثم إن هذا الثور ذكر القتال لهذه الكلاب ليصدها ويراجعها عن نفسه ، فلم يثنها عن عزمها ذلك ، فنحا بقوة عارمة ونشاط شديد نحو السابق من هذه الكلاب و المقترب منه ، ليضربه بقرنه ضربة أردته مضرجاً بدمائه، وأصبح القرن من أثر الدماء كالمخضوب بالحناء ، فلما رأت هذه الكلاب المعتادة على الصيد ، ذلك الموقف المرعب بالنسبة لها ،كرهت اللحاق بالثور خوفاً منه ، بعد أن رأت ذلك المشهد المفزع للسابق من الكلاب ، فأصبحت في توجس وخوف شديد مابين ابتعاد من الثور واقتراب منه ، فأنقض هذا الثور كالكوكب الدريء ، يتبعه غبار ساطع يشبه الخيم ، وهذا الثور يظهر تارة ويخفى خلف الغبار تارة أخرى فلا يرى؛ كالذي يرفع فوق رأسه جذوة من لهب فينبعث ضؤوها عليه فيرى بوضوح ، ويذهب انبعاث ضوئها عنه فلايرى .

هذه هي مجمل الأفكار التي دارت في تشبيه ناقة أوس بثور الوحش .

أما أبيات زهير التي يصف فيها ناقته ويشبهها بثور الوحش فيقول فيها : [1] :

كـأن كـوري وأنسـاعي ومثـرتي ... كسـوتهنّ مشـبّاً ناشـطاً لهقـاً
رءـى بغيـث لأوراكٍ فناصـفة ... من الشـتاء فلمـا شـاءه نفقـا
وقـد يكـون بهـا حينـا تُعـز بـه ... وقد تطـرق مـن حافاتهـا أنقـا
عشراً وخمساً فقـد طابـت مراتعـه ... من الربيه ولم يبـدنْ وقـد زهقـا
فسار منـها علـى شـيم يـؤم بهـا ... جنبي عمايـة فالركـاء فالعمقـا
فأدركتـه سمـاء بينـها خلـل ... تروي الثرى وتسيل الصفصف القرفا
فبـات معتصـما مـن قرهـا لثقـا ... رشّ السحاب عليه المـاء فاطّرقـا
يمـري بأظلافـه حـتى إذا بلغـت ... يُبس الكثيب تداعى التربُ فانخرقا
مـولّي الـريح روقيـه وجبهتـه ... حتى دنا مرزم الجـوزاء أو خفقـا
ليلتـه كلـها حـتى إذا حسـرت ... عنه النجوم أضاء الصبح فانطلقـا
فصـبّحته كـلاب شـدّها خطـف ... وفانصُ لاتـرى في فعلـه خُرُقـا
زرقُ العيون طواهـا حسـن صـنعته ... مجوّعات كما تطـوي بهـا الخِرقـا
حتى إذا ظنّ قـرن الشـمس غالبـةٌ ... وخاف من جانبيه النـهز والرهقـا
كـرّ ففـرّج أولاهـا بنافـذة ... نجلاء تتبـع روقيـه دمـا دُفقـا

---

[1] ديوانه ، ص٤٤. وبهامشه : (الميثرة: حشية يضعها الراكب تحته فوق الرحل . المشب : الثـور الوحشي الكبير . النشط الذي يخرج من بلد إلى آخر . اللهق : الشديد البياض .أوراك وناصـقه : موضعان من بلاد تميم .شاءه : ساءه وأحزنه . نفق: خرج وذهب . تعزبه : تفرده . تطـرف مـن حافاتها : أكل من حافاتها . الأنق : الكلأ المعجب . العشر : أن يرد يوما ويمكث ثمانية أيام ثم يعـود في اليوم العاشر . والخمس على نفس التقدير . يبدن : يبلغ غاية في الضخامة . زهق : سمن .علـى شيم : على منظر قد رآه .الصفصف : المستوي من الأرض . القرق : الأملس الذي لاشيء فيه .قرها : بردها . اللثق : المبتل. اطّرق : ركب بعض وبره على بعض . الروق : القرن . المرزم : الـنجم . خفقا : غاب .الشد : العدوالشديد . الخطف : السريع . الخرق : النزق وسوء العمل . طواهـا : أضمرها . النهز : الجذب ، الرهقا : اللحاق . نافذة : الطعنة تنفذ إلى الجوف النجلاء : الواسعة) .

فالأفكار والمعاني التي تدور في صورة زهير تنطلق مما انطلق منه أستاذه أوس ، فهو يبـدأ بذكر ناقته، ويشبهها بثور الوحش المسن ، الأبيض ، الذي يخرج به من بلد إلى آخر ، ثم ينتقل إلى ذكر تفاصيل الحكاية في هذا التشبيه ، ويعيش مع هذا الثور ـ المشبه به - لحظة بلحظة ناسياً المشبه(الناقة) ، فهذا الثور يرعى الكلأ النابت من المطر ، في موضعين لبني تميم يسميان " **أورك ، وناصفة**" ، وبقي فيهما حتى ساءته تلك المواضع التي بقي فيهـا منفردا وحيدا ، فانتقل منها إلى أماكن أخرى قد أعجبه حسن منظرها ، وبينما هو قاصد تلك الأماكن ، أدركه المطر ، فسالت الأرض ، وروي الثرى ، ففر هذا الثور إلى مـلاذ آمن يختبئ فيه ،ويقي نفسه من البرد القارص ، وقد تبلل جسمه بالمطر ، وتلاصق وبره وصار بعضه فوق بعض ، فأخذ يحفر في الثرى ليصل إلى باطن الأرض ، إلى الرمل الجاف الذي لم يصبه المطر ، لينهال عليه ، وظل على هذه الحال ليله كله ، حتى طلع الصـباح ،وهدأت الريح ، واعتدل الجو .وبينما هو يستعد للانطلاق من مكانه ، ليعود إلى سالف عهده من الرعي، إذ صبحته كلاب القانص ، تعدو وراءه بشدة وسرعة ، عليها علامات الجوع ، والشراسة ظاهرة عليها، وهذا القانص ماهرحاذق في صيده ، فأسرع هذا الثور في الهرب ، وهذه الكلاب قد جدت في اللحاق به ، حتى استيقن أنهـا سـتتمكن مـن اللحاق به لامحالة ،كر إليها راجعاً ، واستقبل أقربها منه وأسرعها بقرنه الحاد ، فأنفذه في جوف ذلك الكلب ، فشقه شقاً ، ليخر ذلك الكلب صريعاً ، مضرجاً بدمائه .

فأول مايتبادر إلينا من ظواهر التأثر عند زهير ، الحديث عن هيئة وقوة ذلك الثور وحيويته ، بعد تشبيه الناقة به ، فهو عند أوس ملمعٌ شبب أبيض اللون لهق ، من وحش أنـبط . ولم يختلف زهير عن أوس في بيان قوة وهيئة ذلك الثور فهو مشاب ، ناشطٌ أبيض اللون لهق أيضاً لكنه من أوراك ، ووصف اللون الأبيض لهذا الثور يستمر عند زهير في موضـع آخر ، إذيقول في قصيدة له ويشبه ناقته بثور الوحش – أيضاً- [1]:

وكأنهـا بعـد الكـلال عشـيةً قهـبُ الإهـابِ مُلمـع بسـواد

---

[1] ديوان زهير : ص٢٤٥.

أما عن تفاصيل أحداث قصة ذلك الثور، فهي متشابهة إلى حد كبير أيضاً ، تصل إلى حد الاتفاق ، فالثور عند كلا الشاعرين يقاسي البرد الشديد في الليلة الماطرة ، ويواجه ريحـاً شديدة عاتية، ويحاول الصبر على كل تلك الأهوال التي تلاقيه ، رغم تذمره منها .

حيث يقول اوس :

من وحـش أنـبط بـات مُنكرسـاً حرجـاً يُعـالجُ مُظلمـاً صـخبا

ولقد استطاع زهير أن يضيف إلى كل هذه المعاني صوراً أكثر تفصيلاً ودقةً ، ويعرض لها بأسلوب أكثر تشويقاً وإثارةً ، فالثور عند زهير قد أصابه المطر ،وهذا المطر شديد ، يروي التراب ويندبه ، ويسيل الأرض المستوية ، وهذا الثور مبتلّ قد بات ليلتـه تلـك وهـو مستمسك بشيء مستترُ ولائذ به ، يشكو غاية البرد ، مطرق الشعر بعضه فوق بعض ، ثمّ إن هذا الثور قد عمد إلى حيلة ؛ لعله يتوصل من خلالها أو يستقر به الحال إلى أرض جافة تدفئه من هذا البرد القارص ، فأخذ يحفر بأظلافه الأرض ، فاستقام له الحفـر في الأرض الندية ، فلما وصل إلى الرمل الجاف ، إذا بالرمل ينهال عليه من جديد ، وبينما هـوعلى تلك الحالة ، حاول أن يستذري من الريح الشديدة الباردة بقرنيه ، وجبهته ليغطي سائر بدنه . حيث يقول :

فأدركتـه سمـاء بينـها خلـل تروي الثرى وتسيل الصفصف القرفا
فبـات معتصـما مـن قرهـا لثقـا رشّ السحاب عليه المـاء فاطّرقـا
يمـري بأظلافـه حـتى إذا بلغـت يُبس الكثيب تداعى التربُ فانخرقا
مـولّي الـريح روقيـه وجبهتـه حتى دنا مرزم الجـوزاء أو خفقـا

ثم بعد ذلك يظل تأثر زهير بأستاذه أوس قائماً من حيث مجريات قصـة هـذا الثـور ، وأحداثه في ملاقاة الصائد وكلابه .فلما أصبح الثور عند أوس من ليلتـه تلـك ، إذا بصائد محترف ، شهم الخليقة ، قد وافى بكلابه المتمرسة على القنص هذا الثور ، وهـي مجتمعة متقاربة من بعضها البعض ، والدماء تسيل على ترائب تلك الكلاب ، وهي تحاول الانقضاض عليه في مكان مشرف مرتفع ،وبينما الثور في ذلك الموقف العصيب ، إذا بـه

يحاول تشجيع نفسه في ملاقاة تلك الكلاب ، ويحاول أن يستجمع قواه حال تـذكره للقتال ، فنشبت المعركة العنيفة الدامية بينه وبين الكلاب ، بعد أن بدأته هي بالاعتداء ، فإذا به ينفذ قرنه الحاد في أقرب تلك الكلاب مسافة منه، فيرديها قتيلة مضرجة بدمائها ، حتى أثار ذلك المشهد الرعب في بقية الكلاب ، وظلت مترددة بين كرٍ وفـر ، فـانقض ذلك الثور من بين الكلاب في سرعة شديدة ، مزهواً بنفسه .

حيث يقول أوس :

حتّـى أتيـ ـحَ لـهُ أخـو قنـ ـصٍ شـهم يُـ ـطر ضـواريا كُثُـ ـبا
يُنحـي الـدماءَ علـى ترائبِـ ـها والقـد معـ ـقوداً ومُنقضـ ـباً
فَذَأونـهُ شـ ـرفاً وكُـ ـن لـ ـهُ حتّـى تُفاضـلَ بينـ ـها جلبـا
حتّـى إذا الكَـ ـلّابُ قـالَ لهـا كاليـ ـوم مطلوبـاً ولا طُلبـا
ذَكَـر القتـ ـالَ لهـا فَراجعـ ـها عـن نفسِـه ونُفوسـ ـها نـدبا
قَنـ ـحا يشـ ـرته لسابقـ ـها حتّـى إذا مـا روقُـهُ اختضـ ـبا
كرهـت ضـواريها اللحـاق بِـه مُتبـ ـاعداً مـعهاومُقتـ ـربا
وانقـ ـض كالـ ـدرّيءِ يتبـ ـعُهُ نقع يثـ ـورُ تخـ ـالُهُ طُـ ـنبا
يخفـى وأحيـ ـاناً يلـوحُ كمـا رقَع المُنـ ـيرُ بِكَـ ـفه لهـ ـبَا

فيلاحظ أن زهيراً عرض لمجمل تلك التفاصيل التي عرض لها أستاذه أوس ، وإن كان لم يصل- في هذا المشهد -إلى مستوى الدقة في مراعاة الأحداث ، وعرض المشاهد التي عند أوس ،فبينما الثور عند زهير بات ليلته على تلك الحالة من معاناة البرد والرياح والبلـل ، إذا بالصبح قد طلع ، والكلاب على إثره تسبق هذه المرة الصائد ، فعنـد أوس علـى العكس من ذلك ، وهذا الصائد يحمل نفس المواصفات التي عند أوس فهناك " **أخو قنص شهم** "وهنا " **فانص لاترى** في **فعله خرقا** " ، وهذه الكلاب مفزعة الشكل ، تثير الرعب، وهي مجوعة في غاية الشراسة. فظل هذا الثور يبحث عن طريقة يخلص بها نفسه ، فلمـا علم أن المواجهة أمر لابد منه ، وخشي على نفسه من شدة التعب ، وبدأت هذه الكلاب

تنهزه ؛ انهال على أول تلك الكلاب بقرنه ، فأنفذها في جوفه فإذا بالدماء تتدفق منـها وتخر صريعةً .

حيث يقول :

فصـبّحته كـلاب شـدّها خطـف وفانصُ لاتـرى في فعلـه خُرُقـا
زرقُ العيون طواهـا حسـن صـنعته مجوّعات كما تطـوي بهـا الخِرقـا
حتى إذا ظنّ فـرن الشـمس غالبـةٌ وخاف من جانبيه النـهز والرهقـا
كـرّ ففـرّج أولاهـا بنافـذة نجلاء تتبـع روفيـه دمـا دُفقـا

فيلاحظ التفاوت في تفوق زهير، وإخفاقه بالنسبة لإضافة المعاني وإحكامها مـن حيـث التفصيل وتتابع الأحداث ، فتارة يفضل أستاذه ، وتارة يخفق ، وكما تبين لنا أن تفـوق زهير كان ظاهراً في سرد أحداث الثور وهو يعاني أحوال الليلة الشاتية الماطرة ، وإبـراز تلك المعاناة وسعيه في التخلص من أحوال تلك الظروف الصعبة ، واسـتطاع زهـير أن يفيض أحاسيسه عن طريق تلك الصورة المؤثرة ؛وهو مايعكس طبيعة زهير الأنسـانية ، وسجيته التي لاتميل إلى إظهار روح الانتقام أو المبالغة في أخذ الثأر ،والاكتفـاء بتمثيـل المواقف فقط .

أما أوس - ففي تصور الباحث - أنه تفوق في سرد أحداث الثور وهو يعـارك تلـك الكلاب ، وأجاد في تصويره في القضاء على السابق منها ، في صـورة تملؤهـا الزهـو والانتشاء ، والعجب بالنفس ؛لأنه إنما يمثل طبيعته التي تميل إلى روح البداوة ، و تعكس طبيعة الحياة الصحراوية القاسية التي يحترم فيها القوي ، ويهاب ، ويهان فيها الضـعيف .

ويقول أوس في قصيدة أخرى يصف فيها ناقته ويشبهها بثور الوحش ـ أيضاً ـ [1] :

كأنها ذو وُشـومٍ بيـن مأفقـَة والقُطقُطانة والبُرعـوم مذعـورُ
يسعى بِغُضف كأمثال الحَصـى زمعـاً كأن أحناكها السُـفلى مآشـيرُ
حتـّى أشب لهُـن الوِرُ مـن كنَـبٍ فأرسـلوهُن لم يدروا بمـا ثـيروا
ولّى مُجِـدّاً وأزمعن اللـَحاق بِـه كأنهـُن بجنبـَيه الزنـابـيرُ
حتـّى إذا فُـلت نالتـهُ أوائـلُها ولـو يـشاءُ لنجـتهُ المَثـابيرُ
كر علـيها ولم يفشـَل يُهارشُـها كـأنهُ بتواليـهن مسـرورُ
فَشـكها بِذَليـقٍ حـدهُ سـلب كأنهُ حيـن يعلوهُـن موتـورُ
ثُم استمـرّ يُبـاري ظلـهُ جـذلاً كأنهُ مـرزُبانٌ فـاز محبـورُ

فيذكر أوس ناقته على وجه التفصيل ، والدقة ،و يستطرد في وصفها عن طريق تشبيهها بثور الوحش وسرد حكايته ، فهذا الثور له وشوم عديدة ، وهو مـذعور الحـال. ولم يصرح بلفظ المشبه به ، و عمد إلى الكنايه عنه بصفة من صفاته ، ولعل في ذكر صفة هذا الثور الوحشي بأنه ذو وشوم مزيد فائدة ، ؛ فالوشوم تعني أن جسم هذا الثور بارز يسهل ملاحظته ، و يصعب عليه التخفي ، وربما هذا ما جعله ، يبالغ في الحذر و الحرص حتى أصبح مذعورا. ثم يستكمل الشاعر وصف هذا الثور الوحشي ذي الوشوم ، الذي شـبه الناقة به ، وأن هذا الثور شعر بترصد القناص له، فانفتل راجعا مولياً ، يقصر في خطـوه

---

[1] ديوانه :ص ٤٢-٤٣ وبهامشه:(الجران : مقدمة العنق من المذبح إلى النحر. وتقلولي : تقلـق في موضعها وتتجافى عنه وتريغ النفور . النفر : النفار . النور : جمع نوار وهي النافرة .) ذو وشـوم : صفة للثور الوحشي . مأفقة والقطقطانة والبرعوم : أسماء مواضع . مذعور : صفة للثور. الركـز : الصوت الخافت . انصاع : انفتل راجعا . منثورا : عائدا مواليا . مقصور : قصير. الغضف : جمـع أغضف وهو الكلب الذي استرخت أذناه وأقبل تا على القفا. الزمع : الذي يسير ببطء وتؤده يخالس الفريسة . مآشير : مناشير . المثابير : يعن المثابرة . لم يفشل : لم يفتر . يهارشها: يناوشها. الـذليق : الحاد . الموتور : الذي له عندها وتر ، أي ثأر. المرزبان : وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك).

خوفا من أن يسمعه هذا القناص . ثمّ يرسم أوس صورة هذه الكلاب الـتي تريـد أن تنقض على هذا الثور الوحشي ، فراح يشبهها في استجماع القوة والصلابة بالحصـى . وأن هذه الكلاب تخالس فريستها في بطءٍ وتؤده لتنقض عليها ، ويشبه أحناكها السلفى في بروزها وحدتها بالمناشير .ثمّ قال : "**ولّى مجدا** "، ويقصد أن هـذا الثـور ولى هاربـاً بنشاط وقوة ، وهذه الكلاب قد بدأت في ملاحقته من كل جانب ، تشبه ملاحقتها له ملاحقة الزنابير ، وتشبيه الكلاب بالزنابير يدل على أن هذه الكلاب كثيرة العدد ، محيطة بالثور من كل جانب ، . ثم بعد ذلك لحقت أوائل هذه الكلاب بهذا الثور ، حتى ظـن الرائي أنها سوف تجهز عليه ، فلو أنه اجتهد وثابر في الهرب لاستطاع النفـاذ منـها ،ثم كانت المفاجأة ؛ فهذا الثور أخذ يناوش هذه الكلاب ، ويكر عليها ، غير آبه بكثرتهـا، يشبه حاله حال المسرور بتوالي هذه الكلاب من حوله ، وكأنه يريد منها هذا التجمـع ، والتجمهر حوله .فأخذ هذا الثور يتوجه بقرنه الحاد ، وسلاحه الأمضـى ، ، إلى هـذه الكلاب التي لحقت به ، ليشكها به ، ويشبه حاله بحال من له ثأر عندها من قبل ، وذلك من هول ضربته التي شك بها هذه الكلاب ، وقوتها، فكانت ضربة قاضية .

فأخذ الشاعر يصور لنا شعور هذا الثور بعد أن قضى على خصومه ، فأخذ يصارع ظله ، اعتدادا بنفسه ، وزهوا بها ؛ لما كبد ه في هذه الكلاب من فدائح ، وخسائر . ويشـبه حاله بحال القائد الشجاع الذي انتصر في معركته فهو مزهو بنفسه ، يملؤه الانتشاء واللذة بطعم النصر ، لمابينهما من إظهار التبختر والتمايل والعجب بالنفس ؛وذلك افتخـاراً ، وزهواً ، وشعورا بنشوة الانتصار .

ويلاحظ أن تأثر زهير بأستاذه أوس يمتد لأكثر من نص شعري ، حيث يقول في قصيدة أخرى له ، ويشبه فيها ناقته بثور الوحش [1]:

أقَـذاك أم ذو جُـدتين مُولـع ... لهـق تُراعيـه بِحومـلَ ربـربُ
بينـا يُضـاحكُ رملـةً وجِواءَهـا ... يوماً أتـيح لـهُ أقيـدرُ جأنـبُ
فتركنـهُ خضـلَ الجَـبين كأنـهُ ... قَرم بِه كَـدمُ البِكـارة مُصـعبُ
ابتـزهُن حُتـوفهُن فَفـائطٌ ... ف عطب وكابٍ للجـبين مُتـربُ

فزهير يشبه ناقته بثورٍ ذي جدتين :أي في ظهره خطان مختلفان في اللون عن سائر لـون الجسد ، وهذا الثور أبيض اللون ، مخطط القوائم ، يرعى هذا الثور ومعه قطيع من بقـر الوحش ، وبينما هو يرعى مسروراً مع بقر الوحش في تلك الرملة ، إذ تفاجأ بأن لاقـى صائداً قصيرا غليظ الخلقة ، فقصد هذا الصائد إلى هذا الثور الأبيض ، فأخذت الأنفة هذا الثور من أن يهرب ، فجال ثم وجه إليه سلاحه الفتاك ، قرنه الذي لايملك سـواه عنـد احتدام الخطب ، وذلك ليردعه عن مواصلة الصيد ، وراح الشاعر يرسم صورة حسـية مركبة لهذا المشهد العنيف ، فشبه الدم الخضل الذي انخضب به جبين الثور من جراء طعن الكلاب وقتالها ، بالكدمات وآثار العض الذي أصاب فحلاً من الإبل غير مذلل للركوب .

فأول ما يلفت نظر البحث ، توصيف لون الثور فهو عند أوس **"ذو وشوم بـين مأفقـة والقطقطانة والبرعوم " .**

---

[1] ديوان زهير : ص٢٧٩.وبهامشه : (ذو جدتين : الثور في ظهر خطتان تخالفان لونه . المولـع : المخطط القوائم . تراعيه : أي ترعى معه .الجوى: المنخفض من الأرض . أقيدر : الصياد القصـير . جأنب : الغليظ القصير . القرك : الفحل من الإبل .الفائط : الميت . الكابي: المنكـب . المتـرب : المطروح في التراب).

بينما الثور عند زهير " **ذو جدتين مولع لهق تراعيه بحومل ربرب** " وهو في موضع آخر " **مشاباً ناشطاً لهقاً** " ومرة أخرى نراه يكرر ذات اللون ، ويؤكد عليه فهو " **فهب الإهاب ملمع بسواد**".

وربما كان اختيار زهير - ومن قبله - أوس اللون الأبيض للثور ؛لأنه أقرب الألوان دلالةً على النقاء والصفاء الروحي ، والذي يجعل الباحث يميل إلى أن حال الثور و ما يلاقيه من أحداث صعاب ، والتغلب عليها بقوة الإرادة والعزيمة ، والشجاعة ؛ إنما يعكس حال الشاعر .

ويجدر بالبحث التأكيد على ما ذكره سابقاً ،وهو الفرق بين روح زهير وفطرته ، وبين أستاذه أوس ، فأوس يميل أثناء سرد قصة الثور إلى إظهار قوته بعد التغلب على أعدائه ، ويظهر التشمت بهم ، حين يقول :

ثُم استمر يُباري ظلهُ جذلاً كأنهُ مرزُبانٌ فاز محبورُ

على العكس من زهير الذي لايلتفت إلى ذلك ، ويكتفي بردع المعتدي .

ويلاحظ في هذا النص أن قصة الثور أقل حظاً من النص السابق من ناحية ، عرض زهير لأحداث وتفاصيل الثور الذي يشبه ناقته ، وقد انتقل زهير في سرعة إلى قصة الصائد ، وأجمل فيها الأحداث إجمالاً دون عرض أو تفصيل ، بخلاف العادة التي جري العرف عليها عنده في ميله نحو التفصيل والتدقيق ، وزهير في هذا الوصف يشبه سائر الشعراء الجاهليين المتقدمين ، وفي تصور الباحث أن الأمر راجع إلى أن صورة هذا الثور جاءت في القصيدة عقب صورة حمار الوحش التي عرضنا لها سابقاً في تشبيهات حمار الوحش، والتي أظهر فيها زهير براعته وأودعها كل أحاسيسه ومشاعره ، وقد جاءت صورة ثور الوحش في موقع البديل عن حمار الوحش ، والتي يمكن أن يمثل الشاعر من خلاله معاناته بشكل مباشر دون اللجوء إلى تفصيل الأحداث ومراعاة الدقائق ، فقد شفت حكاية حمار الوحش تلك النزعات ، ولم يبق في قصة ثور الوحش إلا الإشارة إليها .

وإذا ما انتقل البحث إلى قصيدة زهير التي عرض لها _سابقاً ـ ، يحاول أن يشير إلى القيم الجمالية التي استطاع زهير أن ينميها ، ويضيف لها بعد جمالياً جديداً ، حيث يقول :

فصـبّحته كـلاب شـدّها خطـف ... وفانصُ لاتـرى في **فعلـه خُرُقـا**
زرقُ العيون طواهـا حسـن صـنعته ... مجوّعات كما تطـوي بهـا الخِرقـا
حتى إذا ظنّ قـرن الشـمس غالبـةٌ ... وخاف من جانبيه النـهز والرهقـا
كـرّ ففـرّج أولاهـا بنافـذة ... نجلاء تتبـع روفيـه دمـا دُفقـا

فقد لاحظ البحث ما يشير إلى تأثره بأوس في وصف هيئة الكلاب الـتي مـع الصـائد ،والطريقة التي استطاع أن يقضي فيها على السابق من تلك الكلاب ، فبينمـا يحـاول أوس إظهار قوة تلك الكلاب ،ذات الآذان الطويلة ، ويبين شـدة فتكهـا بالفريسـة ، فيشبهها بالحصى في استجماع قواها، ويشبه حال فمها والأسنان بارزة منه ، وهي تريـد أن تنقض على الفريسة ، بالمناشير حيث يقول :

يسعى بِغُضف كأمثال الحَصـى زمعـاً ... كأن أحناكها السُـفلى مآشـيرُ

ويلاحظ أن زهيرا يشير إلى تلك المعاني التي أشار إليها أوس ، ولكن بمسلك آخر يظهـر حجم الخوف الذي يقع في النفس من منظر تلك الكلاب وهي تريد الانقضـاض علـى الفريسة ، وحجم الجوع الذي ينتابها والذي يشير بطريقة غير مباشرة إلى شدة تعطشـها للطع الدم فهي "**زرق العيون** "، ولم يقل حمر العيون – مثلاً - ، واللـون الأزرق إذا وصفت به الأشياء في سياق الترهيب أو التعظيم فإنه يمثل أبلغ الألون ترهيباً ، وتعطـي صورة مفزعة في النفس عادةً لاتجاريها سائر الألوان حتى الأسود و الأحمر ، وقد ورد في القرآن الكريم وصف حال المجرمين وهم يعذبون في نار جهنم ولهم لون أزرق ، وهـم في أبشع صورهم ،إذ يقول المولى عز وجل : ﴿ **يوم يُنفَخُ في الصور ونحشُرُ المُجـرمين يومئذ زُرقاً** ﴾[1]

---

[1] سورة طه آية رقم (١٠٢).

وهو يذكر _ أيضاً _ ببيت امرىء القيس الذي يصف فيه الرمح ، وهو يريد أن يلقي الرهبة في نفس خصمه حين قال[1] :

أيقتلني والمَشرفي مُضاجِعي ومسنونةٌ زُرق كأنياب أغوال

ثم يلاحظ مدى التشابه والاختلاف - في نفس الوقت - ، بين وصف أوس للكيفية التي قضى فيها ذلك الثور على تلك الكلاب ، وبين زهير . فالثور عند أوس مسرور بتوالي تلك الكلاب نحوه ، وهو واثق من نفسه في ملاقاته لها ، مراعياً حدوده في القدرة على منازلتها ، حيث لم يفتر في مهارشتها ، إلى أن حانت اللحظة الحاسمة التي تقضي على السابق من تلك الكلاب في اللحظة الأولى ، يشبه حاله حال من له عند تلك الكلاب ثأر قديم وقد حان استقداده حيث يقول :

كر على يها ولم يفشل يُهارشُها كأنهُ بتواليهن مسرورُ
فشكها بذليقٍ حدهُ سلب كأنهُ حين يعلوهُن موتورُ

وزهير يقترب كثيراً من المعنى الذي عند أوس ، والاختلاف يقع في طريقة عرضه وذلك أثناء الخلاص من تلك الكلاب . فقد ظل ذلك الثور منذ ساعات الصباح الأول في مواجهة وعراك مع تلك الكلاب،وقد كلفه ذلك جهداً عظيماً حتى دنت الشمس من مغربها وبدأ التعب يدب فيه ، وخاف أن يضعف من شدة الإرهاق ، إذا به يكر على أول تلك الكلاب قُرباً منه ،فينفذ قرنه في وسط جوفها؛ لتخر صريعة على الفور، والدم يتدفق على الأرض حيث يقول :

حتى إذا ظنّ قرن الشمس غالبةً وخاف من جانبيه النهز والرهقا
كرّ ففرّج أولاها بنافذة تجلاء تتبع روفيه دما دُفقا

وهكذا يمكن أن يظهر الاختلاف في حالة ذلك الثور بين أوس وزهير ، فحين أن الثور عند أوس " لم **يفشل يهارش تلك الكلاب**" ، وهو مسرور بتجمعها ، يلاحظ أن الثور عند زهير يخاف على نفسه "**النهز والرهقاً**"، وهو ما يمثل حال كلٍ منها في تمرسه على

---

[1] ديوان امرىء القيس :ص١٤٢(دارصادر)

ملاقاة الأعداء والمتربصين بهما ، وكما يبدو أن أوساً كان أكثر تمرساً ودربةً على ذلـك من زهير ، فكان التجديد عند زهير محدودا بطبيعة شخصيته فكلما كان الشيء الذي يريد تناوله إنسانياً كان أكثر تفوقاً في تصويره والحديث عنه والتجديد فيه ، ويضعف ذلـك عنده كلما كانت الصورة تتناول الأحداث المفزعة والمواجهات العنيفة الدامية .

ثالثاً: مسالك صنعة زهير في تجديد تشبيهات أوس في وصف الرجل :

تشبه الإنسان بالأسد :

شبه زهير صورة الأنسان بالأسد في عدة قصائد من ديوانه ،وبأكثر من صورة شـعرية ، سالكاً في ذلك طريق أستاذه أوس تارة ، ومجانباً للطريقه تارةً أخرى ، ولقد تفوق زهير في ديوانه بكثرة الصور التشبيهية التي جاءت في وصف وتشبيه الرجل بالأسد، فلـم يحفـل ديوان أوس بأكثر من صورة واحدة وذلك في رثاء أبي دلجة فضالة بن كلدة،حيث شبهه بالخليج في الجود والعطاء ، وامتدت به الصورة فشبهه بالأسد والقائد في طليعة الجـيش حيث قال:[1]

وما خليج مـن المَـرّوت ذو حـدبٍ ... يرمي الضرير بِخُشبِ الطلح والضال
يومـاً بِـأجود منـهُ حـين تسـألُهُ ... ولا مُغـب بِتـرجٍ بـين أشـبال
ليـثٌ عليـه مـن البـردي هبريـةٌ ... كالمَرزبـانِي عَيّـالٌ بِآصـال
يومـاً بِـأجرأ منـهُ حـد بـادرة ... على كمي بِمهـوٍ الحَـد قَصّـال

فقد بدأ أوس بسرد أوصاف المشبه به التي تعددت وامتدت لأكثر من حالـة ؛ ليتوصـل الشاعر من خلال تلك الأوصاف إلى إمكانية الموازنة والمشابهة بحال المشبه ، [2] بعـد أن

---

[1] ديوان أوس : ص١٠٥. وبهامشه (: المروت : أرض فيها نبات ومسايل مـن أرض العاليـة ، الضرير : جانب الوادي . المغب : الأسد الذي يفترس يوماً وترك يوماً . ترج : موضـع في بيشـة وهي مأسدة من بلاد خثعم .الهبرية : ماتساقط عليه من أطراف البردي .المرزباني : نسبة إلى مرزبان وهو الرئيس من العجم . عيال : متبختر . البادرة : شباة السيف . المهو : السيف الرقيق .)

[2] اختلف القدماء والمحدثون في اصطلاح تسمية هذا النوع التشبيه ، فقد تعرض له مـن القـدماء أسامة بن منقذ ووضعه تحت مسمى " النفي " في "كتابه البديع في نقد الشعر "، ص١٢٣، ت/ أحمد أحمد بدوي ،وحامد عبد المجيد ،القاهرة : البابي الحلبي ،١٩٦٥م. وقد سماه بـ" التفريع " كل مـن ابن أبي الأصبع في " تحرير التحبير ، ص ٣٧٢،ت د. / حفني محمد شرف ، القاهر ، لجنـة إحيـاء التراث الإسلامي ، ١٩٦٣م. ويحيى العلوي في كتابه " الطراز "ج٣/ ص١٣، =====

وصف النهر (الخليج) ذا النبات والمسايل ، وذكر شدة تدفقه وفيضـانه ، وارتفـاع مياهه حتى أنه صار يقذف بالخشب على جانبيه قذفاً ، فكل هذه الأوصاف للنهر لم تجعله يتفوق على فضالة في العطاء والبذل ، فهي" **ليست بأجود منه حين تسأله**" ، ثم انتقل إلى وصف حالة ثانية تمثل فضالة في الشجاعة والإقدام فليس الأسد المغب بـأرض "**تـرج** " الذي يفترس يوماً ويترك يوما جالساً بين أشباله ، تساقط على أطرافه حبات البردي فـو يشبه القائد في طليعة الجيش أو الرئيس من العجم ، فليس هذا الليث الذي هذه صفته في الإقدام والشجاعة بأجرأ منه حد شباة في إقدامه على الكمي يقطعه بسيف رقيق الحـد قاطع .فكل هذه الأوصاف المذكورة لاتفضل فضالة بن كلدة في كرمه وشجاعته وإقدامه ، فالشاعر عمد إلى هذا النوع من التشبيه ليكون أكثر تحررا ، وأوسع أفقاً فيسـتطيع أن يأتي بعدة أوصاف ليرتقي بها إلى مقارنة ممدوحه ومن ثم تكون الأفضلية للممدوح . وهي حيلة بيانية بديعة .

===وشهاب الدين النويرى في كتابه : " نهايـة الأرب في فنـون الأدب " ج٧/ص١٦٠، نسـخة مصورة عن دار الكتب المصرية . وحازم القرطاجني في كتابه " منهاج البلغاء " ص٥٩، ت د. محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ١٩٦٦م. أما عند المحدثين فقد وقف عمر الدسوقي عنده ولم يسـمه ، ولكن كان يرى فيه استطراداً ، وذلك في دراسة له عن " النابغة الذبياني " ، ص٢٠٥. القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٠.وقد نص إيليا حاوي على تسميته بـ" التشبيه الاسـتطرادي " في كتابـه " نماذج في النقد الأدبي " ،ص٣٠٤،بيروت دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩م. أما نجيب البهبيتي فقد سماه بـ"التشبيه الطويل ثم التشبيه القصصي" في كتابه " تاريخ الشعر العربي حتى آخـر القـرن الثالـث الهجري "،ص٩٥، القاهرة ، مؤسسة الخانجي ،١٩٦١م.وقد أطلق عليه شوقي مصطلحاً قديماً وهو " التضمين " وذلك عندما تعرض لشعر الأعشى في كتابه " العصر الجاهلي " ص٣٦٥. وقـد سمـاه شكري فيصل بـ "الاستدارة التشبيهية" في كتابه " تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، ص٣٥٦، دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٦٤م. وقد تناوله الدكتور عبد القادر الرباعي بشيء من التفصيل وسماه بـ"التشبيه الدائري " وذلك في بحث له " التشبيه الدائري في الشـعر الجـاهلي " ص١٢٩/١٣٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد السابع عشر ، المجلد الخامس ، ١٩٨٥م.

وقد استفاد زهير من هذه الصورة البديعة التي صور بها أوس فضالة بن كلدة ، وذلك في نفس السياق حين رثى سنان بن أبي حارثة المري فقد رثا زهير صاحبه سنان على نفـس الطريقة التشبيهية وهو مايعرف با لتضمين أو التفريع عند المتقدمين ، حين ما أخذ يسوق الأوصاف للمشبه به (الأسد)وهو في سياق النفي ، فيقول : إن هذا الأسد الذي تملـؤه المهابة فيصيد الرجال وينازلهم في كل يوم ، ليس أكثر مهابة وشجاعة وإقداماً من سـنان ابن أبي حارثة [1]:

فَمـــا مُخـــدر ورد عليـــه مهابـــةٌ يصيدُ الرجالَ كُـل يـوم يُنـازلُ

بأوشـــك منـــهُ أن يُســـاور قرنـــهُ إذا شالَ عن خفض العوالي الأسافلُ

فيلاحظ أن التأثر قائم في هذه الصورة من عدة أوجه .

أولاً :من ناحية الغرض فكلا الصورتين جاءت في ذكر فضائل الميت ورثائه .

ثانياً : تشبيه الممدوح بالأسد في الشجاعة والإقدام .

ثالثاً : طريقة بناء الصورة التشبيهية، فكلا الصورتين جاءت على طريقة التشبيه الدائري أو التفريع ، وأخذ كلٌ من أوس وزهير بذكر أوصافٍ للمشبه به (الأسد) وهـو في سـياق النفي ؛ليقارن بها المشبه ومن ثم الحكم بالتفوق في تلك الأوصاف لذلك المشـبه ، إلا أن الصورة عند أوس كانت أبعد امتداداً ،وأغزر تصويراً ، وأعمق بعداً ؛ فقد اسـتطاع أن ينوع في تشبيهه بأكثر من صورة ،وأكثر من معنى ،وقد ضم تشبيهه ثلاث صور بتمامها ولذلك كانت الكفة له أرجح ،إضافة إلى فضل الريادة والابتكار .

* * *

[1] ديوان زهير : ص٢١٦.

لقد كان توسع زهير في تشبيه الرجل بالأسد أكثر من أستاذه أوس وذلك بالنظر إلى ديوان كلٍ منهما إلا أن ذلك التوسع لم يجعله ينفك عن تأثره بتراكيب أستاذه حتى لو انحرف بالمعنى قليلاً ،إذ يلاحظ أنه يضمن عبارات قد استخدمها أوس في سياقها ، فيأتي عليها زهير ويستخدمها بشكل مباشر في سياقها الأصلي . وهذا النوع من الأخذ لايحمد لزهير ، إذ لايدل على إبداع ومهارة ، فقد وجد بيت لدى زهير في معلقته ، يذكر فيه الحصين بن ضمضم ، حين حمل السلاح وقتل الرجل الذي من بني عبس ؛ ثأراً لأخيه هرم بن ضمضم ، فيشبه زهير حال الحصين حين حمل السلاح ، ولم يلقه ، بحال الأسد المقذف : أي غليظ اللحم ، وله لبد ، وهذا الأسد أظفاره طويلة لم تقلم .

حيث يقول [1] :

لدى أسد شاكي السلاح مُقَذف لهُ لبد أظفارُهُ لم تُقَلم

وهذا المعنى قد أخذه زهير من أوس ولكن بعد أن رده إلى استعماله الأصلي ، فقد ذكر أوس هذا المعنى ، وشبه الحرب وهي قائمة بالأسد المفترس ، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهي الأظفار التي لم تقلم ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، حين قال [2]:

لعمرُك إنّنا والأحاليفُ هؤُلا لفي حقبة أظفارُها لم تُقَلم

وواضح أن في تشبيه فترة الحرب وهي قائمة قد حمي وطيسها بالأسد المبدي أظفاره متأهباً للانقضاض على فريسته ، معنى أوسع من الرجل الذي يقتل رجلاً فيشبه بالأسد المقذف ذي لبد وأظفاره لم تقلم ، وإن كانت كلتا الصورتين تصبان في واد واحد؛ وهو وادي الحرب والقتال،إلا أن صورة الحرب عند أوس كانت أكثر روعة في التصوير وأجمل في طريقة العرض ، وأكثر شاعرية لبعدها عن المباشرة في تصوير المعنى ، إذ نراه لاينطق بلفظ الأسد ، بل اكتفى بالاستعارة المكنية حينما ذكر أهم صفة تدل على المعنى ، وهي صفة الأظفار التي لم تقلم .

---

[1] ديوان زهير : ص٣٠.

[2] ديوان أوس : ص١٢٠.

بينما صورة زهير كانت قائمة على الأستعارة ،وكانت أكثر مباشرة في إيـراد المعـنى حينما ذكر لفظ الأسد ، لذا كان التوفيق أقرب إلى أوس لفضل صنعته الفنية ، والريـادة الإبداعية .

وهنا تكرر وصف الأسد في تشبيهات زهير ، وجاء في أنماط متعددة ، وهي في مجملـها لاتخرج عن إطار المدح ، فهذا بيت من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان ، ويشبهه بالليث في الشجاعة والإقدام ، والثبات أمام الأعداء حين يتقابل معهم ،فيظل صامداً صمود الليث لايتزعزع ، حيث يقول [1] :

ولأنـت أشـجعُ حـين تنجِـهُ ال أبطـالُ مـن لَيـث أبي أجـري

وهذا بيت آخر لزهير يمدح فيه هرم بن سنان ـ أيضاً ـ ،ويشـبه حالـه في الإقـدام والثبات، وهو يضرب الشجاع الجريء اللابس السلاح بسيفه ، حماية لعرضه وأرضـه ، بحال الليث الذي له شبلان في عرينه يحميها من كل من يقرب منها في ثبات وإقدام حيث يقول [2]:

أليس يضـرّابِ الكُمـاة بِسـيفه وفَكّـاك أغـلال الأسـيرِ المُقَيـد
كليـث أبي شـبلَينِ يحمـي عرينـهُ إذا هُو لاقـى نجـدةً لـم يُعـرد

ولقد أخذ زهير هذا المعنى من أوس في قوله السابق [3]:

يومـاً بِـأجود منـهُ حـين تسـألُهُ ولا مُغـب بِتـرجِ بـين أشـبالِ
ليـثٌ عليـه مـن البـردي هبرِيـةٌ كالمَرزبـانِي عَيّـالٌ بِآصـالِ
يومـاً بِـأجرأ منـهُ حـد بـادرة على كمي يمهـو الحَـد قَصّـالِ

---

[1] ديوان زهير : ص٨٢.

[2] ديوان زهير : ص١٦٠. ورد بهامش ديوانه طبعة دار الكتب المصرية :ص٢٣٢، الكماة : اللابس السلاح ، وقيل الشجاع المقدم الجريء كان عليه سلاح أو لم يكن .

[3] ديوان أوس : ص١٠٥.

فيلاحظ مقدار التشابه في الفكرة مابين قول أوس وقول زهير ، وذلك حينما شبه زهـير حال ممدوحه هرم بن سنان ، وهو يضرب الكمي بحد سيفه في ثبات ورباطـة جـأش ، بالليث الذي له أشبال في عرينه فهو يحميها بكل شجاعة وثبات ، وبين قول أوس حينما شبه ممدوحه فضالة بن كلدة ، بالأسد المغب بين أشباله ، وتساقط عليه الـبردي ، فهـو كالمرزباني : القائد في طليعة الجيش ، وشبهه في إقدامه بحد الشباة في إقدامه على الكمـي يقطعه بسيف رقيق الحد قاطع ، فكل الأفكار التي وردت في صورة التشبيه التي عند زهير مستقاة من صورة التشبيه التي عند أوس، إلا أن الغرض كان مختلفاً قلـيلاً ، وذلـك في تسلسل الأحداث وطريقة عرض الفكرة والمعنى ، فأوس بدأ بصورة الليث ذي الأشبال ، وهذا الليث مغب بأرض مسبعة (**ترج**) يفترس يوماً ويترك يوماً ، فهو مستعد لكـل الأحوال . وعرض بشكل مفصل لصورة هذا الليث فعليه هبرية من البردي ، ويشبه قائد الجيش في هيبته وشجاعته . ثم انتقل آخراً إلى تشبيهه بحد السيف القاطع وهي يهوي على الكمي . وقد عرض أوس صورته عن طريق التشبيه الضمني ، وهو مـايعرف بالتشـبيه الدائري أو التفريع عند المحدثين ، وهو ـ بلاشك ـ أبعد عـن المباشـرة ، وأدعـى لاستحضار العقل في التلقي ،وذلك حينما جاء بالمشبه به على طريـق الوصـف المنفـي ليقارنه بالمشبه .

أما زهير فقد جاء ليعرض المعنى في صورة تقليدية مباشرة ، فابتدأ فيها بعـرض صـورة الفارس المقدام الذي يضرب الكماة بحد سيفه في إقدام وثبات ، ثم جاء بحالة الليـث ذي الشبلين ، مشبهاً به ، ليقيمها دليلاً على شجاعة وإقدام ممدوحه هرم بن سـنان ، وهـي صورة جيدة المعنى ، لكن زهيراً لم يقم شروط الأخذ الإبداعي المحمود ، بل وقف متكـأً على ماجاء به أوس في المعنى ، ولم يأت بجديد يضيفه على صورة أوس لا مبنى و لا معنى ، بل كان مقصراً في طريقة الصياغة الفنية قياساً عما جاء به أوس .

لقد بدأ للبحث من خلال التشبيهات السابقة مدى التأثر الذي تشربه زهير من أستاذه ، فلم ينفك عما جاء في بعض صوره بحال من الأحوال ، بل ظل حبيساً لها في معظم الأحيان ، متكأً على ما جاء فيها من معان ، ولم يخرج زهير في معظم التشبيهات والصور التي استدعى فيها صورة الأسد وجاء ليصف بها صورة الرجل ،عن سياق المدح ؛ لأن في استحضار صورة الأسد أعظم مايمثل تلك المعاني التي أراد زهير أن يصف فيها ممدوحه ، إلا أن الجديد الذي بدا في ديوانه، صورة العصبة التي من ولد ثور من بني سبيع التي اغتصبت قطيعا من الإبل فأخذ زهير في هجائها ، فقد شبه تلك العصبة من القوم وقد تداعت عليهم حين أخذهم الإبل ، بالأسود التي تزأر بصوت عالٍ ،وذلك حين قال [1]:

تداعت عُصبةٌ من وُلد ثَور كأُسد من مناطقها الزئيرُ

فاستحضر زهير حال تلك العصبة من القوم وهم يغتصبون الإبل ،صورة الأسد التي تزأر بصوت مرتفع ، والمقام هنا مختلف كما يظهر ؛فهو مقام ذم وتقريع ،والعادة أن تستحضر صورة الأسد في مقام المدح ، إلا أن زهيرا ـ ربما ـ حاول إظهار أولئك القوم في هيئة مهابة ليكون له عذر ومسوغ من عدم مواجهتهم والنزال معهم .

---

[1] ديوان زهير :ص ٢٥٠.

رابعاً : مسلك زهير في تجديد تشبيهات أوس المتفرقة :

امتد تأثر زهير بأستاذه أوس إلى شتى مناحي الحياة العامة ، ولم يقتصر على جانب معـين فيها دون جانب، فقدرأينا كيف كان تأثره ملموساً في الصور التشبيهية التي جـاءت في وصف الناقة وماينجم عن ذلك الوصف من تفريعات في وصف حمار الوحش ،أو ثـور الوحش وذكر لقصة الصائد وكلابه ، ورأينا كيف حاول زهير التجديد في العديد مـن تلك والصور التشبيهية . ثم رأينا بعد ذلك الصور التشبيهية التي جاءت في وصف الرجل في سياق المدح حين يشبه الممدوح بالأسد ، وكيف بدت تلك الصور ومدى ارتباطهـا بالصور التي جاءت في شعر أستاذه أوس ، وسوف يعرض البحث هنا لـبعض الصـور التشبيهية المختلفة التي ظهر فيها مقدار من التأثر من شعر أوس .

فأول تلك الصور التي بدت لنا *:

١ـ صورة الموت

جاء وصف الموت عند أوس ، حين يقول [١]:

وقَـومي خيـار مـن أسـيد شـجعةٌ كرام إذا ما المَوتُ خـب وهـرولا

فأوس يذكر فضائل قومه بني أسيد في الشجاعة والإقدام،فهم لايهـابون المـوت إذا مـا أسرعت نحوهم أسبابه ، ويشبه الموت حين يقدم عليهم في سرعة ، بدابة تخب وتهـرول وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

وقد ورد عند زهير قريب من هذا الوصف ، حين شبه المنية (الموت) ، بناقـة عشـواء تتخبط في اختزام النفوس – بناءً على نظرته الجاهلية القاصرة - ، حين قال [٢]:

---

* وردت في بعض صور زهير معان تدل على تأثر ظاهر بأوس وكانت تلك الصور في معظمها خارج نطاق البحث ؛لأنها قائمة على الاستعارة ، وقد اجتهدت في أن أضمها في البحث خاصة وأنّ هناك علاقة قائمة بين التشبيه والاستعارة ، فالاستعارة في الأصل تشبيه حذف أحد طرفيه ، فأرجو أن أكون قد أصبت في الرأي ولم يكن ذلك حشواً .

[١] ديوان أوس : ص٩١.

[٢] ديوان زهير : ص٣٤.

رأيتُ المَنايا خبطَ عشواءَ مـن تُصـب تُمتهُ ومن تُخطـئ يُعمـر فَيهـرم

فكلٌ من أوس وزهير جاء بهيئة الموت على صورة حيوان له أقـدام يسـير بهـا، إلا أن الاختلاف قائم بين الصورتين في سياق القصيدة ، فالسياق الوارد فيه ذكر المـوت عنـد أوس ،سياق مدح وإشادة بشجاعة قومه واستبسالهم في ملاقاة الموت وهو مقدم علـيهم في أسرع أحواله ،أما السياق الذي جاء فيه ذكر الموت عند زهير فهو سياق حكمة - في عرف الجاهليين – وتفكر في أحوال الحياة ، والتململ منها بعد امتداد الأجـل ، وقـد صور كلٌ من الشاعرين المعنى بشكل متناسب مع الغرض الذي تقتضيه قصيدة كلٍ منهما .

٢ـ صورة الحرب :

تأثر زهير بأستاذه أوس في تصوير حالة الحرب حين يحمى وطيسها وتشـتد ، وسـلك الطريق ذاته في رسم الصورة بكل أبعادها ، ولم يحاول التجديد فيها، إلا أن الغرض قد اختلف من رسم تلك الصورة ، فقد وظف كلٌ منهما الصورة بما يخدم تطلعاتـه ورؤاه الشخصية ، وذلك في قوله[١] :

إذا لَقحـت حـرب عـوانٌ مُضـرةٌ ضروس تُهر الناس أنيابهـا عُصـلُ

فيذكر زهير الحرب وقد جاءت كرة بعد مرة ، وقد استعر نارها واشـتدت وطأتهـا و كرهها الناس ، ويشبهها بحيوان مفترس له أنياب معوجة ،وحذف المشبه به ، وأبقى شيئاً من لوازمه الدالة عليه ، وهي " **الأنياب** " وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

وقد أخذ زهير معنى هذا البيت من أوس وذلك في قوله [٢]:

وإني امرُؤ أعـددتُ للحـربِ بعـدما رأيتُ لها نابأ من الشـر أعصـلا

---

[١] ديوان زهير : ص٨٨.

[٢] ديوان أوس : ص٨٣.

فيلاحظ مدى التطابق الواضح بين الصورتين ، حيث يذكر أوس الحرب وتأهب حاله لها ، ويشبهها بحيوان مفترس له ناب أعصل : أي أعوج ، وقد حذف المشبه به وأبقى شـيئاً من لوازمه وهو " **الناب**" ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

فيظهر مدى التأثر من خلال تكرار الصورة بنفس النمط تقريباً ، وتكرار العلامة البـارزة فيها وهي " **صورة الأنياب العصل** " .

ويبدو أن الفرق بين الصورتين ،هو دواعي الاستعمال لكلٍ من الشاعرين ، والتي تعود في أصلها إلى طبيعة شخصية كلٍ منهما ، فنجد أن الأبيات التي يصف فيهـا أوس الحـرب ويظهرها بشكلها المخيف البشع ؛ جاءت للإشادة والفخر بالنفس ، حينما رآها ، وأظهر التأهب و الاستعداد لها ، والخوض في غمارها ،برغم ما سوف تخلفه من دمار ، ولم يلق في نفسه الروع منها أو حاول تجنبها .

أما زهير فقد كان على العكس ـ تماماً ـ ؛ حينما وظّف تلك الصورة بحكمة وحـس إنسانيٍ رفيع ، فجعل من صورة الحرب الضروس حيوانا مفترساً يرهب الناس ؛ لينبه الناس إلى مخاطر تلك الحرب ، وماسوف تخلفه من دمار كبير ، فلعلهم أن يرتدعوا عن الخوض فيها ، ويكفوا عن إثارة أسبابها.

٣ـ صورة الزمان :

من المعاني التي تشابه فيها زهير بأستاذه في تصويرها، وسلك مسلكه في الإبانة عنها صورة الزمان ، وإظهاره في صورة الفرس الجامح حيث يقول أوس في ذلك[١] :

وأنت الـذي أوقَيـت قَـاليوم بعـدهُ أغَـر مُمـس باليـدين مُحجـلُ

---

[١] ديوان أوس : ص٩٥.

فشبه أوس الزمان المتمثل في اليوم ، بالفرس ، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمـه وهو صفة الأغر ، والمحجل وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، قاصداً بذلك اشـتهار الزمان بعد ذلك اليوم ، وأنه معلوم معروف لايخطيئه أحد .

وقد بدا شيء من ذلك المعنى عند زهير ،وهو يصور إحجامه عن محبوبته سلمى ،وابتعاده عن اللهو معها بعد انقضاء زمان الصبا ، ويصور ذلك الزمان بالفرس المعرى

حيث يقول [1]:

صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُـه وعُري أفـراسُ الصـبا ورواحلُـه

فشبه زهير زمان الشباب والصبا، بالأفراس ، واستعار لصده وعزوفه عن هـواه وتعلقـه بمحبوبته سلمى بعد أن كبر ، بصورة الفرس المعرى من سرجه وصار غير صالح للركوب ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

وإذا ما قيس مقدار التشابه بين صورتي الشاعرين ، فإنها تنطلق من ذات المنطلق في الفكرة ، فكلا البيتين قائمان على تصوير الزمان بالفرس ، والاختلاف بينهما هو توظيف الصورة للمعنى المراد . فأوس ،اختار من صورة الفرس الأغر المحجل معنى الشهرة ، أما زهير فقـد جعل من صورة الفرس رمزاً لزمان الشباب ،والإغراق في الملذات ، وجعل من تعرية ذلك الفرس وإزاحة السرج عنه ، إعلاناً عن تركه لذلك اللهو وعزوفه عن تلك الملذات ، ولا شك أن كلا الشاعرين قد أجادا في توظيف الصورتين لهذه المعاني التي عبرا عنها .

---

[1] ديوان زهير : ص١٠١.

٣- صورة ريق المحبوبة :

ومن المعاني التي اتفق فيها زهير مع أوس ، تصوير ريق المحبوبة بالخمر بعد استيقاظها من النوم ، وهي من المعاني التي درجت عند الجاهليين وصارت عندهم كالعرف ، ويحاول البحث أن يضع يده على التجديدات التي أضافها زهير في صورته ، وزادت عن صورة أوس ، حيث قال أوس يصف ريق حبيبته لميس [١] :

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت ... من ماءِ أصهب في الحانوت نضّاح
أو من مُعتقة ورهاء نشوتها ... أو من أنابيبِ رُمّان وتُفّاح

فأوس يشبه ريقة محبوبته لميس (وهو رضاب ماء الفم) - بعدما استيقظت من نومها- ، بالخمر الذي قد علاها حمرةً ، وهي راشحة ، وقد حرص الشاعر على التوضيح في المعنى ، عن طريق تأكيده بالجملة الاحتراسية "**بعد الكرى**" وفيها ـ أيضاً ـ مبالغة في وصف طيب طعم فم محبوبته ؛ لما عرف عن طعم ورائحة الفم من تغير بعد النوم . وقد حاول أوس التعدد في أوصاف ريق محبوبته لماأحدثته من نشوة ، فقد تدرج أوس في بناء وصفه لذلك الريق ، فهو يشبه شراب الغبوق الأصهب اللون ، المتخذ من حانوت الخمر ، وله حباب ينضح منه ،ويشبه ـ أيضاً ـ الخمرة المعتقة المائل لونها إلى السواد لعتاقتها ، فهي شديدة قوية الطعم ، أما الشبه الثالث له ـ فعلى مايبدو ـ أنه طعم المزز الحاصل من الطرائق التي في الرمان والتفاح . وقد بنى أوس التشبيه على الأداة " **كأنّ**" ، والمتأمل أوصاف أوس يجد أنها لاتخرج عن إبانة مزازة طعم ذلك الريق ، وقد تمت الإفاضة في تفصيل ذلك في الفصل الأول .

---

[١] ديوانه :ص ١٤ . وبهامشه :(الريقة : رضاب ماء الفم ، اغتبقت : أي الغبوق وهو شراب العشي ، وأصهب : الخمر الذي يخالط أو يعلو لونه حمرة ، الحانوت : دكان الخمر ، نضاح : راشح. ورهاء : حمقاء ، أي شديدة قوية . الأنابيب : الطرائق التي في الرمان).

أما زهير فيقول في ريق محبوبته أسماء ويشبه طعمه بالخمر ـ أيضاً ـ [1]:

كأن ريقتها بعـد الكـرى اغْتُبِقَـت من طيبِ الراحِ لمّـا يعـدُ أن عُتِقـا
شج السُقاةُ علـى ناجودهـا شـبماً مـن مـاءِ لينـةَ لا طُرقـاً ولا رنِقـا

فيصف زهير طيب طعم ريق محبوبته، ويشبهه بالخمر المعتق ، ويلاحظ اتحاد في جملـة " **كأن ريقتها بعد الكرى اغْتُبِقَت**" مما يشير لعمق التأثر الحاصل بـين زهـير وأسـتاذه ، وكذلك التأكيد على الجملة الاحترازية "**بعد الكرى** " وذلك مبالغةً منه في وصف طيب طعم ريق محبوبته ؛إلا أن زهيراً قد بنى الفعل " **اغْتُبِقَت** " للمجهول ، وأوس لم يبنه،وربما دلّ ذلك على أن هناك من تولى السعي في خدمتها حتى تغتبق، و قدكان أكثر مراعاة في دقة وصفها حينما جعلها تغتبق من **طيب الراح** ، وهذا الراح لم **يعـد أن عتقـا** : أي لم يدخله الفساد في الطعم ، اما إناء ذلك الخمر فقد صب السقاة عليه ماءً بـارداً عـذباً ، ويبدو أن هذا الماء البارد يحفظه من الفساد وتغير الطعم ، فلايدخله الطرق : وهو الإنـاء التي بولت فيه الإبل ، ولاالرنق : وهو الكدر والشوائب .

والذي تميز به زهير عن أوس أنه لم يكرر المعنى مثل أوس عندما عدد الأوصاف التي تعود ـ في أغلب الظن ـ لمعنى واحد ، بل أبان عن جودة وطيب طعم ذلك الخمر ، واحترز في الحد لذلك الطعم لأن كثرة التعتيق له قد تفسده وتغير من طعمه ، ثم إنه أضاف وصفًا جديداً لها وهو الماء البارد الشبم الذي صب على ناجود الخمر ليحفظـه مـن الفسـاد والتغير ـ أيضاً ـ وهو يؤكد على ذلك المعنى حيث قال:" **لا طُرقاً ولا رنِقا**".

---

[1] ديوانه : ص٣٩. بهامشه : (اغتبقت : شربت على ريقها غبوقا. والغبوق شراب الليل . لم يعد أن عتقا : أي لم يتجاوز العتق بفساد) (الناجود الإناء الذي يوضع فيه الخمر ، وقيل صفوة الخمر وأولها . والشبم : البارد . لينة : بئر من أعذب بئر بطريق مكة . الطرق : مابولت فيه الإبـل . الرنـق : الكدر).

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان ويسر ، والصلاة والسلام على النبي الأغر ، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى به الأثر وبعد :

فإن دراسة فنِ التشبيه في شعر شاعرٍ ما ،وإظهار صنعته الفنية ؛كفيلة بكشـف أسـرار وخبايا العديد من جوانب ذلك الشاعر وشخصيته، وإنّ الموازنة بين شـاعرين كـأوسٍ وراويته زهير ، في فن واحد من فنون البيان ،كفيلةٌ - أيضاً - بإبراز حقـائق لم تكـن ظاهرةً من قبل ، فلقد امتد تأثر زهير بأستاذه أوس إلى شتى مناحي الحيـاة العامـة ، ولم يقتصر فيها على جانب معين ، فقد ظهر من خلال البحث كيف كان تأثره ملموسـاً في الصور التشبيهية التي جاءت في وصف الناقة وما ينجم عن ذلك الوصف من تفريعات في وصف حمار الوحش ،أو ثور الوحش وذكرٍ لقصة الصائد وكلابه ، وتبين كيف حـاول زهير التجديد في العديد من تلك الصور التشبيهية وإنمائها.

ثم تبين بعد ذلك الصور التشبيهية التي جاءت في وصف الرجل في سياق المدح حين يشبه الممدوح بالأسد ، وكيف بدت تلك الصور ومدى ارتباطها بالصور التي جاءت في شعر أستاذه أوس.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج ، أهمها :

- ذكر الناقة في تشبيهات أوس وزهير تعد مظهراً من مظاهر الشعر التي تعكس بيئة الشاعر ، وحالته النفسية ، وموهبته الفنية ، فهي وسيلة للوقوف على معـالم تلـك الصحراء الواسعة والموحشة ووصف أراضيها المقفرة ، ونباتتها اليابسـة ، فكـان في وصفها وتشبيهاتها من خلال الرحلة مظهر حقيقي من مظاهر البيئة الصحراوية الـتي عاشها الشاعر ، وكان مظهر يمكن من خلاله قياس الجو النفسـي الـذي يعيشـه الشاعران عن طريق مايرميانه فيها من أوصاف تعكس المزاج ،والحالة النفسية لديهما.

- تعدد المشبه به في التشبيه الواحد يدل على ثراءٍ وعمق في المعنى ، مـا يحتـاج إلى تدرجٍ في البناء التصويري حتي يصل الشاعر إلى المعنى المراد ، فهو دليـل علـى

خصوبة الخيال والعبقرية عند أوس وزهير وأسلافهما؛ ذلك أن بعض المشاهد من الصعب اختزالها في صورة واحدة فقط ، وتشبيهها به ؛ إذ لابد من إعطاء الخيال مساحةً أكثر اتساعاً في عملية التصوير ؛ لتأخذ مايقاربها من المعـاني المشـاهدة المحسوسة ، وتطرح ماعداها . ذلك أن المعاني التي أراد أن يفصح عنها الشاعر لها حيز كبير في وجدانه ومخيلته، إذ لاتستوعب الأساليب الكلامية المعتادة الإبانة عنها بالشكل الذي يرضي ذات الشاعر ، فيعمد إلى أسلوب التشبه القصصي واختيـار أقرب الحيوانات رمزاً وتمثلاً للمعاناة ، سواء أكانت ناقة أو حيـوان وحـش أو ظليماً ، فهذه الحيونات أقرب إلى طبيعة ذلك الإنسان الجاهلي التي تتشارك معه في البيئة ، وهو يشترك معها في كثير من الظروف والمعاناة ،لذلك جعلها مثالاً مصوراً ، ليصور من خلالها الحالة التي يعانيها الشاعر نفسه ، والشاعر حين يريد إخـراج هذا المعنى العميق القابع في أعماق وجدانه يشعر بأنّ صورةً واحدة من صور البيان قد لاتوفي لإظهار حجم المعناة أو المعنى العظيم الذي يقصد الإبانة عنه ، فهـي لاتشمله من شتى الجوانب العقلية والعاطفية ، إذيرى أنه لايزال مختزلاً في مخيلتـه شيئاً من الايضاحات يود أن يبين عنها ، فيعمد إلى صـورة تشـبيهية أخـرى عبرحيوان آخر ليظهر ماكان عالقاً من بقايا المعاني في نفسه وخيالـه ، وليبلـغ الإفصاح عن المعنى أعلى درجات البيان.

- دراسة الصنعة في تشبيهات السلاح وأدوت الحرب عند أوس ، أظهرت عنايتـه بوصف مظاهر السلاح وأدوات الحرب،وكان التدقيق في تحقيق صور التشبيه فيها أكثر من بقية الموضوعات التشبيهية ،كما كان للقوس النصيب الأكبر من العنايـة والتدقيق في تحقيق الصورة التشبيهية . مما يعطي دلالة على أنـه رجـل حـرب وفارس مقدام .
- وقد تصحح مفهوم شائع، بأن القوس هو من أكثر الأسلحة ذكراً ووصفاً والذي ثبت غير هذا ، وأن السيف هو أكثر الأسلحة دوراناً في شعره ، ولكن وصـف القوس في تشبيهاته كان يظهر علاقة حميمية ، واهتماما كبيرا بها ؛ مما جعله يحظى بمكانة مميزة بين الشعراء الجاهليين في وصفه لها .

- أما في دراسة الصنعة في تشبيهات المرأة عنده فقد تبين أن أوساً لم يكـن شـاعراً غزلياً بالمعنى الحقيقي سوى في قليل من المواطن ،فلم يكن غزله فاحشاً ولا عذرياً عفيفاً ، بل كان له مذهباً فيه من الغرابة والجفوة ما يستوقف الباحث ويسـترعي نظره ، فقد كان روح الكبرياء والاعتداد بالذات ظاهرة في كثير من تشـبيهاته الغزلية برغم تعدد أسماء النساء في ديوانه وهي ذات أجراس موسيقية رقيقة ، لكن لاشيء يدل على رقة طبعه معهن إلا في القليل النادر . على عكس وصف الطبيعة والسحاب؛ فقد كان في غاية السلاسةو الرقة والتدفق الشعري والإلهام .

- أثبتت الدراسة صحة مقولة النقاد القدامى والمحدثين بأن أوساً وزهيرا ومن سـار على شاكلتهما ممن يعنون بتجويد شعرهم وتنقيحه ، وذلك من خـلال تجويـد صورهم التشبيهية وتدقيقها وتحقيق المشابهة فيها ، وما كثرة القيود ،و استخدام أسلوب الشرط في تشبيهاتهم إلا واحد من أبين الأدلة على ذلك .

- أما بالنسبة لزهير فقد استطاع إكساب الصورة عنده مزيداً من النماء في حركـة المعاني ، ووضع قيود وحدود احترازية لها ، ولم يقتصر على الحدود التي وقـف عندها أستاذه.
- وقد استطاع زهير ـ أيضاً في كثير من الأحيان _ تطـوير تلـك التشـبيهات وتجديدها ، أو محاولة تلميع تلك الصور الـتي في التشـبيهات . ومـن تلـك التشبيهات ، تشبيه الناقة بحمار الوحش ، ومايتبعه من ذكـر لوصـف الأتـان المصاحب لذلك الحمار.
- لقد تبين بأن زهيرا شاعر مجدد للصور التي أفادها من أستاذه ، مسـتقل بذاتيتـه يحاول أن يسلك له طريقاً مغايراً يبرز من خلاله تجربته الخاصة الناضجة في مناحي الحياة الواسعة .
- تباينت وتنوعت الصور التشبيهية التي ترصد طبيعة علاقة زهير بـالمرأة ، فقـد ندرت عنده صور الغزل العفيف ، والغزل الحسي ، و شاع عنده الغزل التقليدي

كالتي تطالعنا في مطالع قصائده ، وقد تعدد اسم المرأة عنده كـ " أميمـة ، وأم أوفى ، وفاطمة ،وليلى " .وكان لاسمي " أسماء " و "سلمى" النصيب الأكبر من الذكر والتكرار ، وصدق العاطفة؛ الأمر الذي يدل على أن حبه لهما ربما كـان أمراً حقيقياً .

- لقد أظهر البحث ما يكشف عن طبائع كل من أوس وزهير وميلهما الفطري ؛إلى مايمثل طبيعتهما وذلك من خلال التحليل في صنعة تشبيهات الوحش ـ على وجه التحديد ـ وسائر تشبيهات الحيوان ـ بشكل عام ـ ، فقد كان أوس أقدر على تصوير مشاهد العراك والقتال، والمشاهد التي تفيض بروح الانتقـام ، أو الزهـو والعجب ، وهو مايمثل طبيعة الشاعر التي تميل إلى إظهار روح البداوة .
- بينما كان زهير أقدر على سرد الأحوال الإنسانية والمعاناة التي كان يعانيها ذلك الثور خاصة في وصف حاله في الليلة الشاتية الماطرة ، وهو مايعكس طبيعة زهـير الإنسانية ورقة ودماثة أخلاقة .

ختاماً.. أسألُ اللهَ – سبحانه – أن يتجاوز عما كان في هذا البحث ، من تقصير وزلل، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع قربةً تقرب إلى رضوانه - عز وجل- ، ودافعاً يدفع عـن سخطه – سبحانه – وتمهيداً أمهد به طريقي إلى مواصلة البحث العلمي ، والنيـل مـن بركات العلم النافع .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١- الإبل في الشعر الجاهلي – أنور أبو سليم– دار العلوم – الطبعة الأولى – ١٩٨٣م.
٢- أدوات التشبيه في لسان العرب – الدكتور أحمد هنداوي هلال– مكتبة وهبة – الطبعة الأولى - القاهرة - ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٣- أساس البلاغة – جار الله محمود الزمخشري- لبنان - دار الفكر – ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٤- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – قراءة وتعليق محمود محمد شاكر – مطبعة المدني – الطبعة الأولى- ١٤١٢ هـ/١٩٩١م.
٥- أسرار البلاغة _ عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمد رشيد رضا – دار الفكر .
٦- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – مصطفى سويف –دار المعارف – مصر- ١٩٥١م.
٧- أشعار الستة الجاهليين – الأعلم الشنتمري – ضبط وتحقيق إبراهيم شمس الدين– دار الكتب العلمية –– الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ .
٨- الأصمعيات – للأصمعي – تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون – الطبعة الثالثة.
٩- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني - تحقيق طه محمد الزيني - الطبعة الأولى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٦هـ .
١٠- الأعلام – لخير الدين الزركلي –– دار العلم للملايين – الطبعة الحادية عشرة- ١٩٩٥م.

١١- الأغاني- لأبي الفرج الأصفهاني – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – بيروت لبنان –١٤٠٧هـ /١٩٨٦م.
١٢- الأمكنة والمياه والجبال – لجارالله محمود الزمخشري – تحقيق إبراهيم السامرائي – ١٩٦٨.
١٣- أوس بن حجر ومعجمه اللغوي – الدكتورة سهام عبد الله الفريح – الحولية التاسعة عشرة لكلية الآداب – مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت – ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م.
١٤- البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ – تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد الحميد – مطبعة البابي الحلبي – ١٩٦٥م.
١٥- بيان التشبيه دراسة تاريخية وفنية – الدكتور عبد الحميد العيسوي – الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ.
١٦- البيان والتبين –لابي عثمان عمروبن بحر الجاحظ- تحقيق عبد السلام هارون – الطبعة الخامسة – القاهرة – مكتبة الخانجي – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٧- تاج العروس – للسيد محمد الزبيدي – تحقيق عبد الستار فراج – التراث العربي – القاهرة .
١٨- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري – نجيب البهبيتي– مؤسسة الخانجي – القاهرة – ١٩٦١م.
١٩- تحرير التحبير – لابن أبي الأصبع - تحقيق الدكتور حفني محمد شرف – لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة – ١٩٦٣م.
٢٠- التصوير البياني – الدكتور محمد أبو موسى – الطبعة الخامسة – مكتبة وهبة – ١٤٢٥هـ.

٢١- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام – الدكتور/شكري فيصل - دمشق – جامعة دمشق -١٩٦٤م.
٢٢- تفسير القرآن العظيم – لابن كثير الدمشقي – إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط– دار صادر – الطبعة الثانية – ٢٠٠٢م.
٢٣- ثقافة الناقد الأدبي – الدكتور محمد النويهي– مكتبة الخانجي – مصر.
٢٤- جمهرة الأمثال – لأبي هلال العسكري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش – المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م.
٢٥- حياة الحيوان الكبرى – كمال الدين الدميري- تقديم أحمد حسن بسيج– بيروت – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٩٩٤م.
٢٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبد القادر البغدادي – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي .
٢٧- الخصائص – لأبي الفتح عثمان ابن جني - تحقيق محمد علي النجار.
٢٨- دراسات في الشعر الجاهلي – أنور أبوسليم– دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٧م.
٢٩- دراسات تفصيلة شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه – عبد الهادي العدل – دار الفكر الحديث للطبع والنشر .
٣٠- دراسات في الشعر الجاهلي – الدكتور يوسف خليف – دار غريب.
٣١- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – قراءة وتعليق محمود محمد شاكر – القاهرة – مكتبة الخانجي.

٣٢- دراسة في البلاغة والشعر – الدكتور محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى – ١٤١١ه

٣٣- ديوان أوس بن حجر – شرح وتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم – دار صادر – الطبعة الثالثة – ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٤- ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب – تحقيق فخر الدين قباوة– منشورات دار الآفاق - بيروت – الطبعة الأولى -١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٥- ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب– مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣٦- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم _ القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٧م.

٣٧- ديوان المثقب العبدي – تحقيق حمد حسن – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٦م.

٣٨- ديوان قيس بن الخطيم – تحقيق ناصر الدين الأسد– دار صادر - بيروت – الطبعة الثالثة -١٩٦٧م.

٣٩- ديوان النابغة الذبياني- تحقيق كرم البستاني – دار صادر.

٤٠- ديوان عبيد بن الأبرص – تحقيق حسين نصار– مكتبة البابي الحلبي – القاهرة - لطبعة الأولى -١٩٥٧م.

٤١- ديوان عبيد الأبرص – دار صادر- بيروت .

٤٢- ديوان عنترة العبسي –تحقيق محمد سعيد مولوي – المكتب الإسلامي – ١٩٧٠م.

٤٣- ديوان امريء القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم– دار المعارف– الطبعة الرابعة – ١٩٦٩م

٤٤- ديوان امريء القيس – دار صادر – بيروت .
٤٥- ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري – تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى -١٩٦٩م.
٤٦- ديوان بشر بن أبي خازم – تحقيق عزة حسن–منشورات وزارة الثقافة – دمشق - الطبعة الثانية – ١٩٧٢م.
٤٧- ديوان الأعشى – تحقيق محمد محمد حسين – مصر – مكتبة الآداب – ١٩٥٠م.
٤٨- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني – تحقيق صلاح الدين الهادي– دار المعارف– مصر – ١٩٨٢م.
٤٩- ديوان أبي نواس – تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ـــ دار الكتاب العربي بيروت – ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.
٥٠- ديوان الأسود بن يعفر النهشلي – تحقيق نوري بن حمودي القيسي– مطبعة الجمهورية - بغداد – الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
٥١- ديوان بشار بن برد – شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور– مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة – ١٣٨٦هـ. ١٩٦٦م.
٥٢- ديوان طرفة بن العبد – دار صادر - بيروت.
٥٣- ديوان الحطيئة - شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني-تحقيق نعمان أمين طه – مطبعة مصطفى البابي الحلبي –الطبعة الأولى -١٣٧٨هـ .
٥٤- ديوان لبيد بن ربيعة العامري – تحقيق إحسان عباس – الطبعة الأولى – الكويت وزارة الإرشاد والأنباء – ١٩٦٢م.
٥٥- ديوان أبي العلاء المعري (سقط الزند) – تحقيق صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية - صيدا لبنان – الطبعة الأولى- ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٥٦- ديوان تميم ابن مقبل – تحقيق عزة حسن– منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ١٩٦٢م.
٥٧- ديوان حاتم الطائي – تحقيق إبراهيم الجزيني– دار الكتاب العربي-بيروت – الطبعة الأولى- ١٩٦٨م.
٥٨- ديوان مجنون ليلى - شرح / عدنان زكي درويش – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.
٥٩- ديوان المعاني – لأبي هلال العسكري – طبعة مقابلة على نسخة الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي – عالم الكتب.
٦٠- الرحلة في القصيدة الجاهلية – وهب رومية– مؤسسة الرسالة– بيروت – الطبعة الثالثة -١٩٨٢م.
٦١- زهير بن أبي سلمى شاعر الحق والخير والجمال – الدكتور سعد إسماعيل شلبي – مكتبة غريب .
٦٢- السيرة النبوية – لابن هشام المغافري – تحقيق حمدي الدمرداش – مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة - الطبعة الاولى – ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٦٣- شاعرية المكان – جريدي سليم المنصوري– دار العلوم للطباعة والنشر – – الطبعة الأولى - ١٩٩٢م.
٦٤- شرح أبيات مغني اللبيب- عبد القادر بن عمر البغدادي – تحقيق عبد العزيز رباح و أحمد الدقاق - دار المأمون للتراث- دمشق – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م.
٦٥- شرح أشعار الهذليين – صنعة أبي سعيد السكري – تحقيق عبد الستار فراج – الطبعة الثانية – مكتبة دار التراث – ١٤٢٥هـ..

٦٦- شرح المفضليات – لأبي القاسم الأنباري – بيروت – مطبعة الآباء اليسوعيين - ١٩٢٠م.
٦٧- شرح ديوان الحماسة – المرزوقي – تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون - الطبعة الثانية – لجنالتأليف والنشر – القاهرة .
٦٨- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي – لأبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي – تحقيق الدكتور داود سلوم و الدكتور نوري حمود القيسي .
٦٩- شرح المعلقات العشر – للخطيب التبريزي – تحقيق محمد شحاته إبراهيم– المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٧٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد –المكتبة العصرية – ١٩٩٥م.
٧١- شرح شواهد الشافية للبغدادي – تحقيق محمد نور الحسن – ومحمد الزقاق ومحمد محي الدين – مطبعة حجازي – ١٣٥٤هـ .
٧٢- شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين – الدكتور محمود عبد الله الجادر – – دار الرسالة - بغداد – ١٩٧٩م.
٧٣- شعر زهير بن أبي سلمى – للأعلم الشنتمري – تحقيق فخر الدين قباوة – بيروت – منشورات دار الآفاق الجديدة .
٧٤- شعر الطبيعة في الأدب العربي – سيد نوفل– مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٤٥م.
٧٥- شعرنا القديم والنقد الجديد – وهب رومية – سلسلة مجلة عالم المعرفة – العدد رقم (٢٠٧)-١٩٩٦م.

٧٦- الشعر والشعراء – ابن قتيبة – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الحديث - القاهرة – الطبعة الأولى -١٤١٧هـ .

٧٧- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه – الدكتور محمد النويهي– الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة.

٧٨- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه – الدكتور يحيى الجبوري – مؤسسة الرسالة - الطبعة السادسة – ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٧٩- صحيح البخاري – الإمام البخاري – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الخامسة -١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٠- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي – لمسلم بن الحجاج – تحقيق خليل مأمون الشيحا– دار المعرفة - لبنان – الطبعة الثامنة – ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٨١- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي – الدكتور نصرت عبد الرحمن – مكتبة الأقصى عمان ، الأردن– الطبعة الثانية – ١٩٨٢م.

٨٢- الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى – الدكتور عبد القادر الرباعي – دار العلوم – ١٤٠٥هـ .

٨٣- الصورة في الشعر العربي – علي البطل– دار الأندلس – الطبعة الأولى - ١٩٨٠م.

٨٤- الصورة الفنية في شعر الشماخ – محمد على ذياب – عمان – وزارة الثقافة – ٢٠٠٣م.

٨٥- الصناعتين – لأبي هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة عيسى الحلبي – ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٨٦- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلّام الجمحي – تحقيق محمود محمد شاكر – القاهرة – مطبعة المدني .

٨٧- الطبيعة في الشعر الجاهلي - نوري حمود القيسي - عالم الكتب و مكتبة النهضة المصرية - القاهرة – الطبعة الثانية - ١٩٨٤م.
٨٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحيى بن حمزة العلوي– مكتبة المعارف – الرياض - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٨٩- عروس الأفراح - شرح تلخيص المفتاح – بهاء الدين السبكي – شروح التلخيص.
٩٠- العمدة لابن رشيق القيرواني- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد –دار الجيل .
٩١- العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي – منشورات وزارة القافة الإعلام – العراق – ١٩٨٤م.
٩٢- عيار الشعر – لابن طباطبا العلوي – تحقيق عبد العزيز المانع– دار العلوم – الرياض – ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
٩٣- فن التشبيه – على الجندي– مكتبة نهضة مصر– الطبعة الأولى – ١٩٥٢م.
٩٤- فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر – محمد بن لطفي الصباغ – المكتب الإسلامي – الطبعة الأولى _ ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
٩٥- الفن ومذاهبه في الشعر العربي – الدكتور شوقي ضيف – الطبعة العاشرة – دار المعارف .
٩٦- الفهرست – لابن النديم– دار المعرفة – بيروت .
٩٧- في الأدب الحديث – الدكتور عمر الدسوقي– دار الفكر العربي– الطبعة الثانية.

٩٨- قراءة في الأدب القديم – الدكتور محمد أبو موسى– مكتبة وهبة – الطبعة الثانية - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٩٩- قصائد جاهلية نادرة – يحي الجبوري– مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى – ١٩٨١م.
١٠٠- القوس العذراء – محمود محمد شاكر– مكتبة الخانجي – دار الفكر – الطبعة الثانية - ١٩٩٢م.
١٠١- الكامل في اللغة الأدب – لإبي العباس المبرد – تحقيق الدكتور أحمد الدالي– مؤسسة الرسالة – بيروت– الطبعة الثانية – ١٩٩٣م
١٠٢- كتاب الحيوان –لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ- تحقيق عبد السلام هارون– دار إحياء التراث العربي - بيروت – الطبعةالثالثة – ١٣٨٨هـ.
١٠٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جارالله محمود الزمخشري – تحقيق يوسف حمادي – مكتبة مصر.
١٠٤- لسان العرب – ابن منظور – دار صادر -١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.
١٠٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين أبن الأثير – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
١٠٦- مجمع الأمثال – لأحمد بن محمد الميداني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية _ بيروت – ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٠٧- محاضرات في الأدب " العصر الجاهلي "- عبد الحميد المسلوت– دار الطباعة المحمدية – الطبعة الأولى – ١٩٦٣م.
١٠٨- مدخل لكتابي عبد القاهر الجرجاني – الدكتور محمد أبوموسى – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٠٩- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – الدكتور عبدالله طيب المجذوب – مطبعة مصطفى الحلبي – دار جامعة الخرطوم للنشر – ١٩٩١م.
١١٠- مسائل في الفلسفة والفن – جان ماري جو ، ترجمة الدروبي.
١١١- المسند – للإمام أحمد بن حنبل – تحقيق صدقي محمد العطار - دار الفكر للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١١٢- المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم)- سعد الدين التفتازاني – تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى -١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١١٣- المعاني الكبير – ابن قتيبة الدينوري– دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧١م .
١١٤- المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي – الدكتور محمد صادق حسن عبد الله– مكتبة النهضة المصرية – القاهرة -١٤١٥هـ/١٩٩٤م
١١٥- معجم البلدان – ياقوت الحموي – تحقيق فريد عبد العزيز الجندي – دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الأولى – هـ ١٤١٠/١٩٩٠م.(البحث ص١٧٥)(ج١/٢٩٠)
١١٦- معجم المصطلحات البلاغية – الدكتور أحمد مطلوب– مكتبة لبنان ناشرون– الطبعة الثانية – ١٩٩٦م..
١١٧- معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكريا– دار إحياء التراث العربي– لبنان - الطبعة الأولى -١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

١١٨- المعجم الوسيط – نخبة من مجمع اللغة العربية بإشراف الدكتور شوقي ضيف – دار الشروق الدولية – القاهرة - الطبعة الرابعة – ١٤٢٥هـ-م٢٠٠٤م

١١٩- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء – للحسن بن بشر الآمدي – تحقيق عبد الستار فراج – القاهرة – ١٩٦١م

١٢٠- المنتخب من غريب كلام العرب- لأبي الحسن الهنائي – تحقيق محمد بن أحمد العمري - جامعة أم القرى– الطبعة الأولى – ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

١٢١- . المفضليات – تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون – دار المعارف - مصر – الطبعة العاشرة – ١٩٩٤م.

١٢٢- . منهاج البلغاء وسراج الأدباء – حازم القرطاجني – تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة – تونس - ١٩٦٦م.

١٢٣- الموشح –للمرزباني - تحقيق محب الدين الخطيب– المطبعة السلفية – الطبعة الثانية - ١٣٨٥هـ.

١٢٤- النابغة الذبياني – تأليف عمر الدسوقي– دار الفكر العربي – القاهرة - ١٩٦٠م.

١٢٥- النقائض – لأبي عبيدة معمر بن مثنى - باعتناء المستشرق الإنجليزي "بيفان " – دار صادر .

.

١٢٦- نقد الشعر – لقدامة بن جعفر – تحقيق **كمال مصـطفى– مكتبـة الخانجي – الطبعة الثالثة**

١٢٧- نسق الكلام في شعر زهير بن أبي سلمى – الدكتورة هيفاء بن عثمان فدا– دار القاهرة - الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م. .
١٢٨- نماذج في النقد الأدبي – إيليا حاوي – بيروت – دار الفكر العربي – ١٩٦٩م.
١٢٩- نهاية الأرب في فنون الأدب – شهاب الدين النويرى – نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية .

المقالات والبحوث المحكمة والدوريات

١- تشكيل الصورة في شعر زهير بن أبي سلمى – الدكتور عبد القادر الرباعي – مجلة كلية اللغة العربية جامعة الملك سعود – المجلد الحادي عشر – العدد الثاني – ١٩٤٨م.
٢- التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي – عبد القادر الرباعي – المجلة العربية للعلوم الإنسانية – العدد السابع عشر – المجلد الخامس – ١٩٨٥م.

٣- الصورة الشعرية ومجالات الحياة عند زهير بن أبي سلمى – عبد القادر الرباعي – مجلة المورد – بغداد – العراق – وزارة الثقافة الإعلام .

٤- عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي – الدكتور محمود الجادر – مقال في مجلة المجمع العلمي العراقي – رقم (٣٣)- الجزء الثاني – رجب ١٤٠٢هـ .

الرسائل الجامعية

١ - البناء التركيبي في شعر أوس بن حجر – هشام الشرقاوي – رسالة ماجستير مخطوطة – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – ١٤١٢هـ.

٢- التشبيه الملحمي في الشعر الجاهلي – ناصر سلامة المساعفة – رسالة ماجستير – كلية اللغة العربية الدراسات العليا – جامعة الأردن – ٢٠٠١م.

٢- الحكاية في تشبيهات الجاهليين – محمد البدري – رسالة ماجستير – كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضـــوع **الصفحة**

الملخص ..... أ

الإهداء ..... ب

المقدمة ..... (١- ٦)

التمهيد:(المعاني التي جاءت في تشبيهات الشاعرين)..... (٧- ٢٩)

أولاً: تشبيهات الطلل والديار والصحراء..... ٩

ثانياً: تشبيهات الناقة..... ١١

ثالثاً: تشبيهات ثور الوحش..... ١٥

رابعاً: تشبيهات حمار الوحش..... ١٧

خامساً:تشبيهات بقرة الوحش..... ٢٠

سادساً:تشبيهات الظليم والناقة..... ٢٢

سابعاً:تشبيهات الفرس..... ٢٤

ثامناً:تشبيهات السلاح وأدوات الحرب..... ٢٦

تاسعاً:تشبيهات الإنسان..... ٢٨

الفصل الأول :

(الصنعة في **تشبيهات أوس)** ..... (٣٠-٨٠)

أولاً: صنعة أوس في تشبيهات الطلل والديار والصحراء ٣١

ثانياً: صنعة أوس في تشبيهات الناقة وتفريعاتها ٣٨

ثالثاً : صنعة أوس في تشبيهات الإنسان ٦٩

الفصل الثاني:

(الصنعة في **تشبيهات زهير)** ..... (٨١-١٣٨)

أولاً : صنعة زهير في تشبيهات الطلل والديار والصحراء ٨٢

ثانياً : صنعة زهير في تشبيهات الناقة وتفريعاتها ٩٣

ثالثاً : صنعة زهير في تشبيهات الفرس ١٢٨

رابعاً : صنعة زهير في تشبيهات الإنسان ١٣٤

الفصل الثالث :

(التشبيهات التي جاءت في **شعر أوس بن ولم تأت** في **شعر زهير)**(١٣٩-١٩١)

أولاً : تشبيهات أوس في وصف الحرب وأدواتها ١٤٠

ثانياً : تشبيهات أوس في وصف البرق والسحاب والمطر ١٥٤

ثالثاً : تشبيهات أوس في وصف الطلل والديار ١٦٢

رابعاً : تشبيهات أوس في وصف الناقة وتفريعاتها..... ١٦٤

خامساً : تشبيهات أوس في وصف الإنسان ١٧٥

سادساً : تشبيهات أوس في وصف الفرس ١٨٨

سابعاً : التشبيهات المتفرقة في شعر أوس ١٩١

الفصل الرابع:

(التشبيهات التي جاءت في شعر زهير ولم تأت في شعر أوس) (١٩٢-٢٤٣)

أولاً : تشبيهات زهير في وصف الطلل والديار ١٩٣

ثانياً : تشبيهات زهير في وصف الناقة وتفريعاتها ٢٠٣

ثالثاً : تشبيهات زهير في وصف الإنسان ٢١٦

رابعاً : تشبيهات زهير في وصف الفرس..... ٢٢٧

خامساً : تشبيهات زهير في وصف حيوان الوحش والنعام ٢٣٣

سادساً : التشبيهات المتفرقة في شعر أوس ٢٣٦

الفصل الخامس :

(مسالك صنعة زهير في تجديد تشبيهات أوس)..... (٢٤٤-٢٨٦)

أولاً : مسلك صنعة زهير في تجديد تشبيهات الطلل والديار والصحراء .. ٢٤٥

ثانياً : مسلك صنعة زهير في تجديد تشبيهات الناقة وتفريعاتها ٢٤٨

ثالثاً : مسلك صنعة زهير في تجديد تشبيهات وصف الرجل ٢٧٤

رابعاً : مسلك صنعة زهير في تجديد تشبيهات أوس المتفرقة ٢٨١

الخاتمة :..... (٢٨٧-٢٩١)

المصادر والمراجع ..... (٢٩٢-٣٠٧)

فهرس الموضوعات ..... (٣٠٨-٣١١)